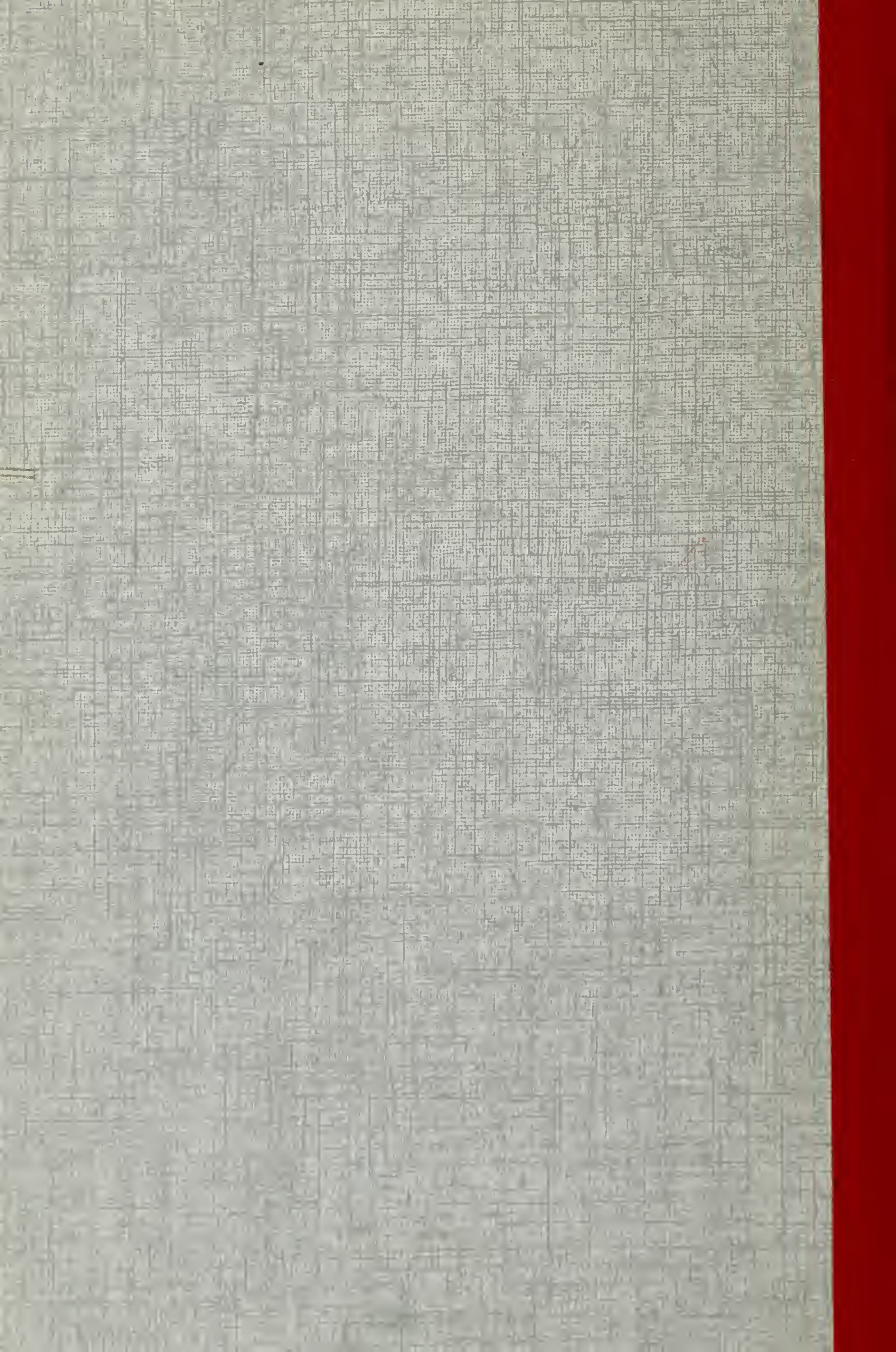
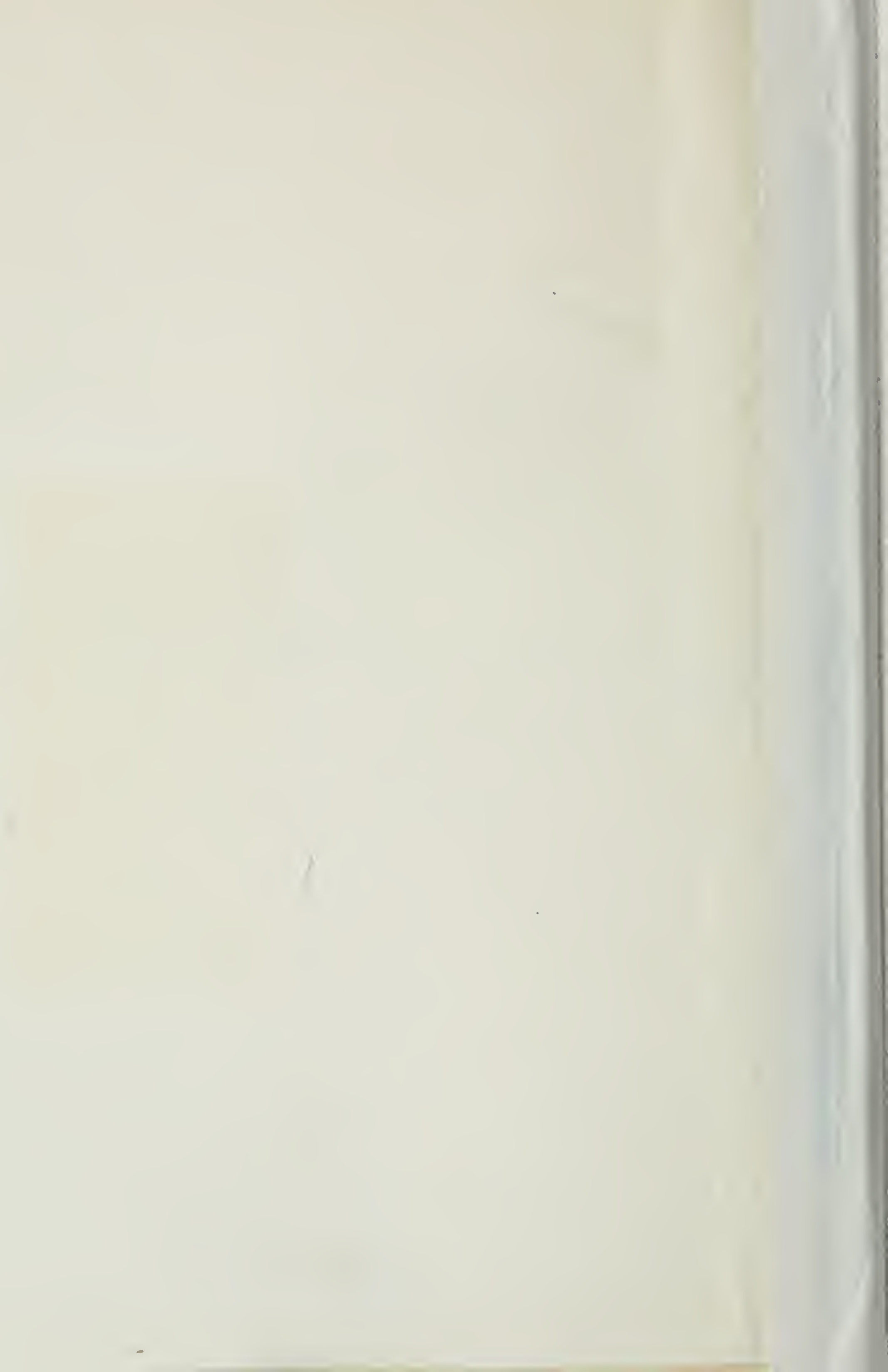






خلاصة الوفاء بختصر
رسائل اخوان الصفاء

الطبعة الاولى

تصحيح العبد الحقير

الشيخ المعلّم في المدرسة الملّيّة البرلينيّة فريدرخ ديتريصي

الجزؤ الأوّل

طبع

في مدينة غريفسوند المحروسة

سنة ١٨٨٣ المسيحيّة

،بسم الله الرحمن الرحيم،

،فى مبادى الموجودات وأُصول الكائنات،

وهى رسالة من رسائل اخوان الصفاء، اعلم ايها الاخ البارّ الرحيم ايّدك الله وايّانا بروح منه انّ الوجود متقدّم على البَقاء والبقاء متقدّم على التَمام والتمام متقدّم على الكَمال لانّ كلّ كاملٍ تامٌّ باقٍ وكلُّ باقٍ موجودٌ ولكن ليس كلُّ موجودٍ باقيا ولا كلُّ باقٍ تامّا ولا كلُّ تامّ كاملا وذلك ان البارى جلّ وعلا الذى هو علّةُ الموجودات ومُبقيها ومتمّمها ومكمّلها اوّلُ فيضٍ فاض منه الوجودُ ثم البقاء ثم التمام ثم الكمالُ وقد ذكرنا فى الرسالة التى ذكرنا فيها خواصّ العددِ الفرقَ بين التمام والكمال وأعرِفْه من هناك،

واعلم انه ينبغى لمن يريد النظر فى مبادى الموجودات ليعرفها على حقيقتها ان يقدِّم اوّلا النظرَ فى مبادى الامور المحسوسة ليروض به عقلَه ويقوَى على النظر فى مبادى الامور المعقولة لانّ معرفة الامور المحسوسة اقربُ من فهم المبتدئين واسهل على المتعلّمين،

واعلم انّ الجسمَ احدُ الموجودات المحسوسة وهو جوهرٌ مركّب من جوهرَين بسيطَين معقولَين احدُهما يقال له الهيولى والاخر يقالُ له الصورة والهيولى جوهرٌ

قابلٌ لصورةٍ والصورةُ هى التى بها الشىء هو ما هو مثالُ ذلك الحديد فانه الهيولى لكلّ ما يُعمل منه كالسيف والسكين والفأس والمنشار وغيرِ ذلك فالسكينُ انما هو اسمٌ لصورةٍ وكذلك الفأس والسيف لان الحديد فى كلّها واحدٌ والصورة مختلفةٌ فاختلافُ الاسماء انما هو بحسَب اختلاف الصورة وهكذا ايضا الخشب فانه هيولى لكلّ ما يعمل منه كالباب والسرير والكرسىّ وليس كلُّ هيولى تقبَل كلَّ صورة لان الخشب لا يقبل صورة القميص ولا الشُقّةُ تقبل صورة الكرسىّ ولا ايضا الهيولى تقبَل اىَّ صورةٍ تقدّمت او تأخّرت بل اىَّ صورةٍ تقدّمت لانّ القطن لا يقبل صورة الشقّة ولا الغَزْل صورة القميص لكنّ القطن تقبل اوّلا صورةَ الغزل وبتوسّط صورة الغزل تقبل صورة الشقّة ثم صورة القميص وهكذا الطعامُ اوّلُ ما يقبل صورةُ الدقيق ثم صورة العجين ثم صورة الخُبْز وعلى هذا المثال يكون قبولُ الهيولى للصور المختلفة الاوّلَ فالاوّلَ على الترتيب وذلك ان الهيولى الأُولى لا تقبل الّا صورةَ الجسم الاوّلِ الذى هو الطول والعرض والعمق ثم بتوسّط صورة الجسم تقبل سائرَ الصور من التثليث والتربيع والتدوير وما شاكل هذه ،

والهيولى تقال على اربع جهاتٍ، فأقربُها الى الحسّ هيولى الصناعة مثل الخشب والحديد والقطن بحسَب ما بيّنّا فانّ كلَّ صانع لا بدَّ له من الهيولى يَعمل منه وفيه صناعتَه والثانى هيولى الطبيعة وهى النار والهواء والماء والارض وذلك ان كلَّ شىء تعمله الطبيعةُ التى تحت فلك القمر من الموجودات فانّ هذه الاركانَ الاربعة هيولَى لها والثالثةُ هيولى الكلّ اعنى الجسم المُطْلَق الذى يعمّ الافلاكَ والكائناتِ اجمعَ والرابع الهيولى الأُولى هو جوهرٌ قابلٌ للصورة فاوّلُ صورةٍ قَبِلَ هو الطولُ والعرض والعمق فكان بذلك جسما مطلقا وهذه الهيولى من المبادى الاولى المعقولةِ وذلك ان هذه الهيولى اوّلُ معلولِ النفس والنفسُ اوّلُ معلول

العقل والعقل اوّل معلول البارى جلّ جلاله فالبارى علّة كلّ موجودٍ ومبقيه ومتمّمه ومكمّله على النظام والترتيب الاشرف فالاشرف وترتيبُ الموجودات عنه كترتيب العدد من الواحد قبل الاثنين كما بيّنّا فى الرسالة التى ذكرنا فيها خواصّ العدد فالعقل هو اوّلُ موجودٍ اوجده البارى جلّ ثناؤه ثم النفس ثم الهيّولى٬

وذلك ان العقل هو جوهرٌ روحانىٌّ فاضَ من البارى وهو باقٍ تامٌّ كامل والنفس جوهر روحانيّةٍ فاضت من العقل وهى باقيةٌ تامّةٌ غيرُ كاملةٍ والهيولى الاولى جوهر روحانيّة فاضت من النفس وهى باقيةٌ تمّة غيرُ كاملة واعلم ان علّة وجودِ العقل هو وجودُ البارى جلّ وعلا وفيضُه الذى فاض منه وعلّة بقاء العقل هو امدادُ البارى جلّ وعلا بالجود له والفضلُ الذى فاض منه اوّلا وعلّةُ تمام العقلِ هو قبولُ ذلك الفيض والفضائل واستمدادُه وعلّة كمال العقل هو افاضةُ ذلك الفيض والفضل على النفس ممّا استفاده من البارى تعالى فبقاء العقل اذَنْ علّةٌ لوجود النفس وتمامُ العقل علّة لبقاء النفس وكمالُه علّةٌ لتمام النفس وبقاء النفس علّة لوجود الهيّولى وتمام النفس علّة لبقاء الهيولى فمتى كملت النفس تمّت الهيولى وهذا هو الغرض الاقصى فى رباط النفس بالهيولى ولاجّل هذا دورانُ الفلك وتكوين الكائنات لتَكْمُلَ النفسُ باظهار فضائلها فى الهيولى ويَتِمّ الهيولى بقبول ذلك الفيض والصورة وغيرهما من الفضائل ولولم يكن هذا هكذا لكان دورانُ الفلك عَبَثا٬

واعلم ان العقل انما قبل فيضَ البارى جلّ وعلا وفضائله التى هى البقاء والتمام والكمال دفعةً واحدةً بلا زمانٍ ولا حركة ولا نصب لقربه من البارى سبحانه وتعالى وشدّة روحانيّته فامّا النفس فانها لمّا كان وجودُها من البارى تعالى بتوسُّط العقل صارت رتبتُها دون العقل وصارت ناقصةً فى قبول الفضائل

ولانها ايضا تارةً تتوجّه نحوَ العقل لتستمدّ منه الخيرَ والفضائل وتارةً تقبل على الهيولى لتمدّها بما استفادته من الفيض والخير والفضائل فاذا هى توجّهت نحو العقل لتستمدّ منه اشتغلت عن افادتها الهيولى الفيضَ واذا هى اقبلت نحو الهيولى لتمدّها بالفيض اشتغلت عن العقل وقبول فضائله ولمّا كانت الهيولى ناقصةَ الرتبة غيرَ طالبةٍ فضائلَ النفس ولا راغبةً فى فيضها احتاجت النفس بان تُقْبِلَ عليها اقبالا شديدا وتَعْتَنِى باصلاحها عنايةً تامّةً وتعبت ويلحقها العناء والشقاء فى ذلك ولولا ان البارى تعالى بفضل رحمته ومنّته ايّدها بالعقل واعانها لتتخلّصها لهلكت النفس فى بحر الهيولى كما قال الله سبحانه وتعالى ولولا فَضْلُ الله عليكم ورحمتُه ما زَكَى منكم من احدٍ ابدا، فامّا العقلُ فليس يناله فى تأييده النفسَ وفيضه عليها فضائلَه تعبٌ لان النفس جوهرة روحانيّة سهلةُ القبولِ طالبةُ فضائلِ العقل راغبةٌ فى خيراته وهى حيّةٌ بالذات علّامة بالقوّة فعّالة بالطبع قادرة بالفعل صانعة بالعرض فاما الهيولى فلبُعدها من البارى جلّ وعلا صارت ناقصةَ الرتبة عديمة الفضائل لانها غيرُ طالبةٍ لفيض النفس ولا راغبةٌ فى فضائلها ولا علّامةٌ ولا قادرة ولا حيّة بل قابلةٌ حَسْبُ فمن اجل هذا يلحقُ النفسَ التعب والعناء والجهد والشقاء فى تدبير الهيولى وتتميمها لها ولا راحةَ للنفس الّا اذا توجّهت نحو العقل وتعلّقت به واتّحدت معه وسنشرح انه كيف يكون هذا فيما بعدُ ان شاء الله تعالى،

،فصلٌ فى مبادى الجسمانيّة ومراتبها،

اعلم ايّها الاخ البارّ الرحيم ايّدك الله وايّانا بروحٍ منه انّ اوّل شىء اخترعه البارى جلّ ثناؤه واوجده جوهرٌ بسيط روحانىٌّ فى غاية التمام والكمال والفضائل فيه صُوَرُ جميع الاشياء يسمّى العقلَ وانّ من ذلك الجوهر فاض جوهرٌ اخرُ دونه

فى الرتبة يسمّى النفسَ الكليّةَ وانه انبجس من النفس الكليّة جوهرٌ اخر دونه فى الرتبة يسمّى الهيولى الاولى وان الهيولى قبلت المقدارَ الذى هو الطولُ والعرض والعمق فصارت بذلك جسما مطلقا وهو الهيولى الثانية ثم ان الجسم قبل الشكلَ الكرّىَّ الذى هو افضلُ الاشكال فكان من ذلك عالمَ الافلاك والكواكب ما صفا منه ولطُف الاوّلُ فالاوّل من لدن الفلك المحيط الى منتهى فلك القمر وهو تسع أُكرٍ بعضُها فى جوف بعضٍ فادناها الى المركز فلكُ القمر وابعدُها واعلاها الفلكُ المحيطُ هو الطف من سائر الافلاك جوهرا وابسطُها جِسْما ثم دونه فلكُ الكواكب الثابتة ثم دونه فلك زُحَل ثم دونه فلك المُشْتَرِى ثم دونه فلك المِرّيخ ثم دونه فلك الشمس ثم دونه فلك الزُهْرة ثم دونه فلك عُطارِد ثم دونه فلك القَمر ثم دون فلك القمر الاركانُ الاربعة التى هى النار والهواء والماء والارض وقد ذكرنا صُوَر هذه الأُكر مرّةً والارض فى المركز وهى اغلظ الاجسام جوهرا واكثفها جرما ولمّا ترتّبت هذه الاكر بعضُها فى جوف بعض كما اراد باريها جلّ ثناؤه وما اقتضت حكمتُه من لطيف نظامها وحُسن ترتيبها ودارت الافلاك بأبراجها وكواكبها على الاركان الاربعة وتعاقب عليها الليلُ والنهار والشتاء والصيف والحرُّ والبرد واختلط بعضها ببعض فامتزج اللطيف منها بالكثيف والخفيف بالثقيل والحارُّ بالبارد والرطب باليابس وتركّب منها على طول الزمان انواعُ التركيب التى هى المعادن والنبات والحيوان،

فالمعادن هى كلُّ ما انعقد فى باطن الارض وقعر البحار وكهوف الجبال من البخارات المتحلّلة والدخانات المتصاعدة والرطوبات المحتقنة فى المغارات والأَهْوِيَة والترابيّةُ عليها اغلبُ واما النبات فهو كلّ ما نجم على وجه الارض من العشب والكلأ والحشائش والبقول والزروع والاشجار والمائيّةُ عليها اغلبُ والحيوان فهو كلّ جسم يتحرّك ويحسّ وينتقل من مكان الى مكان بجثّته والهوائيّةُ عليها اغلب

والمعادن اشرف تركيبا من الاركان والنبات اشرف تركيبا من المعادن والحيوان اشرف تركيبا من النبات والانسان اشرف تركيبا من جميع الحيوان والنارية عليه اغلب وقد اجتمع فى تركيب الانسان معانى جميع الموجودات من البسائط والمركّبات التى تقدّم ذكرها لان الانسان مركّب من جسد غليظ جسمانى ومن نفس بسيطة روحانيّة فمن اجل هذا سمّت الحكماء الانسان عالما صغيرا والعالم انسانا كبيرا وقد يمكن الانسان اذا ما هو عرف نفسه بالحقيقة من غرائب تركيب جسده ولطيف بنية هيكله وفنون تصاريف قوى النفس فيه واظهار افعالها به ومنه من الصنائع المحكمة والمهن المتقنة وتهيّأ له ان يقيس عليها جميع معانى المحسوسات ويستدلّ بها على جميع معانى المعقولات من العالم جميعا فينبغى لنا ايها الاخ اذ كنّا عازمين على معرفة حقائق الموجودات ان نبتدئ اوّلا بمعرفة انفسنا اذ هى اقرب الاشياء الينا ثم بعد ذلك معرفة سائر الاشياء لانه قبيح بنا ان ندّعى معرفة حقائق الاشياء ولا نعرف انفسنا وذواتنا٭

٭فصل٭ اعلم ايها الاخ البارّ الرحيم ان النفس الكلّيّة انما هى قوّة روحانيّة فاضت من العقل باذن البارى جلّ جلاله كما ذكرنا قبل هذا واعلم ان لها قوّتين اثنتين ساريتين فى جميع الاجسام من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض كسريان ضوء الشمس فى جميع اجزاء الهواء فاحدى قوّتيها علّامة والاخرى فعّالة فهى بقوّتها الفعّالة تتمّم الاجساد ويكمّلها بما تنقش فيها من الصور والاشكال والهيئات والزينة والجمال بألوان الاصباغ وهى بالقوّة العلّامة تكمّل ذواتها بما تظهر من فضائلها من حدّ القوّة الى حدّ الفعل من العلوم الحقيقة والاخلاق الجميلة والآراء الصحيحة والاعمال الصالحة ومن الصنائع المحكمة والمهن المتقنة بحسب قبول شخص وشخص تأثيراتها بصفاء جوهره ولطافة جرمه٭

واعلم يا اخى ان جوهر النفس لا تبتدى وقواها لا تفنى وافعالها لا تنقطع لان مادّتها بالتأييد لها من العقل دائمةٌ وقبولُها الفيضَ منه سرمدٌ متّصل وهكذا تأييدُ البارى تعالى للعقل دائمٌ وفيضُه عليه متّصلٌ وقبولُ العقلِ لذلك الفيض دائمٌ متّصل لانّ فيض البارى لا يفنى وعطاياه لا تبيد ولا تنقطع وفضائله لا تتناهى لانه ينبوع الخيرات ومعدن البركات ومَفيض الجود وسببُ كلّ موجودٍ فله الحمد والثناء والشكر والعطاء ،

، فصل ، اعلم ايُّها الاخ ان رتبة النفس الكلّيّة فوق الفلك المحيط وقواها ساريةٌ فى جميع اجزاء الفلك واشخاصه بالتدبير والصنائع والحُكْم وفى كلّ ما يَحوى الفلكُ المحيطُ من سائر الاجسام وانّ لها فى كلّ شخصٍ من اشخاص الفلك قوّةً مختصّة به مدبّرة له مظهرة منه وبه افعالَها وان تلك القوّة تسمّى نفسا جزئيّةً لذلك الشخص مثالُ ذلك القوّةُ المختصّة بجرم زُحَل المدبِّرةُ له المظهرةُ منه وبه افعالَها تسمّى نفسَ زحلَ وهكذا القوّة المختصّة بجرم المُشْتَرى المدبِّرةُ له المظهرة به ومنه افعالَها تسمّى نفسَ المشترى وعلى هذا القياس سائرُ القوى المختصّة بكوكبٍ وجرمٍ من اجسام الفلك واشخاصه المدبّرة له المُظْهِرة به ومنه افعالَها تسمّى نفوسا لها وهذا هو حقيقةُ ما قد ذُكر فى الكتب الالاهيّة انهم الملائكةُ والملأُ الاعلى وجنود الله الذين لا يَعْصون اللهَ ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وهذا حقيقةُ ما قالت الحكماء والفلاسفةُ فى تفصيل النفوس الجزئيّة فى عالم الافلاك والاركان المسمّاة بالروحانيّين الموكّلين بحفظ العالم وتدبير الخلائق وادارة الافلاك وجريان الكواكب وتصاريف الدهور وتغيير الازمان ومُراعاة الاركان وتربية النبات والحيوان وحفظهما ،

، فصل ، واعلم ايها الاخ انّ للنفس الكلّيّة التى فوق فلك القمر قوّةً مختصّة سارية فى جميع الاجسام التى دون فلك القمر وهى مدبّرةٌ لها متصرّفة فيها

مظهرةٌ بها ومنها افعالَها التى تسمّيها الفلاسفةُ والاطبّاء طبيعةَ الكون والفساد ويسمّيه الناموسُ ملَكا من الملائكة وهى نفسٌ واحدة ولها قوًى كثيرةٌ منبثّة فى جميع اجسام الحيوان والنبات والمعادن والاركان الاربعة من لدن فلك المحيط الى مُنْتَهَى مركز الارض وما من جنسٍ ولا نوعٍ ولا شخص من هذه الموجودات الّا ولهذه النفس فيها قوّةٌ مختصّة به مدبّرة له مظهرة به ومنه افعالَها وان تلك القوّة تسمّى نفسا جزئيّةً لذلك الشخص،

واعلم ان اوّلَ قوّةٍ لهذه النفس فى هذه الاركان التى هى النار والهواء والماء والارض هى الحرارةُ والبرودة والرطوبة واليبوسة وان اوّل افعالِ هذه القوى فى هذه الأُسْطُقسات هى التحريكُ لها والتسكين والتبريد والتجميد والتصعيد والتقطير والاختلاط والمزاج والتأليف والتركيب والتصوير والتنقيش والتصبيغ وما شاكلها وكلّ ذلك تفعل هذه النفس فى هذه الاسطقسات الاربعة بمعاوَنة قوى الاشخاص الفلكيّة لها باذن باريها جلّ ثناؤه ومثالُ ذلك تحريكُها لركن النار لتسخين العالم بمعاوَنة قوّة الشمس لها دائما وتسكينها لركن الارض بمعاونة قوّة زحلَ لها دائما وتحليلُها لركن الماء بالسيلان بمعاونة قوّة المشترى لها دائما وتلطيفها لركن الهواء بمعاونة قوّة المرّيخ لها دائما وتقطيرها لركن البخار الرطب بمعاونة قوّة الزهرة لها دائما وتمزيجها لركن البخار اليابس بالبخار الرطب بمعاونة قوّة عُطارِدَ لها دائما وامدادها للمولَّدات بركن العُصارات بمعاونة قوّة القَمَرِ لها دائما،

، فصل، واعلم انّ اوّلَ فعلِ هذه القوى اعنى الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فى تكوين المعادن صنعةُ الزيبق والكبْريت وذلك ان الرطوباتِ المحتقنةَ التى فى باطن الاجسام الارضيّة والبُخارات المحتبسة فيها اذا تعاقب عليها حرُّ الصيف وحرارة المعدن لطُفت وخفّت وتصاعدت عُلُوًّا الى سقوف تلك الأَهْوِيَة والمَغارات وتعلّقت هناك زمانا طويلا فاذا تعاقب عليها بردُ الشتاء وغلظت وجمدت تقاطرت راجعةً الى اسفل تلك الأَهْوِيَة والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع ومكثت هناك زمانا طويلا وحرارة المعدن دائما تعمل فى انضاجها وطبخها وتصفيَتها فتصير تلك الرطوبةُ المائيّة بما يختلط بها من الاجزاء الترابيّة وما تاخذ من ثقلها وغلظها بطول الوقوف وانضاج الحرارة لها زيبقا ثقيلا وتصير تلك الاجزاء الترابيّة التى فى اسافل المعادن بما يمازجها من الرطوبة الدهنيّة وانضاج الحرارة لها كبريتا محترقا، فاذا اختلط الزيبق بالكبريت مرّةً ثانيةً وتمازجا والتدبيرُ صالحٌ تركّب من مزاجها اجناسُ الجواهر المعدنيّة وانواعها، مثالُ ذلك فى تركيب الجواهر الذائبة ان الزيبق اذا كان صافيا والكبريت اذا كان نقيّا واختلطا جميعا اختلاطا سويّا ويشرب الكبريتُ رطوبةَ الزيبق كما يشرَب التراب نداوةَ الماء واتّحدت اجزاؤُهما وكان مقدارُهما متساويا وحرارة المعدن تنضجهما على اعتدالٍ ولم يعرض لهما عارضٌ من البرد واليبس قبلَ انضاجهما انعقد من ذلك على طول الزمان الذهبُ والابريز فان عرض لهما البردُ قبل النضج انعقد وصار فضّةً بيضاء فان عرَض لهما اليبسُ من فرط الحرارة صار نحاسا يابسا وان عرض لهما البرد قبل ان تتّحد اجزاء الكبريت والزيبق صار رَصاصا قلعيّا فان عرض لهما البرد قبل النضج وكان اجزاء الكبريت اكثرَ صارَ حديدا وان كان الزيبقُ اكثرَ والكبريتُ اقلَّ والحرارةُ ضعيفةً انعقد منهما الأُسْرُبُ وعلى هذا القياس تختلف سائر اجناس الجواهر المعدنيّة بسبب العوارض التى تعرض

لهما من كثرة الزيبق والكبريت وقلّتهما او فرض الحرارة والبرودة قبل وقت نضجهما او الخروج عن الاعتدال وما شاكل ذلك ؛

؛ فصل ؛ واعلم ايها الاخ ان البارى جلّ ثناؤه قد ايّد النفس النباتيّة بسبع قُوى فعّالةٍ وهى القوّة الجاذبة والقوّة الماسكة والقوّة الهاضمة والقوّة الدافعة والقوّة الغاذية والقوّة المصوّرة والقوّة النامية فانها تفعل بكلّ قوّةٍ من هذه فعلا خلافَ ما تفعل بقوّة اخرى فاوّل فعلها فى تكوين النبت هو جذبُها عُصاراتِ الاركان الاربعة التى هى الارض والماء والهواء والنار ومصُّها لَطائفَها وما فيها من الاجزاء المشاكلة بنوعٍ من انواع النبات ثم امساكُها لها بالقوّة الماسكة لئلّا تسيل وتتحلّل فتنعكس راجعةً ثم هضمُها لها بالقوّة الهاضمة لتُحيلها الى ذاتها ثم دفعُها لها بالقوّة الدافعة الى اقطارها ثم تغذيتُها بالقوّة الغاذية ثم النموُّ والزيادة فيها بالقوّة النامية ثم التصويرُ لها بانواع الاشكال والاصباغ بالقوّة المصوّرة ؛

مثالُ ذلك ان القوّة الجاذبة اذا مصّت نداوة التراب بعروق النبات وجذبتها كما يمُصّ المِحْجَمُ الدمَ بالمَحْجَمة او كما تمصّ النارُ الدهنَ بالفتيلة انجذبت معها الاجزاءُ الترابيّةُ والمائيةُ لشدّة انجذابها فاذا حصلت تلك المادّة فى عروق النبات انضجتها القوّة الهاضمة وصيّرتها مشاكلةً لجِرْم العروق وتناولتها القوّة الغاذية والزقت بكلّ شكلٍ من تلك الاعضاء والمفاصل ما يلائمُه وزادت القوّة النامية فى اقطارها طولا وعرضا وعمقا وما فضلت من تلك المادّة ولطفت ورقّت دفعتْها القوّةُ الدافعة الى فوقُ من اصول النبات فى قضبانه وفروعه واغصانه وجذبتها القوّة الجاذبة الى هناك وامسكتها القوّةُ الماسكة لئلا تسيل راجعةً الى اسفل ثم ان القوّة الهاضمة طبختها مرّةً ثانيةً وصيّرتها مشاكلةً لجرم العروق والاصول والفروع والاغصان وصارت مادّةً لها فزادت فى اقطارها طولا وعرضا وعمقا وما فضلت

من تلك المادّة ولطفت ورقّت دفعتْها القوّة الدافعة الى اعلى الفروع والاغصان وجذبتها ايضا القوّة الجاذبة الى هناك وامسكتها الماسكة ثم ان القوّة الهاضمة طبختها مرّةً ثالثةً وصيّرتها مشاكلةً لجرم الورق والنور والزهر واكمام الحبّ والثمر ومادّةً لها وزادت فى اقطارها طولا وعرضا وعمقا وما لطفت من تلك المادّة ورقّت صيّرتها مادّةَ الحبّ والثمر وامسكتها القوّة الماسكة هناك ثم ان القوّة الهاضمة طبختها مرّةً رابعةً وانضجتها والطفتها وميّزت منها اللطيفَ والدقيق من الكثيف والغليظ من الرقيق مادّةً لجرم القشر والنَوى وزادت فى اقطارها وصيّرت اللطيفَ والرقيق مادّةَ اللبّ من الحبّ والثمر ومن الرقيق يكون الشيرجُ والدهن والدبس والطعم واللون والرائحة،

فاذا تناوَل الحيوانُ لبَّ النبات ليغتذى بها وحصلت تلك المادّة فى المعدة فاوّلُ فعلٍ فعَلَت هذه القُوَى فيها فعلُ القوّة الهاضمة بالحرارة الغريزيّة ثم تصفيتُها فى الامعاء وجذب الكيموس الى الكبد ثم تنضجها مرّةً اخرى ثم تميّز الاخلاطَ بعضَها من بعض التى هى البلغم والدم والمرّتان ثم دفعتْها الى الاعضاء والمفاصل والأوعية المُعَدّة لقبولها ثم تَقْسِطُ الدم الى الاعضاء والمفاصل بالاوراد ثم تغذيتُها لكلّ عضوٍ ما يشاكله من تلك المادّة ثم النموُّ والزيادة فى اقطارها طولا وعرضا وعمقا ثم استخراجُ النُطْفة من جميع اجزاء بدن الفحل عند حركة الجماع وهى زُبْدة الدم ثم نقلُها الى الرحم من الأُنثى بالآلات المعَدّة هناك لذلك،

فامّا فعل هذه القوى فى ترتيب جسد الانسان عند حصولِ النطفة فى الرحم وتدبيرها لها تسعةَ اشهر حالا بعد حالٍ الى ان يستتمّ بنيةُ الجسد ويستكمل هناك صورته فقد شرحناه فى رسالةٍ اخرى غيرِ هذه فاذا تمّت البنيةُ بالمُدّة المقدّرة التى قدّرها البارى جلّ جلاله نقلتْه قوّةُ النفس الحيوانيّة باذن البارى عزّ وجلّ من ذلك المكان الى فُسْحة هذه الدار وتستأنف به تدبيرا اخر الى

تمام اربع سنين ثم تَرِد القوّة النـاطـقـة المعبّرةُ لاسماء المحسوسات وتستأنف به تدبيرا آخَرَ الى تمام خمسَ عَشْرَةَسنةً ثم تَرِدُ القوّة العاقلة المميّزة لمعانى المحسوسات وتستأنف به تدبيرا اخر الى تمام ثلثين سنةً ثم ترد القوّة الحكميّة المستبصرة لمعانى المعقولات وتستأنف به تدبيرا اخر الى تمام اربعين سنةً ثم ترد القوّة الملكيّة المؤيّدةُ وتستأنف به تدبيرا اخر الى تمام خمسين سنةً ثم ترد القوّة الناموسيّة الممهّدة لامر المعاد الفارقة للهيولى وتستأنف به تدبيرا اخر الى آخِرِ العمر،

فان تكن النفس قد تمّت واستكملت قبلَ مفارقة الجسد نزلت قوّة المعراج فارتفعت بها الى الملأ الاعلى واستانفت بها تدبيرا آخر وان لم تكن النفس قد تمّت واستكملت قبل مفارقة الجسد رُدّت الى اسفل السافلين ثم استؤنف التدبيرُ من الرأس كما قال الله سبحانه وتعالى لقد خلقْنا الانسن فى احسنِ تقويمٍ ثم رددناه اسفلَ سافلين الى آخر السورة وقال تعالى كما بدأْنا اوّلَ خلق نُعيده وعدا علينا انّا كنّا فاعلين وقال تعالى ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يُتوفّى ومنكم من يُردُّ الى ارذل العُمُر كيلا يعلم بعد علم شيـًٔا،

،،،

،فصل، فى مسألة ما يقول ويعتقد مَنْ ينظر فى مبادى الاشياء ويتكلّم عليها أمْ أُخـتـرعـت كلّها اختراعا فى غاية التمام والكمال والفضل ثم تناقصت وزلّت بعضها او أُخترعت كلّها فى غاية النقص ثم زادت وتمّت وكملت وتفاضل بعضُها على بعض او بعضُها هكذا وبعضُها هكذا،

،فصل، اعلم يا اخى ان الله عزّ وجلّ لمّا كان تامَّ الوجود وكاملَ الفضائل وعالما بالكائنات قبل كونها وقادرا على ايجادها متى شاء لم يكن من الحكمة

ان يحبس تلك الفضائل فى نفسه ولا يجود بها ولا يُفيضها واذنْ بواجبِ الحكمة فاض الجودُ والفضائل منه كما يَفيض من عين الشمس النور والضياء ودوامُ ذلك الفيض منــه متّصلا متواترا غيرُ منقطعٍ ويُسمّى اوّلُ ذلك الفيض العقلَ الفعّال وهو جوهرٌ بسيطٌ روحانىٌّ نور محض فى غاية التمام والكمال والفضائل وفيه صورُ جميع الاشياء كما يكون فى فكر العالِم صورُ جميع المعلومات،

وفاض من العقل الفعّال فيضٌ اخرُ دونه فى الترتيب يسمّى العقلَ المنفعِل وهى النفسُ الكلّيّة وهى جوهرة روحانيّة بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعّال على الترتيب والنظام كما يقبل التلميذُ من الاستاذ التعليمَ،

وفاض من النفس فيض آخرُ دونها فى الترتيب يسمّى الهيولى الاولى وهى جوهرة بسيطة روحانيّة قابلةٌ من النفس الصورَ والاشكال بالزمان شيــًٔا بعد شىء واوّلُ صورةٍ قبِل الهيولى الطولُ والعرض والعمق فكانت بذلك جسما مطلقا وهو الهيولى الثـانيـة،

ووقف الفيضُ عند وجود الجسم ولم يَفِضْ منه جوهر آخر لنُقصان رتبته عن الجوهر الروحانىّ وغلظ جوهره وبُعده من العلّة الأُولى،

ولمّا دام الفيضُ من البارى جلّ اسمه على العقل ومن العقل على النفس عُطفت النفس على الجسم فصوّرت فيه الصورَ والاشكال والاصباغ لتتميمها بالفضائل والمحاسن بحسبِ ما يمكن من قبول الجسم وصفاء جوهره،

فاوّلُ صورة عملت النفس فى الجسم الشكلُ الكرىُّ الذى هو افضل الاشكال كلّها وحركته بالحركة الدوريّة التى هى افضلُ الحركات ورتّبت بعضها فى جوف بعضٍ من لدن الفلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهى احدى عشرة كرةً فصار الكلُّ عالَما واحدا منتظما نظاما واحدا وصارت الارضُ اغلظَ الاجسام كلّها واشدّها ظلمةً لبُعْدها من الفلك المحيط وصار الفلكُ المحيط الطف

الاجسام كلّها واشدّها روحانيّةً واشفّها وانورها لقربها من الهيولى الأولى الذى هو جوهرٌ بسيط معقول وصارت الهيولى انقص رتبةً من العقل والنفس لبعدها من البارى جلّ وعلا وذلك ان الهيولى جوهرةٌ بسيطة روحانيّةٌ معقولة غيرُ علّامة ولا فعّالة بل قابلةٌ لآثار النفس بالزمان منفعلةٌ لها،

واما النفس فانها جوهرة بسيطة روحانيّة علّامة بالقوّة فعّالة بالطبع قابلةٌ فضائلَ العقل بلا زمان فعّالةٌ فى الهيولى بالتحريك لها بالزمان، واما العقل فانه جوهر بسيط روحانىّ ابسطُ من النفس قابلٌ لتأييد البارى سبحانه وتعالى علّام بالفعل مؤيّد للنفس بلا زمان، واما البارى فلهُوَ بالفعل قادرٌ على خلق المخلوق مبدعُ الجميع وخالق الكلّ والمبدِعُ لا يُشْبِه المبدَعَ والخالقُ لا يشبه المخلوقَ بوجهٍ من الوجوه ولا بسببٍ من الاسباب فتبارك الله احسن الخالقين فنسألُه ان يؤيّدنا بتأييدٍ منه وروحٍ برحمته وكرامته بلُطفه ومنّه وفّقك الله ايها الاخ للصواب وهداك الى الرشاد وايّدك بالسداد وايانا وجميع اخواننا حيثُ كانوا فى البلاد انه رؤُف بالعباد،

فانظر الى هذه المسائل فى المبادى كيف سَرَيانُ الوجود فى الموجودات كيف سريان البقاء فى الباقيات كيف سريان الدوام فى الدائمات كيف سريان التمام فى ذوى التمامات كيف سريان الكمال فى ذوى الكمالات كيف سريان الحيوة فى ذوى الحيوة كيف سريان القوّة فى ذوى القوّات كيف سريان العلوم فى ذوى العلوم كيف سريان الرياسة فى ذوى الرياسة كيف سريان الربوبيّة فى الارباب كيف نشوء الكثرة من الوحدة المحضة،

يا منيّرَ العلم الحسّى بالعقل المنير انت مبدعُ الكلّ ما زلتَ على مرّ الدهور ولم يزل فى علمك العلمُ من قبل الظهور منقنَ الصعنة كالصورة فى الوهم المنيّر ثم اظهرت الى الوجدان اظهارَ الجنين حملةً ابدعتها ابداعَ خلّاقٍ كريم،

الرسالة الخمسون وهى العاشرة من الناموسيّة الالاهيّة فى نضد العالم والغرض منها الوقوف على معرفة الحقائق علما يقينا وبيانا شافيا بلا شكّ ومبدأها هو الله عزّ وجلّ ومرجعها الذى يفسّر قوله كما بدأنا اوّل خلق نعيده وعدا علينا انا كنّا فاعلين،

،الحمد لوليّه والصلاة والسلام على نبيّه محمّد وآله،

اعلم ايها الاخ البارّ الرحيم ايّدك الله وايانا بروح منه بانّ العالم بأسره كرة واحدة يتفصّل احدى عشرة طبقة سبعة منها هى افلاك كريّات مجوّفات مشفّات وكواكبها ايضا كلّها كريّات مستديرات وحركاتها كلّها دوريّة وذلك ان الفلك المحيط بجميع ما يجرى من الافلاك والكواكب يدور حول الارض فى كلّ اربعة وعشرين ساعة سواء دورة واحدة وكذلك كلّ كوكب يدور فى فلك مختصّ به او دائرة حركة دوريّة فى زمان معلوم وكلّما دارت دورة استأنفت ثانية كما وصفنا فى رسالة مَدْخَل النجوم ورسالة السماء والعالم ورسالة الاكوار والادوار،

ودون الفلك كرتان احداهما النار والهواء والاخرى الماء والارض وكلّ واحد منهما كرىّ الشكل وهما محيطتان اواخرها متّصلة باوائلها،

بيان ذلك انّ النار متّصل اوّلها بفلك القمر وآخره بطبقة الزمهرير والزمهرير آخره متّصل محيط بالماء والارض كما وصفنا فى رسالة الآثار العلويّة وامّا الارض بجميع بحارها وجبالها فهى كرة واحدة فاذا اعتبرتَ شكل الجبال والانهار على

بسيط الارض وتمّلت تبيّن لك ان كلّ واحد منها كانّه قطعةُ قوسٍ من محيط الدائرة واما شكلُ البحار فكلٌّ واحد كانه قطعةُ قشرٍ من سطح جسمٍ كرّى وهكذا احوال الكائنات اذا اعتبرت وتامّلت تبيّن ان اكثرها كريّاتٌ بالشكل او مستديرات، من ذلك ان اكثر الثمار والاشجار واوراقها وحبّ البنت ونوارها كريّاتُ الاشكال مستديراتٌ وهكذا اكثرُ مصنوعات البشر كما بيّنّا فى رسالة الهندسة واما احوالُها فدائرٌ ايضا بعطف أَوائلها على أَواخرها من دَوْر الزمان من الشتاء الى الربيع ومن الربيع الى الصيف ومن الصيف الى الخريف ومن الخريف الى الشتاء وهكذا دورانُ الليل والنهار حول الارض كما بيّنّا فى رسالة الهيولى وكذلك حُكم دوران مياه الانهار والبحار والغيوم والامطار فانها كالدولاب الدائر وذلك ان الغيوم والسحاب تنشؤ من البخارات المتصاعدة من البحار والانهار وتسوقها الرياح الى القفار ورؤس الجبال وتمطر هناك وجميع السيول فى الاودية تذهب راجعةً نحو البحار ثم تصعد ثانيةً ذلك تقديرُ العزيز العليم وكذلك حالُ النبت وتكوينه من التراب والماء والنار والهواء راجعةً اليها فى دورانها كالدولاب وذلك ان النبات تبدو وتنشو وتتمّ وتتكمل حتى اذا بلغت الى اقصى غاياتها ومُنْتهى نهاياتها رجعت عند البلى والفساد الى ما تكوّنت منه،

بيان ذلك ان النبت يمتصّ بعروقه لطائف الاركان ويُصير منها ورقا وحبّ ويتناولُها الحيوان ليتغذّى ثم تستحيلُ فى ابدانها بعضُها لحما ودما وبعضها يخرج سمادا ويُردُّ الى اصول النبات ليتغذّى منه ويصير حبّا وثمارا ثانيا ويتناوله الحيوان فاذا تامّلت هذا فى حاله فكانّه دولابٌ دائرٌ واما اجسام الحيوان فانها كلُّها تعود الى التراب وتبلى وتصير ترابا ويكون منها نباتٌ ومن النبات حيوان كما بيّنّا قبلُ واذًا هو دولابٌ يدور،

واما احوال البشر اذا اعتبر فحلّها دائرة كالدولاب وذلك ان الانسان يبدأ كونه من النطفة ثم ينشو وينمو ويتمّ ويبلغ الى ان يتولّد منه النطفة فيشتهي العودَ الى حيثُ خرج لبقضي شهوته وينتجَ مثله وكذلك بدء كونه ناقص القوّة ضعيفُ البنية ثم يرتقى ويتزايد الى ان يبلغ الى الاشدّ ثم يبتدى ينحطُّ الى ان يردَّ الى ارذل العمر كما كان بديّه كما ذكر الله تعالى فقال والله اخرجكم من بطون امّهاتكم لا تعلمون شيئًا٬

فصل٬ واعلم ايها الاخ ان هذه الموجودات التى تحت فلك القمر نظام وترتيبا ايضًا فى الوجود والبقاء وهى مرتّبة بعضها تحت بعضٍ وهى متّصلٌ اوّلها بآخرها كترتيب العدد وترتيب الافلاك٬ بيانُ ذلك انه لمّا كانت اجزاءُ العالم محيطاتٍ بعضها ببعض وهى احدى عشرةَ كرةً فتسعةٌ منها فى عالم الافلاك اوّلها من لدن فلك المحيط وآخرها الى منتهى فلك القمر واواخرها متّصلةٌ بوائلها كما بيّنّا فى رسالة السماء والعالم وكان اثنان منها دون فلك القمر وهى كرةُ النار والهواء وكرة الماء والارض وهى مقسومة على اربع طبائع اوّلها الاثيرُ وهو نارٌ ملتهبةٌ دون فلك القمر ودونه الزمهرير الذى هو البرد المفرط ودونه الماء المفرطُ الرطوبة ودونه الارض المفرطة اليبس وهذه الاربعة محفوظةٌ كلّيّاتُها فى مراكزها ومتّصلة اواخرها بوائلها ومستحيلةٌ جزئيّاتُها بعضها الى بعض كما بيّنه فى رسالة الكون والفساد٬ واما الكائناتُ منها التى هى جزئيّاتها فهى المعدن والنبات والحيوان ولها نظام وترتيبٌ متّصل اواخرها بوائلها كترتيب الافلاك والاركان٬ بيان ذلك ان المعدن متّصلةٌ اوائلها بالتراب واواخرها بالنبات والنباتُ آخرُه بالحيوان والحيوان متّصلٌ اخرُها بالانسان والانسان

متّصلٌ آخرُه بالملائكة والملائكة ايضا لها مراتبُ ومقاماتٌ متّصلةٌ اواخرُها باوائلها كما بيّنّا في رسالة الروحانيّات٬

فنريد ان نذكر في هذا الفصل مراتب الكائنات من الاركان الاربعة في المعدن والنبات والحيوان٬ ونقول ان اوّل المعدن هو الجصّ مما يلي التراب والملح مما يلي الماء وذلك الجصُّ هو مراتبُ رَمْلٍ يَبتلّ من الامطار ثم ينعقد ويصير جصًّا٬ وامّا الملح فانه ماء يمتزج بالتربة السبخة وينعقد فيصير ملحًا وآخرُ المعدن مما يلي النبات هو الكمأة والقَطَف وما شاكلها يتكوّن في التراب كالمعدن ثم ينبُت في المواضع النديّة وفي ايّام الربيع بالامطار وصوت الرعد كما ينبت النباتُ ولكن من اجل انه ليس له ثمرٌ ولا ورق ويتكوّن في التراب كما يتكوّن الجواهرُ المعدنيّة فصار من هذه الجهة يُشبه النبات ومن جهة اخرى يشبه المعدن وامّا باقي انواع الجواهر المعدنيّة ففيما بين هذين الحدّين اعني الجصّ والكمأة وقد بيّنّاه في رسالة المعدن وانواعها واجناسها وخواصّها ومنافعها٬

وامّا النبات فنقول ان هذا الجنس من الكائنات متّصلٌ اوّله بالمعدن وآخرُه بالحيوان٬ ونبيّن ذلك٬ اعلم ايّها الاخ بانّ اوّل مرتبة النباتيّة وادونها مما يلي التراب هي خَضْراء الدِمَن وآخرها واشرفها مما يلي الحيوانات النخلُ وذلك ان خضراء الدمن ليست بشيء سوى غبارٍ يتلبّد على الارض والصخور والاحجار ثم يصيبها المطر فتُصبح بالغدوات خضراء كانه نبتُ زرعٍ وحشائش فاذا اصابَها حرُّ الشمس نصفَ النهار جفّ ثم يصبح من الغد مثل ذلك من نداوة الليل وطيب النسيم ولا

ينبت الكماة وخضراء الدمن الّا في ايّام الربيع في البقاع المتجاورة لتقرب ما ينبتها لانّ هذا معدن نباتيّ وذاك نبت معدنيّ، وامّا النخل فهو اخر مرتبة النباتيّة ممّا يلي الحيوانيّة وذلك انّ النخل نبت حيوانيّ لانّ بعض افعاله واحواله مباينٌ لافعال النبات وان كان جسمه نباتيّ، بيان ذلك ان القوّة الفاعلة فيه منفصلةٌ من القوّة المنفعلة والدليل على ذلك ان اشخاص الفحولة فيه مباينٌ لاشخاص الاناث ولفحولته في اشخاصه لقحٌ في اناثه كما يكون ذلك للحيوان، وامّا سائر النبات فانّ القوّة الفاعلة منه ليست بمنفصلة من المنفعلة بالشخص بل بالفعل حسب كما بيّنّا في رسالة النبات، وايضا فان النخل اذا قُطعت رؤُس اشخاصه جفّ وبطل نموّه ونشوّه كما ان الحيوان اذا ضُربت اعناقُها بطلت وماتت فبهذا الاعتبار بان ان النخل نبتٌ بجسمٍ حيوانٌ بالنفس اذ كان افعالُ النفس الحيوانيّة افعالَه وشكلُ جسمه شكلَ النبات، وفي النبات نوعٌ آخر فعلُه فعلُ النفس الحيوانيّة وان كان جسمه نبتا وهو الكشوث وذلك ان هذا النوع من النبات ليس له اصلٌ ثابتٌ في الارض ولا له ورقٌ كسائر النبات بل هو يلتفّ على الاشجار والزرع والبقول والحشائش ويمتصّ من رطوبتها ويغتذي كما يفعل الدودُ الذي يدبّ على ورق الاشجار وقضبان النبات وتقرضها وتاكل منها وتغتذي وهذا النوع من النبات وان كان جسمُه يشبه النبات فانّ فعلَ نفسه فعلُ الحيوان، فقد بان بما وصفنا ان آخر مرتبة النباتيّة متّصلةٌ باوّل الحيوانيّة وامّا سائر مراتب النباتيّة فهي ما بين هذين المرتبتين،

واعلم ايّها الاخ ان اوّل مرتبة الحيوانيّة ايضا متّصلةٌ بآخر النباتيّة

كما ان اوّل النباتيّة متّصلة بآخر المعدنيّة واوّل المعدنيّة متّصلة بالتراب والماء كما بيّنّا قبلُ، واعلم ايها الاخ بان ادون الحيوان وانقصه هو الذي ليس له الّا حاسّة واحدة وهو الحلزون وهي دودة في جوف أُنبوبة على الصخور في بعض سواحل البحر وتلك الدودة تُخْرِج نصف شخصها من جوف تلك الانبوبة وتنبسط يمنةً ويسرةً تطلب مادّة يغتذي بها جسمُها فاذا احسّت خشنة او صلابة انقبضت وغاصت في جوف تلك الانبوبة حذرا على جسمها وفساده وليس لها سمعٌ ولا بصر ولا شمٌّ ولا ذوق ولا شيءٌ سوى اللمس حسبُ وهكذا اكثر الديدان التي تكون في الطين في قعر البحار وعمق الانهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شمٌّ لان الحكمة الالاهيّة لم تُعطِ الحيوانات عضوا لا تحتاج اليه في جرّ المنفعة او دفع المضرّة لانه لو اعطتها ما لا تحتاج اليه لكان وبالا عليها في حفظها فهذا النوع حيوانيٌّ نباتيٌّ لانه ينبت جسمه كما ينبت بعض النبات ويقوم على ساقه قائما ومن اجل ان يتحرّك بجسمه حركةً اختياريّةً فهو حيوانٌ ومن اجل انه ليس له الا حاسّة واحدة فهو انقص الحيوانات رتبة وتلك الحاسّةُ ايضا هي التي يُشاركها النبات وذلك ان النبات له حسُّ اللمس حسبُ،

والدليل على ان للنبات حسّ اللمس هو ارساله عروقَه نحو النداوة والمواضع النديّة وامتناعه عن ارسال عروقه الى ناحية الصخور واليبس وايضا اذا اتّفق منبتُه في مضيقٍ مالَ وطلب الفُسحة وان كان فوقه سقفٌ وتُرِك له ثقبٌ من جنبٍ مالَ النباتُ الى تلك الناحية حتى اذا طال اخرج من هناك رأسه وهذه الافعال تدلّ على انّ له حسّا وتمييزا بمقدار الحاجة

اليه كما حسّ الالم فليس للنبات ذلك لانه لا يليق بالحكمة الالاهيّة ان تجعل للنبات ألمًا ولم تجعل له حيلة الدفع كما جعلت للحيوان وذلك انّ الحيوان لمّا جُعل له ان يحسّ بالالم جُعل له ايضا حيلةُ الدفع اما بالفرار والهرب او بالتحرّز او بالممانعة، فقد بان بما ذكرنا وتحقّق بما وصفنا كيف مقاربته الانسانيّةَ ليست من وجه واحد لكن من عدّة وجوهٍ وذلك ان رتبة الانسانيّة لما كانت معدن الفضائل وينبوع المناقب لم يستوعبها نوعٌ واحدٌ من الحيوان لكن عدّة انواعٍ فمنها ما قرب رتبة الانسانيّة بصورة الجسدانيّة مثل القرد ومنها بالاخلاق مثل الفرس الكريم الاخلاق ومثل الطير الانسيّ الذي هو الحمام ومثل الفيل الذكيّ القلب ومثل الهزار والببّغا الكثيرة الاصوات والالحان والنغمات ومثل النحل الضعيف الصنائع وما شاكل هذه الاجناس وذلك ما من حيوانٍ يستعمله الناس وقد انس بالانسان الّا ولنفسه قُرب من الانسانيّة واما القرد فلقرب شكل جسده بجسد الانسان صارت تحاكي افعال النفس الانسانيّة كما هو معروفٌ بين الناس وامّا الفرس الكريم فانه من كرم اخلاقه صار جسده مركبا للملوك فانه ربما يبلغ من حسن ادبه انه لا يبول ولا يروث ما دام بحضرة الملك وهو راكبه وله ايضا ذكاء واقدام في الهيجاء وصبر على الطعن والجراحة كما يكون للرجل الشجاع كما وصفه الشاعر بقوله

واذا شكا مُهرى الىّ جراحة عند اختلافِ الطعنِ قلتُ له اقدم
ثمّ رآني لستُ أقبَلُ عُذرَهُ عضّ الشكيمَ على اللجام وتحمحم

واما الفيل فانه يفهم الخطاب بذكائه ويمتثل الامر والنهي كما يمتثلُ الناس المأمور والمنهيّ فهذا الحيوان في آخر مرتبة الحيوان تلي مرتبة الانسانيّة ...

يظهر منهم من فضائل الانسانيّة، واما بقي انواع الحيوانات فهم بين هاتين المرتبتين وان قد فرغنا من ذكر مراتب الحيوانيّة ممّا يلي رتبة الانسانيّة فنريد ان نذكر رتبة الانسانيّة ممّا يلي الحيوانيّة،

اعلم بانّ ادون رتبة الانسانيّة التي تلي الحيوانيّة هي رتبة الذين لا يعلمون من الامور الا المحسوسات ولا يعرفون من الخيرات الا الجسمانيّات ولا يطلبون الّا صلاح الاجساد ولا يرغبون الا في رتبة الدنيا ولا يتمنّون الا الخلود فيها مع علمهم بانّه لا سبيلَ لهم الى ذلك ولا يشتهون من اللذّات الا الاكل والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون الا في الجماع والنكاح مثل الخنزير والحمير ولا يحرصون الّا على جمع الذخائر من متاع الحيوة الدنيا يجمعون ما لا يحتاجون اليه كالنمل ويحبّون ما لا ينتفعون به كالعقائق ولا يعرفون من الزينة الا اصباغ اللباس مثل الطاؤس ويتحاربون على حُطام الدنيا كالكلاب على الجيف فهؤلاء وان كانت صورتُهم الجسدانيّةُ صورةَ الانسان فان افعالَ نفوسهم افعالُ النفس الحيوانيّة والنباتيّة،

واما الرتبةُ الانسانيّةُ التي تلي رتبة الملائكة فهي رتبة الذين انتبهت نفوسهم من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وانتعشت بحيوة العلوم والمعارف وانفتح لها عينُ البصيرة فبصرت بنور قلوبهم ما كان غائبا عن حواسّها من الامور الروحانيّة والموجودات العقليّة وشاهدت بصفاء جوهرها عالم الارواح والملا الاعلى ورأت بعين اليقين اصناف الخلائق الذين هم هناك وهي الصورة المجرّدة عن الهيولى الجسمانيّة وهم اجناس الملائكة والملا الاعلى وجنود ربك من الروحانيّين والكروبيّين وحملة العرش اجمعين وعرفت احوالهم وتبيّن لها سرورهم وملاذّهم ونعيمهم فتشوّقت نحوها ورغبت فيها

وحرصت على طلبها وزهدت في نعيم الدنيا والكون في عالم الاجساد وتركت طلب شهواتها الجسمانيّة واعرضت عن تناول لذّاتها الجرمانيّة وصارت بقدرتها عنده وان كانت بجسدها عنه فاسهر الانسان ليله مفكّرا ونهارَه طاويا في طلب المعارف والبحث عن حقائق الامور ورضي من متاع الدنيا بيسيرٍ بسرةٍ يقيم بها قوّةَ الجسد وخرقةٍ يواري بها العورة الى وقتٍ معلومٍ وعاش في الدنيا مع ابناء جنسه من الادميّين بجسده وهو بنفسه من اجناس الملائكة فاجتهد يا اخي في طلب ما طلبوه وارغب في محبتهم واقتدِ بسنّتهم وسرْ بسيرتهم لعلك تُحشر في زُمرتهم الى الجنّة دار القرار كما ذكر الله تعَ ووعد فقال جلَّ ثناؤُه وسيق الذين اتّقوا ربّهم الى الجنّة زُمَرا الآيةَ وقال رسول الله صلعم المرءُ يُحْشر يومَ القيامة مع من يحبّ وقال ان كنتم تحبّون الله فاطيعوني يُحْبِبْكم الله وقد بيّنّا طريقةَ الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وخصالَ المؤمنين المحقّقين في احدى وخمسين رسالة عملناها في غرائب العلوم وطرائف الآداب وتهذيب النفس واصلاح الاخلاق٭

٭وفّقك الله ايّها الاخ لقرائتها وفهْمِ معانيها والعمل بها٭

تمّت الرسالة العاشرة من الناموسيّة الالاهيّة في كيفيّة نضد العالم وهي الخمسون من رسائل اخوان الصفاء٭

في الهيولى والصورة*)

اعلم يا اخي ايّدك الله وايّانا بروح منه انه لمّا كان النظرُ في علم الطبيعيّات جزءًا من صناعة اخواننا الكرام والاصل في هذا العلم هو معرفةُ خمسةِ اشياء وهي الهيولى والصورة والحركة والزمان والمكان وما فيها من المعاني اذا أُضيف بعضُها الى بعضٍ احتجنا ان نذكر في هذه الرسالة طَرَفا من معنى الهيولى والصورة شِبْهَ المدخل والمقدّمات ليكون اقربَ الى فهم المبتدئين بالنظر في علم الطبيعيّات واسهلَ على تعليمهم٠

اعلم ان معنى قول الفلاسفة الهيولى انما يعنون به كلّ جوهرٍ قابلٍ للصورة وقولهم قابل للصورة يعنون به كلّ جوهر يقبلُ نقشا او شكلا وقولهم الصورة يعنون به كلّ شكل او نقش يقبله الجوهر٠ واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولى وذلك ان نجد اشياء كثيرةً جوهرُها واحدٌ وصُوَرُها مختلفةٌ مثل ذلك السكين والسيف والفأس والمنشار وكلُّ ما يعمل من الحديد من الآلات والأَواني فانّ اختلافَ أَسمائها من اجل اختلاف صورها لا من اختلاف جوهرها لان كلّها من جبلة الحديد شيء

*) الرسالة الرابعة عشر وهي الاولى من الطبيعيّات٠

واحد فعلى هذا المثال يُعتبر حال الهيولى والصورة فى المصنوعات كلّها لان كلّ مصنوعٍ لا بدّ له من هيولى وصورة يركّبه منهما صانعُه٬

واعلم ان الهيولى يقال على اربعةِ انواعٍ هيولى الصناعة وهيولى الطبيعة والهيولى الكلّيّة والهيولى الأُولى وهيولى الصناعة هو كلّ جسم يعمل منه وفيه الصانعُ صنعتَه كالخشبِ للنجّارين والتراب والماء للبنّائين والغزل للحاكة والدقيق للخبّازين وعلى هذا القياس كلّ صانع لا بدّ له من جسمٍ يعمل منه وفيه صنعته وذلك الجسم هو هيولى الصناعة٬ فامّا الاشكال والنقوش التى يعملها الصانع فيها فهى الصورُ فهذا هو معنى الهيولى والصورة فى الصنائع٬ فاما هيولى الطبيعة فهى النار والهوى والماء والارض وذلك ان كلّ ما تحت فلك القمر من الكائنات اعنى النبات والحيوان والمعادن فمنها يتكوّن واليها يستحيل عند الفساد فاما الطبيعة الفاعلة لهذا فهى قوّة من قوى النفس الكلّيّة الفلكيّة وقد فسّرنا كيفيّةَ فعلها فى هذه الهيولى فى رسالة اخرى٬ فاما الهيولى الكلّيّة فهو الجسم المطلق الذى منه جملةُ العالم اعنى الافلاك والكواكب والاركان والكائنات اجمعَ لانها كلّها اجسامٌ وانما اختلافُها من اجل صورها المختلفة٬ فاما الهيولى الاولى فهو جوهر بسيط معقول لا يدركه الحسُّ وذلك انه صورة الوجود حسبُ وهى الهُوِيّةُ ولما قبلت الهُوِيّةُ الكميّةَ صارت بذلك جسما مطلقا مشارا اليه انه ذو ابعاد ثلاثة التى هى الطول والعرض والعمق ولما قبل الجسمُ الكيفيّةَ وهى الشكل كالتدوير والتثليث والتربيع وغيرها من الاشكال صار بذلك جسما مخصوصا مشارا اليه بأىّ هو فالكيفيّةُ هى كالثلاثة والكميّةُ كالاثنين والهُوِيّةُ كالواحد فكما ان الثلاثة متأخّرةُ الوجود عن الاثنين كذلك الكيفيّة متأخّرةٌ

الوجود عن الكمّية وكما ان الاثنين متأخّرة الوجود عن الواحد كذلك الكمّيةُ متأخّرةُ الوجودِ عن الهويّة فالهويّة هي متقدّمة الوجود على الكمّية والكيفيّة وغيرهما كتقدُّم الواحد على الاثنين والثلاثة وجميع العدد٬

واعلم ان الهوية والكمّية والكيفيّة كلّها صورٌ بسيطةٌ معقولةٌ غيرُ محسوسةٍ واذا تركّب بعضُها على بعضٍ صارت بعضها كالهيولى وبعضها كالصورة فالكيفيّةُ هي صورةٌ في الكمّية والكمّية هيولى لها والكمّية هي صورة في الهويّة والهويّة هيولى لها والمثال في ذلك من المحسوسات ان القميص صورةٌ في الثوب والثوب هيولى له والثوب صورةٌ في الغزل والغزل هيولى له والغزل صورة في القطن والقطن هيولى له والقطن صورة في النبات والنبات هيولى له والنبات صورة في الاركان والاركان هيولى له والاركان صورة في الجسم والجسمُ هيولى لها والجسم صورة في الجوهر والجوهر هيولى له وعلى هذا المثال يُعتبر حالُ الصورة عند الهيولى وحال الهيولى عند الصورة الى ان ينتهي الاشياء كلُّها الى الهيولى الاولى التي هي صورةُ الوجود حسبُ لا كيفيّةَ فيها ولا كمّية وهو جوهرٌ بسيطٌ لا تركيبَ فيه بوجهٍ من الوجوه وهو قابلٌ للصورة كلّها ولكن على الترتيب كما بيّنّا لا لأيّ صورةٍ كانت تأخّرت او تقدّمت بل الاولى فالاولى ومثال ذلك ان القطن لا يقبل صورةَ الثوب الّا بعد قبوله صورةَ الغزل والغزل لا يقبل صورة القميص الا بعد قبوله صورةَ الثوب٬ وعلى هذا المثال يكون قبول الهيولى للصورة واحدة بعد اخرى٬

اعلم يا اخي ان الاجسام كلّها جنسٌ واحدٌ وجوهر واحد وهيولاها واحدة وانما اختلافها بحسب اختلاف صورها ومن اجلها صار بعضها اصفى

من بعض واشرف وذلك ان عالم الافلاك اصفى واشرف من عالم الاركان وعالم الاركان بعضها اشرف من بعضٍ وذلك ان النار اصفى من الهوى واشرف منه والهوى اصفى من الماء واشرف منه والماء اصفى من التراب واشرف منه وكلها اجسامٌ طبيعيّة يستحيل بعضها الى بعض وذلك ان النار اذا أُطفئَتْ صار هواء والهواء اذا غلظ صار ماء والماء اذا غلظ وجمد صار ارضا وليس للنار ان يُلطف فيصير شيءٌ اخر اشرف منه ولا للارض ان يغلظ فيصير شيءٌ اخر بل اذا تركّبت اجزاؤُها تكون منها المولّدات اعنى المعدن والنبات والحيوان ولكن يكون بعضُها اشرفَ تركيبا من بعضٍ وذلك ان الياقوت اصفى من البلّور واشرف منه والبلّور اصفى من الزجاج واشرف منه والزجاج اصفى من الخزف واشرف منه كذلك الذهب اشرفُ من الفضّة واصفى منها والفضّة اصفى من النحاس واشرف منه والنحاس اصفى من الحديد واشرف منه والحديد اشرف من الأُسرب واصفى منه وكُلُّها جارةٌ معدنيّة اصلُ كلّها الزيبق والكبريت اصلُهما النار والتراب والماء والهواء فهيولاها واحدة وصورُها مختلفةٌ وصفوُها وشرفها بحسب تركيبها واختلاف صورها وكذلك حكم الحيوان والنبات فلها بهيولى واحدةٌ وانما اختلافها وشرفُ بعضها على بعض بحسب اختلاف صورها٬

واعلم ان الاجسام الجزئيّة منها ما يقبل صورةَ الجسم الكلّيّ اذا صُوّر فيه فيصير بقبوله تلك الصورةَ اشرفَ وافضل من سائر الاجسام الجزئيّة الساذجة والمثال فى ذلك قطعةٌ من النحاس اذا صُوّر فيها الفلك مثل الأُسطرلاب وذات الحلق او الكرة المصوّرة فانها تكون عند ذلك اشرفَ وافضلَ واحسنَ من كونها ساذجةً٬ وهكذا حكم كلّ جسمٍ قبل صورةً ما فانه عند ذلك يكون

افضلَ واشرف واحسن من كونها ساذجةً وهكذا الحكم في جواهر النفوس
وذلك بانّ النفوس كلّها جنسٌ واحد وجوهرٌ واحد وان اختلافها بحسب
معارفها واخلاقها وآرائها واعمالها لان هذه الاحوال هي صورةٌ في جوهرها
وهي كالهيولى لها وذلك ان الانفس الجزوية اذا قبلت علماً من العلوم يكون
افضلَ واشرف من سائر النفوس التي من ابناء جنسها· واعلم ان العلوم
في النفس ليست شيئاً سوى صُوَرِ المعلومات انتزعتها النفسُ وصوّرتها في
ذاتها فيكون عند ذلك جوهرُ النفس لصور تلك المعلومات كالهيولى لها وهي
فيها كالصورة·

اعلم ايّها الاخ ان من الانفس الجزئيّة ما يتصوّر بصور النفس الناطقة
الكلّيّة ومنها ما يقاربها وذلك بحسب قبولها ما يفيض عليها من المعارف
والعلوم والاخلاق الجميلة وايُّها كانت اكثرَ قبولا كانت افضلَ واشرف من
سائر ابناء جنسها مثلُ نفوس الانبياء عليهم الصلوة والسلامُ فانها لمّا قبلت
بصفاء جوهرها الفيضَ الالٰهيَّ من النفس الكلّيّة املت بالكُتب الالٰهيّة التي
فيها العجائب الخفيّة من العلوم والمعاني اللطيفة والاسرار المكنونة التي لا
يمسُّها الا المطهَّرون من ادناس الطبيعة وما وُضعت به من الشرائع العقليّة
النافعة للكلّ والسنن العادلة الزكيّة فاستنقذوا بها نفوساً كثيرةً غريقةً في
بحر الهيولى واسرِ الطبيعة ومثلُ النفوس الفَلْسفيّة التي استنبطت علوما كثيرة
خفيّة واستخرجت صنائعَ بديعةً وبنت هياكل حكميّة ونصبت طلسمات
عجيبة ومثل النفوس الكاهنيّة المخبرة بالكائنات قبل كونها بدلائل فلكيّة
وعَلامات الزايرجة والى هذه النفوس اشاروا بقولهم· الفلسفةُ هي التشبُّه بالإله
بحسب طاقة الانسان· واليها اشاروا بقولهم في خاصّيّة العقل المُنفعل ان

يقبل الجزء منه صورة الكلّ واليه اشار القائل بقوله

كلّ الهياكل صورة مذمومة　　الّا الّذى فى صورة الأفلاك

وأتمّها بين الذوات لأنّها　　قبلت تمام صورة الادراك

كم بين نفسٍ شامخٍ فى ذروةٍ　　أو ما يكون بحجرة الحكّاك

واليه أشار القائل بقوله

وما كان الّا كوكبٌ كان بيننا　　فودّعنا جرى لمعدنه وهم

رأى المسكن العلوىّ أولى بمثله　　فطار وأضحى بين أشكاله نجم

اعلم ان فضائل النفس الكلّيّة فائضة على الانفس الجزويّة دفعة واحدة مبذولة لها فى دائم الاوقات ولكن الانفس الجزويّة لا تطيق قبولها الّا شيئاً بعد شيء فى ممرّ الزمان ومثال فى ذلك فيض الانفس الجزويّة بعضها على بعض وذلك انّ الابَ المشفق والمعلّم الحريص على تعليم تلميذه يودّ ان يعلّم كلّ ما يحسنه تلميذه دفعةً واحدةً لكن نفس المتعلّم لا يقبل الّا شيئاً بعد شيء على التدريج'

واعلم انّ المانع للانفس الجزويّة من قبول الفيض عن النفس الكلّيّة هو استغراقها فى بحر الهيولى وتراكم ظلمات الاجساد على بصرها لشدّة ميلها الى الشهوات الجسمانيّة وغرورها باللذّات الجرمانيّة فمتى انتبهت من نوم جهالتها واستيقظت من رقدة غفلتها واخذت تترقّى فى العلوم والمعارف ودامت على تلك الحال لحقت بالنفس الكلّيّة وشاهدت تلك الانوار العقليّة البهيّة ونالت تلك الملاذّ الروحانيّة والمسرّة الديموميّة الابديّة ومتى ما اعرضت عمّا وصفنا واقبلت على طلب الشهوات الجسمانيّة والزينة الطبيعيّة بعدت من ذلك وانحطّت الى اسفل السافلين وغرقت فى بحر الهيولى

وغشيته امواجه وترادمت على بصره ظلماته والى هذين الحالتين اشار
بقوله تعالى مَثَلُ نورِه كَمِشكوةٍ فيها مصباحٌ المِصْباحُ في زُجاجةٍ الزُّجاجةُ
كانّها كوكب دُرّيٌّ يوقَدُ من شجرةٍ مباركةٍ زَيْتونةٍ لا شرقيّةٍ ولا غربيّةٍ يكادُ
زيتُها يُضيء ولو لم تمسسه نار نورٌ على نورٍ يهدى الله لنوره من يشاء
ويَضْرِبُ اللهُ الامثالَ للناس واللهُ بكلّ شيء عليمٌ وبقوله تعالى كظلمات في
بحرٍ لُجّيٍّ يغشاهُ موجٌ من فوقه موجٌ من فوقه سَحابٌ ظلماتٌ بعضها فوق
بعضٍ اذا أَخْرج يدَه لم يكَدْ يَراها ومَنْ لم يجعل الله له نورا فما له من نورٍ

في ماهيّة المكان

اما المكانُ عند جمهور الناس فهو الوعاء الذى يكونُ فيه المتمكّنُ
فيقال انّ الماء مكانه الكوز الذى هو فيه وانّ الخلّ مكانه الزقّ الذى
هو فيه وعلى هذا القياس مكانُ كلّ شيء هو الوعاء الذى هو فيه ويقال
ايضا مكانُ السمك هو الماء ومكان الطير هو الهواء وبالجملة مكان كلّ
متمكّن هو الجسم المحيط به وقد قيل ان المكان هو سطح الجسم الحاوى
الذى على المحوىّ فيه وقد قيل لا بل المكانُ هو سطح الجسم المحوىّ الذى
يلى الحاوىَ وعلى كلا القولَيْن يجب ان يكون المكانُ جوهرا وقد قيل
ايضا انّ المكان هو الفصلُ المشترك بين سطح الحاوى وسطح المحوىّ وعلى
هذا الراى يجب ان يكون المكانُ عرضا وقد قيل ايضا انّ المكان هو
الفضاء الذى يكون فيه الجسمُ ذاهبا طولا وعَرضا وعُمْقا وانّ مكانَ كلّ
جسمٍ مثله سَواءً فاذا كان الجسم مدوّرا بالشكل او مربّعا او مثلّثا او ايّ
شكلٍ كان فان مكانه مثله سواءً لا اصغر ولا اكبر قد قيل في المَثَل انّ المكانَ

هيولى الجسم وعلى هذا الرأي يجب ان يكون المكان جوهرا٠

واعلم ان الذين قالوا ان المكان هو الفضاء انّما نظروا الى صورة الجسم ثم انتزعوها عن الهيولى بالقوّة الفكريّة وصوّروها في نفوسهم وسمّوها الفضاء واذا نظروا اليها وهي في الهيولى سمّوها المكان وهذا يدلّ على قلّة معرفتهم ايضا بجوهر النفس وكيفيّة معرفتها٠ واعلم انّ من شرف جوهر النفس وعجائب قواها وظرائف معرفتها ايضا انها تنزع صور المحسوسات من هيولاها وتصوّرها في ذاتها وتنظر اليها خلوا من الهيولى وتفرّق بين الهيولى والصورة وتنظر الى كلّ واحدة منهما تارة مفردة وتارةً مركّبة وانّ من شدّة قوّتها الوهميّة انها تنظر تارةً الى العالم وكأنّها خارجةٌ منه وتارة تنظر كأنّها داخلةٌ فيه وربّما ترفع العالم من الوجود اصلا وربّما تتقدّمت الزمان الماضي ونظرت الى بدو كون العالم وبحثت عن علّة كونه بعد ان لم يكن وربّما سبقت الزمان المستقبل ونظرت الى فناء العالم قبل حينه وتتصوّر كيف يكون ذلك وانّ من شدّة قوّتها ايضا ان تضاعف العدد الى ما لا نهايةَ له وتُجرى المقدار الى ما لا نهايةَ له وتتوهّم ان خارج العالم فضاء الى ما لا نهايةَ له وما شاكل هذا من افعالها العجيبة وما تتصوّر بقوّتها الوهميّة فمن ظنّ ان الفضاء هو جوهر قائم بنفسه او انّ خارج العالم فضاء بلا نهاية او انّ المدّة جوهر انشقّ من العالم وانّ الجزء من الهيولى يتجزّأ ابدا وما شاكل هذه المسائل فمثل هذه الاقاويل قالوها لقلّة معرفتهم بجوهر النفس وعجائب قواها وكيفيّة تصرّفها في المعارف والعلوم٠

في ماهيّة الحركة

يقال ان الحركة على ستّة أوجُهٍ الكونُ والفساد والزيادة والنقصان والتغيير والنقلة. فالكون هو خروج من العدم الى الوجود او من القوّة الى الفعل والفسادُ عكسُ ذلك والزيادة هو تباعُد نهايات الجسم من مركزه والنقصانُ عكسُ ذلك والتغيير هو تبدُّل الصفات على الموصوف من الالوان والطعوم والروائح وغيرها من الصفات. واما الحركة التي تسمّى النقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكانٍ الى مكانٍ آخرَ وقد يقال ان النقلة هو الكون في محاذاة الناحية الاخرى في زمنٍ ثانٍ وكلا القولَيْن يصحّ في الحركة التي هي على الاستقامة فامّا التي على الاستدارة فلا يصحّ لان المتحرّك على الاستدارة لا ينتقل من مكانٍ الى مكانٍ اخر ولا يصير في محاذاةٍ اخرى في زمانٍ ثانٍ فان قيل ان المتحرّك على الاستدارة اجزاؤُه هيَ تتبدّل اماكنُها وتصير في محاذاةٍ اخرى في زمنٍ ثانٍ الّا الجزءُ الذي هو في المركز فانه ساكنٌ لا يتحرّك فليعلمْ من يقول هذا القول او يظنّ انّ هذا رأيٌ صحيحٌ انّ المركز انما هو نقطةٌ متوهّمة وهي رأسُ الخطّ ورأسُ الخطّ لا يكون مكان لجزءٍ من الجسم ولْيَعلمْ ايضا ان المتحرّك على الاستدارة جميع اجزائه متحرّك وهو لا ينتقل من مكان الى مكان ولا يصير محاذيا لشيءٍ اخر في زمان ثانٍ فامّا الحركة على الاستقامة فلا يمكن الا بالانتقال من مكان الى مكان اخر والمرورِ بمحاذيات في زمن ثانٍ فان قيل انه عكس ذلك فانّ الانسان مَثَلًا قد يحرّك يده او بعض اعضائه وهو لا ينتقل من مكان الى مكان فاذا ترى كيف يكون حال اليد هل يجوز ان يتحرّك ولا يخرج من مكان الى مكان وكذلك حكم الاصبع

هل يجوز ان تتحرّك ولا تنتقل من مكان الى مكان او لا تمرّ بمحاذاة اخرى فى زمان ثان' واعلم انه متى تحرّكت الاجزاء من جسم فقد تحرّكت الجملة ومتى تحرّكت الجملة فقد تحرّكت تلك الاجزاء لانّ تلك الاجزاء ليست غيرَ تلك الجملة وذلك انه اذا تحرّك الانسانُ فقد تحرّكت جملة اعضائه واذا تحرّكت اعضاؤه فقد تحرّك هو وان تحرّك يده وحدها فقد تحرّك اجزاء اليد كلّها لانّ اليد ليست شيئاً غيرَ تلك الاجزاء وكذلك ان تتحرّك الاصبع وحدةً فقد تحرّكت اجزاء الاصبع كلّها لانّها ليست الاصبع شيئاً غيرَ تلك الاجزاء فمن ظنّ انه يجوز ان تتحرّك الاجزاء ولا تتحرّك الجملةُ او بالعكس فقد اخطأ' واعلم انه قد ظنّ كثيرٌ من اهل العلم انّ المتحرّك على الاستقامة يتحرّك حركاتٍ كثيرةً لانه يمرّ فى حركته بمحاذيات كثيرةٍ وليس ينبغى ان يُعتبَرَ كثرةُ الحركات بكثرة المحاذيات فان الجسم فى مروره الى ان يقع حركتُه واحدةٌ وان كان يمرّ بمحاذيات اشياء كثيرةٍ وكذلك المتحرّك على الاستدارة فحركتُه واحدةٌ الى ان يقف وانْ كان يدور دوراناً كثيراً'

واعلم انه لا يُفصل حركةٌ من حركةٍ الّا بسكونٍ بينهما وهذا يعرفه ولا يشكّ فيه اهلُ صناعة الموسيقى وذلك ان صناعتَهم معرفةُ تأليف النغم والنغم لا يكون الّا بالاصوات والاصوات لا تحدثُ الا بتصادُم الاجسام وتصادُم الاجسام لا يكون الا بالحركات والحركاتُ لا تنفصلُ بعضُها من بعض الا بسُكوناتٍ تكون بينها فمن اجل هذا قال الذين نظروا فى تأليف النغم ان بين زمان كلّ نقرتَيْنِ زمانَ سكونٍ وقد بيّنّا طرفاً من العلم فيه فى رسالة لنا فى تأليف اللحون ما هى وكيف هى وكم هى فاعرفْها من هناك'

واعلم انه ينبغى لمن ينظر فى حقائق الاشياء ويبحث عن خفيّاتها ان

يبتدئ اولا وينظر ويبحث عن الشيء عرض او جوهر عن هيولى او صورة عن
جسماني او روحاني فان كان جوهرا فهي جوهر هو وان كان عرضا فهي عرض
هو وان كان هيولى فهي هيولى وان كان صورة فكيف هي. واعلم ان الحركة
في بعض الاجسام جوهرية له كحركة النار فانه متى سكنت حركتها طفئت
وبطل وجوده وفي بعض الاجسام عرضية له كحركة الماء والهواء والارض
لانه اذا سكنت حركتها لا يبطل وُجوده. واعلم ان الحركة هي صورة
روحانية جعلتها النفس في الجسم بعد الشكل وان السكون عدمُ تلك
الصورة والسكون بالجسم أَولى من الحركة لانّ الجسم ذو جهات فلا يمكنه
ان يتحرك الى جميع جهاته دفعة واحدة وليست حركته الى جهة اولى
من جهة فالسكونُ اذًا به اولى من الحركة. واعلم ان الحركة وان كانت هي
صورة فهي صورة متممة روحانية تسري في جميع اجزاء الجسم وتنسلّ
منه بلا زمان كما يسري الضوء في جميع اجزاء الجرم الشفاف وينسلّ منه
بلا زمان فانك ترى السراج اذا دخل البيت اضاء البيت من اوله الى آخره
دفعة واحدة واذا خرج اظلم هواء البيت دفعة واحدة بلا زمان وكذلك
اذا طلعت الشمس بالمشرق اضاءت الجوّ من المشرق الى المغرب دفعة واحدة
واذا غابت بالمغرب اظلمت الجوّ دفعة واحدة بلا زمان فاما الحرارة فانها بدت
اولا فاولا فيحمى الجوّ بزمان وكذلك اذا غابت الشمس برد الهواء اولا فاولا.

واعلم ان حكم الحركة كله كحكم الضوء وذلك لو كان خشبة طولها من
المشرق الى المغرب ثم جُذبت الى المشرق او الى المغرب عقدا واحدا لتحركت
اجزاؤها دفعة واحدة.

واعلم ان بعض افعال النفس في الجسم بزمان وبعض افعالها بلا زمان

دلالةً على انّ جوهره فوق الزمان لانّ الزمان مقرونٌ بحركة الجسم والجسم مفعول النفس وان النفس لمّا جعلت للجسمَ الفلكيّ كريَّ الشكل الذى هو افضلُ الاشكال جعلت حركته ايضا الحركةَ المستديرة التى هى افضل الحركات٬

فى ماهيّة الزمان٬

امّا الزمانُ عند جمهور الناس فهو مرورُ السنين والشهور والايّام والساعات وقد قيل انه عددُ حركات الفلك وقد قيل انه مدّةٌ تعدُّها حركاتُ الفلك وقد يُظنُّ ان الزمانَ ليس بموجود اصلا اذا أُعتبر بهذا الوجه وذلك ان طولَ اجزاء الزمان هى السنون والسنونُ منها ما قد مضى ومنها ما لم يجئْ بعدُ وليس الموجودُ منها الّا سنةً واحدةً وهذه السنةُ ايضا شهورٌ منها ما قد مضى ومنها ما لم يجئْ بعدُ وليس الموجود منها الّا شهرا واحدا وهذا الشهر منه ايّامٌ قد مضت وايّامٌ لم تجئْ بعدُ وليس الموجودُ منه الّا يوم واحدا وهذا اليوم منه ساعاتٌ قد مضت ومنه ساعاتٍ لم تجئْ بعدُ وليس الموجودُ منه الا ساعةً واحدةً وهذه الساعةُ اجزاءٌ منها قد مضت واجزاءٌ منها لم تجئ بعدُ فبهذا الاعتبار ليس للزمان وجود اصلا واما بهذا الوجه الاخر اذا اعتبر فالزمان موجودٌ ابدا وذلك ان الزمان لمّا يومٌ وليلةٌ اربع وعشرون ساعةً وهى موجودة فى اربع وعشرين بُقعةً من استدارة الارض تدورُ حولها دائما٬ بيان ذلك اذا كان نصفُ النهار فى يوم الأَحد فى البلدان التى طولُها تسعون درجةً فان الساعةَ الأُولى من هذا اليوم موجودة فى البلدان التى طولها من درجة الى خمس عشرة درجة والساعة الثانيةُ موجودةٌ فى البلدان التى طولها من ستّ عشرة درجة الى

ثلثين درجة والساعة الثالثة موجودة في البلدان التي طولها من احدى وثلثين درجة الى خمس واربعين درجة والساعة الرابعة موجودة في البلدان التي طولها من ست واربعين درجة الى ستين درجة الخ والساعة الثانية عشرة موجودة في البلدان التي طولها الى تمام مائة وثمانين درجة وفي مقابلة كل بقعة من هذه من استدارة الارض ساعات الليل موجودة كل واحدة نظيرتها فان تشكّ فيما قلنا فسَلْ اهلَ الصناعة الناظرين في علم النجوم والمجسطي ليخبرك بصحّة ما قلنا فانه قد قيلَ استَعينوا على كلّ صنعةٍ باهلها٬ واعلم ان من مرور الليل والنهار حولَ الارض دائما يحصل في نفس من يتأمّلها صورةُ الزمان كما يحصل فيها صورة العدد من تكرار الواحد وذلك ان العدد كله ازواجه وافراده صحيحه وكسوره آحاده وعشراته ومئاته والوفه ليس بشيء غير جملة الآحاد يحصل في نفس مَنْ يتأمّله كما بيّنّا في رسالة العدد فهكذا ايضا الزمانُ ليس هو شيئاً غيرَ جملة السنين والشهور والايّام والساعات تحصل صورتها في نفس من يتأمّلها بمرور الليل والنهار حولَ الارض دائما٬ فهذه الخمسةُ الاشياء التي اتينا بشرحها وهي الهيولى والصورة والمكان والزمان والحركة محتوية على كلّ جسم فكلُّ من لم يكن مرتاضا بالنظر في هذه الاشياء فلا يَسَعُه النظر في الامور الطبيعيّة فانه لا يمكنه ان يعرفها كُنْهَ معرفتها ومن لم يكن مرتاضا في الامور الالاهيّة فلا يسعه الكلامُ في الامور الالاهيّة لانه لا يمكنه ان يعرفها كُنْهَ معرفتها٬

تفكّر يا اخي فيما ذكرنا في هذه الرسالة من اقاويل العلماء لتفهم ما قالوه وتتصوّر ما وصفوا من معاني هذه الاشياء فان كان عندك زيادة عليها افدنا وان انكرت شيئاً ممّا قلناه بيّنه لنا وان اشتبه عليك شيء ممّا

حكيناه فلا تتّهمنا بانّا قصرنا في التبيين او قلنا ما ليس بالحقّ٬

في العلوم الطبيعيّة

اعلم بانّ لكلّ صناعةٍ وعلمٍ اعلا ولاعلى كلّ صناعةٍ وعلمٍ اصولا ثمّ فيها متّفقون وفي فروعها متكلّمون وعلى تلك الاصول يقيسون فيها ثمّ فيه مختلفون٬

واعلم بان النظر في العلوم الطبيعيّة جزءٌ من صناعة اخواننا الكرام ايّدهم الله بروحٍ منه والامورُ الطبيعيّة هي الاجسامُ وما يعرض لها من الاعراض اللازمة والمزايلة وقد عملنا في هذه العلوم سبعَ رسائل أُولاها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولى والصورة والحركة والمكان والزمان اذ كانت هذه الخمسة اشياء محتويّةً على كلّ جسم وقد ذكرنا في رسالة الحاسّ والمحسوس الاشياء العارضة للاجسام بقولٍ وجيزٍ ثم يتلوها الرسالةُ التي ذكرنا فيها السماء والعالم ووصفنا فيها ترتيبَ الافلاك وكميّتها وسَعَةَ اقطارها وسرعة دورانها وعُظْم الكواكب وفنون حركاتها واوصاف البروج وتخطيطها ثمّ يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها الكونَ والفسادَ وماهيّة الاركان الاربعة التي تحت فلك القمر وهي النارُ والهواء والماء والارض ووصفنا فيها كيفيّةَ استحالة بعضها في بعض وحدوثَ الكائنات منها ثم يتلوها الرسالة الرابعة التي ذكرنا فيها حوادث الجوّ والتغييرات التي تحدث في الهواء فوق رؤسنا ثم يتلوها الرسالة الخامسة التي ذكرنا فيها المعادنَ وجواهرها ووصفنا فيها كيفيّة تكوينها في باطن الارض وكهوف الجبال وقعر البحار ثم يتلوها الرسالة السادسة التي ذكرنا فيها النبات ووصفنا فيها اجناسَها وانواعها وخواصّها ومنافعها ومضارّها ثم يتلوها الرسالة السابعة التي ذكرنا فيها اجناس الحيوان وانواعها واختلاف طبائعها بقولٍ وجيزٍ

وقد عملنا خمس رسائل أُخَر قبل هذه وهي في الرياضيّات أوّلها الرسالة التي ذكرنا فيها العدد وانواعه وخواصّه وكيفيّة نشوءه من الواحد الذي قبل الاثنين ثمّ يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها الهندسة واصولها وانواع المقادير وكيفيّة نشوءها من النقطة التي هي في صناعة الهندسة كالواحد في صناعة العدد ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها النجوم ووصفنا الافلاك والكواكب وبيّنّا ان نسبتها الى الشمس كنسبة العدد من الواحد ونسبة مقادير الهندسة من النقطة ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها النِسَب العدديّة والهندسيّة والتأليفيّة وان منشأها كلّها على نسبة المساواة كمنشأ العدد من الواحد وكنشأ مقادير الهندسة من النقطة ثم يتلوها الرسالة التي ذكرنا فيها المنطق الفلسفيّ ووصفنا فيها المقولات العشرة التي كلُّ واحدٍ منها جنس الاجناس وبيّنّا كمّيّة انواعها وخواصّها وانّ واحدا منها الجوهر والتسعة الباقيةَ هي اعراض وتعلّقها في وجودها بالجوهر كتعلّق العدد بالواحد الذي قبل الاثنين٬

وقد تكلّم في هذه الاشياء من كان قبلنا من الحكماء الاوّلين ودوّنوها في الكتب وهي موجودة في ايدي الناس ولكن من اجل انهم طوّلوا فيها الخطب ونقلوها من لغة الى لغة مَن لم يكن يفهم معانيها انغلقت على الناظرين معانيها في تلك الكتب وصعُب على الباحثين معرفةُ حقائقها فمن اجل ذلك عملنا هذه الرسائل واوجزنا القول فيه شبهَ المدخل والمقدّمات كيما يقرب على المتعلّمين فهمُها ويسهُل على المبتدئين النظرُ فيها٬

واعلم يا اخي انّك ان كنت تحبّ للعلم والحكمة فيجب ان تسلك طريقة العلم والحكمة وهو ان تقتصر من امور الدنيا على ما لا بدّ منه

وتترك الفضول وتجعل اكثر همّتك وعنايتك فى طلب العلم ولقاء اهله ومجالستهم بالمذاكرة والبحث وان تروض نفسك بتسيير العدالة التى وُصفت في كتب الانبياء عليهم السلام وبالنظر في هذه العلوم التى تقدّم ذكرها وهي التى كانوا يروضون بها اولاد الفلاسفة ويتخرّجون بها تلامذتهم ليقوى فهمك على النظر في الامور الالٰهيّة التى هي الغرض الاقصى من المعارف٬

واعلم يا اخى بان الامور الالٰهيّة هي الصور المجرّدة من الهيولى وهي جواهرُ باقيةٌ خالدة لا يعرض لها الفسادُ والآفات كما يعرض للامور الجسمانيّة٬

واعلم بان نفسَك هي احدى تلك الصور فاجتهد في معرفتها لعلّك تخلّصها من بحر الهيولى وهاوية الاجسام واسر الطبيعة التى وقعت فيها بجناية كانت من ابينا آدمَ عليه السلام الذى حين عصى أُخرج هو وذرّيّته من الجنّة التى هي عالَم الارواح وقيل لهم اهبطوا منها جميعا بعضُكم ببعضٍ عدوٌّ ولكم في الارض مستقرٌّ ومَتاعٌ الى حينٍ فيها تحيَوْن وفيها تموتون ومنها تخرجون اذا نُفِخَ فيكم في الصورِ وتنشقُّ عنكم القبورُ يومَ البعث والنشور وقيل لهم انطَلِقوا الى ظلٍّ ذى ثَلٰثِ شُعَبٍ الذى هو عالَمُ الاجسامِ ذو العرض والطول والعُمق٬

فاجتهد يا اخى في معرفة هذه المراقى والرموز التى فى الكتب النبويّة لعلّك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتحيا بروح المعارف الربّانيّة وتفوز وتعيش بحيوة العلوم الالٰهيّة وتسلم من آفات الطبيعة٬

واعلم بان النفس بمجرّدها لا يلحَقها الآلامُ والامراض والاسقام والجوع والعطش والحرّ والبرد والعرى والهموم والغمومُ والاحزانُ ونوائبُ الحدثان لان هذه كلّها تعرض لها من اجل مقارنتها الجسدَ لان الجسد جسمٌ قابلٌ للآفات

والفساد والاستحالة والتغيير واما النفس فلأجل انها جوهرة روحانيّة فليس لها من هذه الآفات شيء٬

واعلم انه ذهب على اكثر اهل العلم معرفة انفسهم لتركهم النظر في النفس والبحث عن معرفة جوهرها والسؤال من العلماء العارفين بعلمها وقلّة اهتمامهم بامر انفسهم وطلب خلاصها من بحر الهيولى وهاوية الاجسام والنجاة من اسر الطبيعة والخروج من ظلمة الاجساد لشدّة ميلهم الى الخلود في الدنيا واستغراقهم في الشهوات الجسمانيّة واغترارهم باللذّات الجرمانيّة والأُنس بالمحسوسات الطبيعيّة ولغفلتهم عمّا يوصف في الكتب النبويّة من نعيم الجنان وفي عالم الافلاك من الرَوْح والريحان واما قلّت رغبتهم فيها لقلّة تصديقهم بما اخبرت به الانبياء عليهم السلام وما اشارت اليه الفلاسفة الحكماء ممّا يقصر الوصف عنه من لطيف المعاني ودقيق الاسرار فانصرفت هممهم كلّها عنها الى امر هذا الجسد المستحيل وجعلوا سَعْيَهم كلّه لصلاح معيشة حيوة الدنيا من جمع الاموال والاثاث والمشارب والمراكب والمناكح فصيّروا انفسَهم عبيدَ الاجساد واجسادَهم مالكةً لانفسهم وسلّطوا الناسوت على اللاهوت والظلمة على النور والشياطين على الملائكة وصاروا من جنود ابليسَ واعداء الرحمن٬

واعلم بانّ من الاشياء ما قد بلغتَ وجاوزت وشاهدت ومنها ما لم تبلغها بعدُ وذلك انك قد اتى عليك حينٌ من الدهر لم تكنْ شيئاً مذكوراً ثم خُلقت من ماء مهينٍ ثم نُقلت الى الرحم في قرارٍ مكينٍ ومكثت هناك تسعةَ اشهرٍ لتتميم البنية وتكميل الصورة ثم نقلت الى هذا الجوّ الفسيح ومكثت اربع سنين لكمال التربية ولشدّة القوّة وشاهدت بحواسّ محسوساتها

وحصل لك الفهم والذهن والتمييز والفكر والروية والمعرفة الغريزية ثم أُسلمت لك الكتب وعلّمت ما لم تكن تعلم من القراءة والكتابة والادب والرياضة وحساب الدواوين والكيل والموازين ثم نقلت الى مجلس اهل العلم والفضل في المَساجد والصلوات والمواعظ والاعياد والى الاسواق والصنائع لتشاهد هذا العالم بما فيه من الجبال والبراري والبحار والمُدُن والقُرى والانهار وعاينت فيه اصناف الخلائق من الحيوان والنبات والمعادن وعرفت تصاريف احواله في الحرّ والبرد والليل والنهار والشتاء والصيف والنور والظلمة وتصاريف الرياح والغيوم والامطار وعاينت دوران الافلاك وطوالع البروج ومسير الكواكب وحوادث الايام ونوائب الحدثان وذلك كله لكيما تنتبه نفسك من نوم الغفلة وتتيقّظ من رقدة الجهالة وتتفكر فيما شاهدت وتعتبر بما رأيت من احوال هذه الدنيا وتعلم علما يقينا بانك ستُنقل من هذه الى مملكة اخرى بعد الموت وتنشأ نُشوءًا آخر فتستعد للرحلة وتتزود للسفر قبل فناء العمر وتقارُب الاجل وعسى ان تتخلّق باخلاق الملائكة وتتزيّن بشمائلها وتترك اخلاق اخوان الشياطين وجنود ابليس اجمعين وهذه دعوة للعاقل وهذه صورة العالم الاكبر وما فيه من الحيوان والنبات والمعادن وايصالُ بعضها ببعض،

وقد قلت في كتابي ان ابتداء الاشياء الحركة واخرها السكون فلذلك جُعل اولُ حدود الفلك القمر واخره الارض لان موضع الحركة الابتداء وموضع السكون الانقضاء وجُعل فيما بين ابتداء دوران الفلك الى انقضاء حركته سكونٌ تكثر عدد اجزاء الفلك وعلى قدر قوة الحركات وضعفها وكما رايت للفلك اثني عشرة سماوية مع اربعة فيها فتقرن منها ستة لستة ورايت المتحركة من الفوق على ادنى عشر حدا فجعلت بعضها ساكنة وبعضها متحركة فابتدأت الحركة من

رأس الحمل وجُعلت على اثره السعود يتبع ثمّ بحركة سائر الكواكب لتعتدل الفصول الاربع ولتستقيم دوران الافلاك فيكون من دورانه جميع ما في العالم وقدرا وقدرا الى اسفل جميع الخفيّات·

فهل لك يا اخي ان تنظر لنفسك وتسعى في صلاحها وتطلب نجاتها وتفكّ اسرها وتخلّصها من الغرق في بحر الهيولى واسر الطبيعة وظلمة الاجساد وتخفّف عنها اوزارها وثقل الاسباب المانعة لها عن الارتقاء الى ملكوت السماء والدخول في زمرة الملائكة في فسحة عالم الافلاك والارتفاع في درجات الجنان والتنفُّس من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن ان ترغب في صحبة اصدقاء لك نُصحاء واخوان لك فُضلاء والّذين لك كرام حريصين على صلاحك ونجاتك مع انفسهم قد خلَعوا انفسهم من خدمة ابناء الدنيا وجعلوا لذّة طلب نعيم الآخرة وان تسلك مسالكهم وتقصد مقصدهم وتخلّص سرّك معهم وتتخلّق بأخلاقهم وتسمع اقاويلهم لتعرف اعتقادهم وتنظر في علومهم لتعرف اسرارها وما يخبرونك به من العلوم الشرعيّة والمعارف الحقيقيّة والمعقولات الروحانيّة وخصوصيّات النفسانيّة واذا دخلت مدينتهم الروحانيّة وسرت بسيرتهم الملكيّة وعملت بسنّتهم الزكيّة وتفقّهت بشريعتهم العقليّة فلعلّك تؤيَّد بروح الحيوة لتنظر الى الملَا الاعلى وتعيش عيش السعداء مسرورا فرحا مبقى مخلّدا ابدا بنفسك البهيّة الشريفة النيّرة المشرقة لا بجسدك الثقيل المتغيّر المستحيل الفاسد البالي وفّقك الله وايّاك بروح منه وجميع اخواننا للرشد واوصلك وايّانا الى دار السلام برحمته ومنّه والحمد لله ربّ العالمين والصلوة والسلام على رسوله محمّد وآله وصحبه اجمعين·

في ماهيّة الطبيعة ١)

اذ قد فرغنا من ذكر الصنائع البشريّة في الرسالة الملقبة بالصنائع العمليّة فنريد ان نذكر في هذه الرسالة الصنائع الطبيعيّة فنقول اوّلا ما الطبيعة

اعلم ان الطبيعة انما هي قوّة من قوى النفس الكلّيّة الفلكيّة وهي سارية في جميع الاجسام التي دون فلك القمر من لدن كرة الاثير الى منتهى مركز الارض

اعلم ان الاجسام التي دون فلك القمر نوعان بسيطة ومركّبة والبسيطة اربعة انواع وهي النار والهواء والماء والارض والمركّبة ثلثة انواع وهي المعادن والنبات والحيوان وهذه القوّة اعني الطبيعة سارية فيها كلّها كسريان الضوء في الهواء وهي محرّكة ومسكّنة ومدبّرة ومتمّمة ومبلّغة لكلّ واحد منها الى اقصى مدى غاياتها حسب ما يليق بواحد واحد منها كما بيّنّا في الرسائل الخمس وهي رسالة الكون والفساد ورسالة الآثار العلويّة ورسالة المعادن ورسالة النبات ورسالة الحيوان

واعلم ان النفس الكلّيّة الفلكيّة هي روح العالم كما بيّنّا في الرسالة التي ذكرنا فيها ان العالم انسان كبير والطبيعة هي فعلها والاركان وهي النار والهواء والماء والارض هي الهيولى الموضوعة لها والافلاك والكواكب كالادوات لها والمعادن والنبات والحيوان كلّها مصنوعاتها. واعلم ان الصنّاع البشريّين يعملون اعمالهم بابدانهم بايديهم وارجلهم وهي كلّها مصنوعات الطبيعة ويصنعون صنائعهم في هيولات موضوعة لها وهي ايضا مصنوعات الطبيعة كالخشب والحديد والنحاس والحبّ وما شاكلها ويظهرون صنائعهم بادوات اتّخذوها من مصنوعات الطبيعة ايضا كالفأس والمنشار والابرة والقلم وما شاكلها فهيولاهم وادواتهم خارجة من ذواتهم واما

١) الرسالة التاسعة عشر من رسائل اخوان الصفا

الطبيعة فيهولاها من ذاتها وهي الاركان الاربعة وهي لها بمنزلة اربعة اخلاط في بدن
حيوان واحد وهي سارية فيها كلها فمنشؤها منها وفيها مصنوعاتها ايضا ليست
خارجة من ذاتها وهي كالعضو في جسد حيوان واحد وهي ثلثة اجناس المعادن
والنبات والحيوان وكل جنس منها تحته انواع كثيرة وتحت كل نوع اشخاص
كثيرة لا تحصى ولا يعلم عددها الا الله تعالى ٬ واعلم ان الاجناس والانواع
محفوظة معلومة صورها في الهيولى واما الاشخاص فهي في السيلان دائما غير
معلومة ولا محفوظة فيها والعلة في حفظ صور الاجناس والانواع في الهيولى هي
ثبات عللها الفلكية واما تغيير الاشخاص وسيلانها فمن اجل تغييرات عللها
وذلك ان العلة الفاعلة لهذه الاجناس والانواع النفس الكلية الفلكية الموضوعة
وكانت الاركان هيولى لها والطبيعة فاعلة والفلك والكواكب كالادوات لها ٬ وكان
الموضوع في احكام النجوم ثلاثة انواع وهي الافلاك والبروج والكواكب وكان تاثيراتها
في هذه الاركان حسب المناسبات الثلاث كما بينا في رسالة الموسيقى وهي مناسبة
ابعادها ومناسبة اعظام اجرامها ومناسبة حركات الكواكب بعضها من بعض ولما
كانت المناسبة التي بين الكواكب الثابتة وبين الاركان الاربعة محفوظة ابعادها
وحركاتها واعظامها واجرامها صارت صور انواع هذه الاجناس ايضا محفوظة
في الهيولى ولما كانت المناسبات التي بين اجرام الكواكب السيارة وافلاك تداويرها
وبين هذه الاركان غير محفوظة صارت من اجل هذا الاشخاص هذه الانواع صورها
غير محفوظة في الهيولى ٬ واعلم ان العالم جملة احدى عشر كرة مركبة بعضها
في جوف بعض كما بينا في رسالة السماء والعالم وان الشمس مركز جرمها في
وسط الاكر وذلك ان خمس اكر فوقها وخمس اكر دونها والتي فوقها كرة المريخ
وكرة المشترى وكرة زحل وكرة الكواكب الثابتة وكرة المحيط والتي دونها كرة

الزهرة وكرة عطارد وكرة النار والهواء وكرة الماء والارض٬

واعلم ان حكم المرتبتين اللتين فوق كرة زحل غير حكم المرتبتين اللتين دون فلك القمر وذلك ان كرة الاشخاص بين المرتبتين اللتين في الطرفين وهي كرة الكواكب الثابتة وكرة الهواء فبينهما تفاوت شديد لان تلك الكرة باقية صورها في الهيولى وهذه الكرة سيالة غير ثابتة صورها في الهيولى فقد جعلت الحكمة الالهية والعناية الربانية الكواكب السيارة واسطة بين الطرفين الذين هما المركز والمحيط لكيما اذا صعدت الكواكب الى اوجاتها قريب من تلك الاشخاص الفاضلة التي فوق الكواكب استمدت منها الفيض والقوة فاذا انحطت الى الحضيض أوصلت تلك القوى والفيوضات الى هذه الاركان الاربعة فتكونت منها هذه الكائنات المتولدات التي هي المعادن والنبات والحيوانات٬ واعلم انه اذا سرت تلك الفيوضات والقوى من هناك نحو مركز العالم نزلت البركات من السماء الى الارض من الارزاق والرحمة والوحي والتأييد والنصر فاول ما يسري من تلك القوة الى الاركان تكونت منها المزاجات الكائنات في بطن الارض فتكون المعادن المختلفة الجواهر الكثيرة المنافع وعلى ظهرها وجهها النبات الكثير الفوائد وفي الهواء والماء الحيوانات الكثيرة الغريبة الصور العجيبة الهياكل باختلاف الانواع وفنون الاشخاص حتى اذا بلغ كل شيء منها الى اقصى مدى غاياته في ادوار الالوف من السنين عطفت تلك القوى راجعة نحو المحيط كما بدأنا اول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين فيكون البعث والنشور والحساب والقيامة مقدار خمسين الف سنة كما ذكر الله سبحانه وتعالى في قوله تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة٬

واعلم ان تأثيرات الكواكب في هذه الاركان ومولداتها تكون حسب

مناسباتها ومناسباتُه تكون بحسب عِظَم اجرامه وابعاد مراكزها وحركات اجرامه كما ان تأثيرات نغم الموسيقى تُؤثّر فى النفوس بحسب مناسباته ومناسباتُها كمناسبات اوتار الموسيقى ومناسباته بحسب غلظه ودقّته وحزقه واسترخائه وثقل تحريكه وخفّته كما بيّنّا فى رسالة الموسيقى٬

واعلم ان المناسبات التى تكون بين الاركان ومولّداته وبين الكواكب السيّارة ومراكز افلاكها مختلفةٌ تارةً تكون على النسبة الافضل وتارة على النسبة الادون وتارة بين ذلك فاذا اتّفق ان يكون الكواكب عند استئناف ادوار الأُلوف على النسبة الافضل تكوّنت تلك الكائنات على افضل حالاته فى تلك الادوار ويكون البشر كلُّهم اخيارا فضلاء مثل الملائكة الذين كانوا قبل خلق آدمَ اى البشر واذا كانت على النسبة الادون كانت بالضدّ من ذلك ويكون البشر اكثرُهم شرارا كما سيكون فى اخر الزمان عند خراب العالم واذا كانت متوسّطة فبحسب ذلك تتكوّن الكائنات وافضل حالات الكواكب ان تكون فى بيوتها وفى اشرافها وفى اوجاتها وادون حالاته ان تكون فى مقابَلة هذه المواضع والمتوسّطة ان تكون ما بين ذلك٬

واعلم ان لكلّ كائنٍ تحت فلك القمر وكلّ حادثٍ فى هذا العالم وقت معلوما يحدث فيه ولا يكون قبله وما بعده وله سببٌ موجبٌ لكونه لا يكون الا به وله بقعةٌ مخصوصة لا يوجد الّا هناك ولا يعلم تفصيلها الا الله عزَّ وجلَّ ولكنّا نذكر منها طرفا مجمَلا ليكون دليلا على صحّة ما قلنا ويُتصوَّر للمتفكّرين ما وصفنا وذلك ان الله سبحانه جعل الفلك محيطا بالارض من جميع جهاتها كما بيّنّا فى رسالة جُغْرافيا ولما كان الفلك مقسوما باربعة اقسامٍ وكلُّ ربْعٍ منها مسامت لربع من الارض وكلّ كوكبٍ يدور من المشرق الى المغرب ومن المغرب

الى المشرق فوق الارض وتحت الارض فانه يكون موازيا لدائرة على بسيط الارض ويكون لتلك الشعاعات زوايا ثلاث قائمة وحادّة ومنفرجة ولكلّ زاوية منها تأثيرات مختلفة كما بيّنّا فى رسالة الآثار العلويّة٬

واعلم ان البارى جعل حركات تلك الاشخاص فى دورانها سببا موجبا لكون الحوادث فى هذا العالم وعلّةً فاعلةً للكائنات التى تحت فلك القمر وجعل الاوقات المعلومة بحسب اجتماعاتها ومناظراتها واتّصالاتها فى درجات البروج وجعل البقاع المسامَتَة لها ومطارح شُعاعاتها مختصّةً بكونها وحدوثها وذلك ان الاقاليم السبعة فى الارض كالافلاك السبعة والبلدان فى الاقاليم كالبروج فى الافلاك والمدن والقرى فى البلدان كالوجوه والحدود فى البروج والاسواق والمحالّ فى المدن والقُرى كالدرجات والدقائق فى الحدود والوجوه والدورُ والمنزل والبيوت والدكاكين كالثوانى والثوالث فى الدقائق واجتماعات الكواكب فى درجات البروج سببٌ لاجتماع الحيوانات والجواهر المعدنيّة والنبات فى البلدان والمدن والقرى فحدودُ زحل فى البروج سببٌ وعلّةٌ لحدوث الانهار والجبال والبرارى والغدران والشوارع والطرقات وما شاكلها من حدود البقاع٬ وحدود المشترى فى البروج سببٌ لحدوث المساجد والهياكل والبيع ومواضع الصلوات وبقاع القرابين واجتماعات الكواكب فى حدوده علّةٌ لاجتماعات الناس فى الجمعات والاعياد ولتعليم احكام النواميس وقراءة الكتب النبويّة والتفقّه فى الدين والخدمة عند القُصّاد والخدّام وما شاكل ذلك٬ وحدود المرّيخ فى البروج سببٌ لحدوث مواقيد النيران ومذابح الحيوانات ومُعسكَر الجيوش واماكن السباع ومواضع الحروب والخصومات وما شاكل ذلك واجتماعُ الكواكب واتّصالاتُها فى حدود المريخ علّةٌ لاجتماع الناس والنبات والجواهر المعدنيّة فى هذه الاماكن والمواضع٬ وحدود الزهرة فى البروج سبب

لحدوث البساتين ومواضع التنزّه ومجالس الاكل والشراب واللهو والفرح والسرور واللذّة والمناظر الحسان واجتماعات الكواكب ومطارح شعاعاتها فى حدودها علّة لاجتماع الناس والحيوان فى هذه المواضع٬ وحدود عطارد فى البروج سببٌ لحدوث الاسواق ومواضع الصنائع ومجالس الكلام والعلوم ودواوين الكُتّاب وجموع القضاة ومناظرة العلماء ودرجاتُ اشرافها سبب لمنازل الملوك وسادة الناس ودرجاتُ هبوطها سبب لمواضع المحن والحبوس والسقوط وما شاكل ذلك٬

فصل فى كيفيّة وصول تأثير قُوى الاشخاص الفلكيّة الثابتة الوجود الدائمة الدوران الى هذه الاشخاص السفليّة الكائنة فى حركاتها القليلة الثبات الدائمة السيلان وهى تمام رسائلنا الطبيعيّة٬

واعلم انه قد قامت البراهين الهندسيّة على ان مركزَ العالم الارضُ وان الهواء والافلاك محيطةٌ بها من جميع جهاتها واعلم ان مثل الارض فى وسط العالم كمثل بيت الله الحرام فى وسط الحَرَم ومثل الفلك المحيط وسائر الافلاك ودورانها حول الاركان الاربعة كمثل الطائفين حول البيت وان مثل الكواكب الثابتة مع مطارح شُعاعاتها من المحيط نحو مركز الارض كمثل المصلّين المتوجّهين من آفاق البلاد نحو البيت الحرام وان مثل الكواكب السيّارة فى مسيرها وهى ذاهبةٌ تارة من اوجاتها نحو المركز وتارة من حضيضها نحو المحيط كمثل الحُجّاج الذاهبين تارة من بلدانهم نحو البيت والمنصرفين تارة عن البيت راجعين الى بلدانهم فاذا مرّوا متوجّهين نحو البيت حمل كلُّ واحد ما فى بلده من الامتعة والنفقة والهدايا والقلائد أُهدية نحو البيت الحرام فيجتمع هناك فى الموسم ما فى كلّ بلد من طرائفه وخواصّ امتعته وتجتمع الامم من كلّ مذهبٍ يتبايعون ويتشاورون فاذا قضوا مناسكهم انصرفوا الى بلادهم بكلّ طرائف ما فى سائر

البلدان ومغفرةٌ من الله اعظمُ منه كما فهكذا يا اخي حكمُ سريان قوى تلك
الاشخاص الفلكيّة من محيط الافلاك نحو مركز العالم وذلك انه اذا اجتمعت
مطارح شعاعاتها على بسيط الارض تحلّلت اجزاء الاركان وامتزج بعضه ببعض
وسرتْ تلك القوى فيه فتكوّنت منها ضروبُ المولّدات من الحيوان والنبات
والمعادن المختلفة الاجناس المتفنّنة الانواع المتغيرة الاشخاص التي لا يعلم
عددها الا الله تعالى ثم ان تلك القوى اذا بلغت اقصى مدى غاياتها وتمام
نهاياتها المقصودة منها عطفت عند ذلك راجعةً نحو المحيط فيكون ذلك سبب
لبعث النفوس ونشر الارواح اما بربح وغبطة واما بخسران وندامة كمثل الراجعين
من تجر الحجّ اما بربح وغبطة او بندامة وخسران · فانظر يا اخي وتفكّر
كيف يكون انصرافك عن عالم الكون والفساد الى عالم الافلاك التي جاءت من
هناك نفسُك واعتبر شبه الحجّاج اذا قضَوْا مناسكهم كيف ينصرفون مشتاقين
الى مقرّهم وبيوتهم واوطانهم ·

واعلم ان جميع مناسك الحجّ وفرائضه امثالٌ ضربها الله للنفوس الانسانيّة
الواردة من عالم الافلاك وسعة السموات الى عالم الكون والفساد لكيما يتفكّر العقل
ويعتبر وتنتبهَ نفسُه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتتذكّر مبدأها ومعادها
وتشتاق وترجع كما جاءت وتجيب الداعيَ الذي ناداها يا ايّتها النفس المطمئنّة
ارجعي الى ربّك راضيةً مرضيّة فتقول لبّيك فاعتبر يا اخي كيفيّة انصراف الحاجّ
الى بلدانهم فانك ترى لاهل كلّ بلد قافلة وطريقا يمرّون فيه متعاونين ذاهبين
وراجعين فهكذا وردت النفوس الى هذا العالم كلّ امّة بدلالة كوكب وبرج
وقران ولا تنصرف من الدنيا الّا بدين ومذهب ويكون زادُ كلّ نفس ما كسبت
من خيرٍ وشرٍّ ولا تظنّ يا اخي انك تقدر ان ترجع بنفسك وحدها واعلم

ان الطريق بعيد والشيطين بالمرصد قعودٌ واعتبر كما انت لا تقدر على ان تعيش وحدك الا عيشا نكدا ولا تجد عيشا هنئًا الا بمعونة اهل المدينة وملازمة سُنّة وشريعة وهكذا ينبغى لك ان تعتبر لتعلم انك تحتاج الى اخوانٍ اصدقاء متعاونيين لتنجو بشفاعتهم عن جهنّم وتصعد الى ملكوت السماء بمعاونتهم وتدخل الى الجنّة برحمة الله تعالى٬

واعلم يا اخى علما يقينا انه لو كان يمكن ان تنجو نفسٌ وحدها بمجرّدها لما امر الله بالتعاوُن حيث قال وتعاونوا على البرّ والتقوى وقال اصبروا وصابروا وقال تع ويَوْم نحشر من كلّ أُمَّةٍ فوجا وقال تعالى وسيق الذين اتّقوا ربّهم الى الجنّة زُمَرا وانظر يا اخى بنور عقلك وتفكّر بفهمك وقِفْ فى مقامك وتوجّه الى البيت لعلّك تعرف بوقوفك على جبل عرفات ما عرف اهل المعرف الذين اشار اليهم بقوله تعالى وعلى الاعراف رجالٌ يعرفون كلّا بسيماهم يعنى بعلاماتهم فتزدلف معهم الى المزدلفة وتبلغ نحو المنى مع المتمنيين وهم يسمعون ادخلوا الجنّة لا خوفٌ عليكم اليوم وما انتم تحزنون٬

واعلم يا اخى ان من حجّ البيت بقلبٍ ساهٍ ونفسٍ لاهية بلا علم ولا بصيرة ورأى تلك المناسك وسُننها ولم يعقل معانيها ولا يدرى ما الغرض لها ولا عرف شيئًا من اغراضها المقصودة بها رجع من هناك بقلبٍ غافلٍ ونفس ساهية لانه اذا رآها فلم يدرِ معانيها ولا عرف اغراضها تخيَّل له عند ذلك انها لعب الصبيان مِنْ رَمْي الحصى والسعى بين المروة والصفا والاحرام والتلبية والطواف والعمرة وما شاكلها من الفرائض والسنن وعلى هذا القياس لكل امّة من الناس فى بيوت عباداتهم من سنن مفروضاتهم وقرابين الهياكل وصلواتهم امثلةٌ واشاراتٌ ورموزاتٌ لواضعيها الى هذا المعنى الذى اشار اليه ابراهيم خليل الرحمن عم٬

واعلم ان غرض الانبياء وواضعي النواميس الالاهية اجمع غرض واحد وقصد واحد وان اختلفت شرائعهم وسننهم ومفروضاتهم وازمن عباداتهم واماكن بيوتهم وقرابينهم وصلواتهم كما ان غرض الاطباء كلهم غرض واحد وان اختلفت علاجاتهم في بيمارستانهم وادويتهم بحسب اختلاف الامراض العارضة للابدان في الاوقات المختلفة والعادات المتغيرة والاسباب المتفننة وذلك ان غرض الاطباء كلهم هو اكتساب الصحة للمرضى وحفظها على الاصحاء وهكذا غرض الانبياء وغرض جميع واضعي النواميس الالاهية من الفلاسفة والحكماء في نجاة النفوس الغريقة في بحر الهيولى واخراجها من هاوية عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة عالم الافلاك وسعة السموات بتذكارها ما قد نسيت من مبدأها ومعادها كما قال تع ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر وقال تع وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين وقال تع يا ايّتها النفس المطمئنّة ارجعي الى ربّك راضية مرضيّة

واعلم ان سنن الديانات النبويّة وموضوعات النواميس الالاهيّة ومفروضات الشرائع كلها ومناسك بيوت العبادات وقرابين الهياكل والصلوات كلها اشارات ورموزات الى ما اشار اليه ابرهيم خليل الرحمن في بنائه البيت الحرام ووضعه الحجر والمقام وتعليم المناسك ذريّته ودعائه الناس ونداؤه فيهم بالحجّ الى البيت الحرام ليشهدوا منافع لهم وذلك ان الانسان العاقل اللبيب الفهم الذي اذا احرم ولبّى وطاف وصلّى ورأى البيت وشاهد كيفيّة الحجّ وما يفعل الحجّاج والمحرمون من عجائب سنن المناسك ومفروضاتها من الاحرام والتلبية والطواف والسعي والوقوف بعرفات والمبيت بالمزدلفة والتضحية بمنى والحلق والرمي وما شاكلها من اداب المناسك وتفكّر فيها بقلب متيقظ واعتبرها بعين بصيرة وبنفس زكية فطن بما اراد ابراهيم خليل الرحمن فيما سنّ من واحد واحد وما

الغرض الاقصى فى ذلك كلّها وعرف وفهم وهدى قلبه فاهتدت نفسه وانتبهت وابصرت ورجعت وشاهدت ورأتْ ما اشار الله تع اليه بقوله وترى الملائكة حافّين من حولِ العرش يسبّحون بحمد ربّهم٬

واعلم ان الملائكة الحافّين بالعرش ثم حملةُ العرش وهى الكواكب الثابتة الحافّون بالفلك التاسع من داخله كما يحفّ الحجّاج بالبيت فى طوافهم من خارجه وهم يسبّحون بحمد ربّهم كما قال تع وما منّا الّا له مقامٌ معلوم وانّا لنحن الصافّون وانّا لنحن المسبّحون ويؤمنون به ويقرّون بان من وراء مراتبهم ومقاماتهم امورا اخرى هى اشرف واعلى يقصر علمهم عنها ويقف فهمهم دونها كما يقرّ الحاجّ من المؤمنين بان من وراء السموات البيتَ المعمورَ وحوله جموع الملائكة طائفين به يحجّون اليه فى كلّ يوم أُلوفٌ الوف ويعودون اليه ابدا ويقولون ان هذا البيت الحرام فى الارض بحذاءه ذلك البيتُ المعمور الذى فى السماء وان هذه السنن والمناسك امثلةٌ واشارات الى تلك السنن والمناسك التى تنسكها الملائكة حول البيت المعمور الذى فى السماء٬

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا اليه فى هذا الفصل فنقول ان قوما من العلماء يتكلّمون فى احكام النجوم فاثبتوا دلائلها على الكائنات وانكروا افعالها فى عالم الكون والفساد وقومٌ انكروا دلائلها وافعالها وقوم اثبتوا دلائلها وافعالها فامّا الذين اثبتوا دلائلها وانكروا افعالها فبعد اعتبارٍ عرفوها ولكن لم ينظروا فى حقائق هذه الاشياء كيف هى فلم يعرفوها واما الذين انكروا دلائلها وافعالها جميعا فلتركهم النظر فى هذا العلم واما الذين اثبتوا دلائلها وافعالها فانما عرفوا هذا بعد النظر والبحث الشديد والاعتبار والتصفّح امورَ الموجودات شيئاً بعد شىء حتى اتوا على أواخرها ثم نظروا الى اوائلها فرأوْها كلّها مربوطةً

ربط واحدا عن علة واحدة مثل العدد ولما كنا قد قلنا فيما قبل ان هذه الاشياء كلها مفعولات الطبيعة وان الاشخاص الفلكية كالادوات لها وقوى تلك الاشخاص كالمعونين للطبيعة احتجنا ان نبيّن حقيقة ذلك فنقول ايضا انا قد بيّنا معنى قول الحكماء ان العالم انسان كبير له نفس وجسم فنريد ان نبيّن كيفيّة سريان قوى نفسه في الاجسام التي دون فلك القمر

واعلم يا اخي ان جسم العالم باسره كجسم انسان واحد وان جميع افلاكه وطبقات سمواته ودوالیب افلاكه واركان طبائعه ومولّداتها في جملة جسمه بمنزلة اعضاء بدن انسان واحد ومفاصل جسده وان نفسه تدير افلاكه بعضها في بعض وتحرك كواكبها باذن الباري جلّ وعلا كما انّ نفس انسان واحد تحرك اعضاء جسده ومفاصل بدنه وان لنفس العالم حركات دواليه فيما دون فلك القمر من الاركان ومولّداتها افعالا بها ومنها لا يحصى عددها الّا الله تع كما ان لنفس انسان واحد في اعضاء بدنه ومفاصل جسده افعالا كثيرة كما بيّنا في رسالة تركيب الجسد وذلك ان جسم العالم مركّب من احدى عشر كرة كما بيّنا في رسالة السماء والعالم على مثال تركيب الجسد من احدى عشر طبقة كما بيّنا في رسالة تركيب الجسد وان الفلك مقسوم بنصفين كما ان جسد الانسان مقسوم بنصفين وان في الفلك اثنى عشر برجا لمسير دواليه ستّة منها شماليّة وستّة جنوبيّة كما ان في الجسد اثنى عشر ثقبا ستة منها في الجانب الايمن وستة في الجانب الايسر تجري حواسّه وسيران قوى نفسه وان في الفلك سبعة دواليب مدبّرة بها قوام امره وهي سبب الحادثات باذن الله تع كما ان في الجسد سبع قوى فعّالة بها قوام امر الجسد وصلاح حاله وهي القوّة الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصوّرة وتلك قوة من هذه القوى عضو

مخصوص من الجسد منه تسرى القوّة الى جميع اعضاء الجسد وبه يظهر افعالها في البدن وهي المعدة والقلب والكبد والدماغ والرئة والطحال والمرارة فكما ان من هذه الاعضاء تنبثّ النفس هذه القوى في البدن وتنتشر افعالها في الجسد فهكذا حكم افعال هذه الكواكب السبعة في الفلك فان النفس الكلّيّة منها تنبثّ قواها في جميع اجزاء العالم وبها يظهر افعالها في الكائنات التي تحت فلك القمر وكما ان من افراط هذه القوى ونقصانها يعرض في البدن الاضطراب والتألّم كما يعرفه الاطبّاء فكذلك من افراط تأثيرات هذه الكواكب او نقصان افعالها يكون المنحس والمفسد في عالم الكون والفساد كما يخبر بها اصحاب النجوم وكما ان شرح علم الطبّ طويل والصناعة عجيبة كما قال بُقراط الحكيم اليونانيّ فهكذا شرح احكام النجوم طويل كما قال حكيم الفرس بزرجمهر كار هست ومرد نيست وتكن نذكر منها طرفاً

اعلم يا اخي انه ينبثّ من جرم الشمس قوّة روحانيّة في جميع العالم وتسرى في افلاكه واركان طبائعه ومولّداتها في جميع الاجسام الكلّيّة والجزويّة وبها يكون صلاح العالم وتمام وجوده وكمال بقائه كما ينبثّ من القلب الحرارةُ الغريزيّةُ في جميع الجسد التي يكون بها حيوة البدن وصلاح الجسد ويسمّى الفلاسفة هذه القوّة وما ينبثُّ منها من افعالها في العالم روحانيّاتِ الشمس وذلك بحسب اختصاصها بجسمٍ وجسمٍ كاختصاص الحرارة الغريزيّة بعضوٍ وعضوٍ من الجسد وشرح كيفيّتها يطول وقد ذكرنا في رسالة افعال الروحانيّات طرفاً منه وفي رسالة النبات والمعادن والحيون طرفاً منه ويسمّى الناموس هذه القوّة ملكا ذا جنود واعوان واسرافيلُ منهم وهكذا ينبثّ من جرم زحل قوّةٌ روحانيّة تسرى في جميع العالم من الافلاك والاركان والمولّدات وبها يكون تماسك

الصور فى الهيولى وتثبيتها كما ينبث من جرم الطحال قوّة الخلط السّوداوى فى جميع الجسد وفى جميع مفاصله وبها يكون تمسّكُ اجزاء البدن من العظم والعصب والجلد وجمودُ الرطوبات كيلا يسيل كما يسيل الماء والهواء وتسمّى الفلاسفةُ هذه القوّة روحانيّات زحلَ ويسمّيها الناموس ملكا ذا جنود واعوان وملكُ الموت منهم ومنكر ونكير ايضا٬ وهكذا ينبث من جرم المرّيخ قوّة روحانيّة تسرى فى جميع العالم من الافلاك والاركان والمولّدات وبها يكون النزوع والنهوض نحو المطالب والنشاط فى الاعمال والصنائع والترقّى فى المعالى وطلب الغايات للبلوغ الى التمام والوصول الى الكمال فى الموجودات كلّها وتسمّى الفلاسفة هذه القوّة وما ينبث منها من الافعال فى هذا العالم روحانيّات المرّيخ ويسمّيها الناموس ملكا ذا جنود واعوان وجبرئيل منهم ومالك الغضبان منهم وخزنة جهنّم اجمعون منهم وسريانها فى العالم وانبثاث قوّتها كما ينبث من جرم المرارة القوّة الصفراويّة المميّزة للاخلاط الموصلة لها الى مواضعها المقصودة بها اشراقُ البدن ونهاياتُ الجسد المثيرة للغضب والحقد والحسد والحميّة وما شاكلها٬ وهكذا ينبث من جرم المشترى قوّة روحانيّة تسرى فى جميع العالم بها يكون اعتدال الطبائع المتضادّة وتأليف القوى المتنافرة وتثبت فى المولّدات والكائنات حفظَ النظام على الموجودات كما ينبث من الكبد رطوبةُ الدم الذى به تعتدل اخلاط الجسد ويستوى مزاج الطبائع وتنمو الاجساد وتنشو الابدان وبها يطيب الحيوة ويلذّ العيشُ وتأنس الارواح وتأتلف النفوس ويسمّى الفلاسفة هذه القوّة وما ينبث من افعالها روحانيّات المشترى ويسمّيها الناموس ملكا ذا جنود واعوان منهم رضوان خزن الجنّة٬ وهكذا ينبث من جرم الزهرة قوّة روحانيّة تسرى فى جميع جسم العالم واجزائه وبها يكون

زينة العالم وحسنه ونظامه وبهاء انواره ورونق الموجودات وزخرف الكائنات والشوق اليها والعشق لها والمحبّات والمودّات اجمعُ كما ينبعث من جرم الكبد شهوة الملاذّ الى جميع مجارى الحواسّ التى بها يُستلذّ المشتهيات ويستطاب النعم ويُستحسن الزينة ومن اجلها يراد البقاء فى الاخرة ويُتمنّى الوصول اليها وتسمّى الفلاسفةُ هذه القوّة وما ينبعث منها روحانيات الزهرة ويسمّيها الناموسُ ملكا ذا جنود واعوان منها حورُ العين والجوارى الحسان ٬

وهكذا ينبعث من جرم عطارد قوّة روحانيّة تسرى فى جميع اجزاء العالم وبها تكون المعارف والاحساس فى العالم والخواطر والالهام والوحى والنبوّة والعلومُ اجمع كما ينبعثُ من الدماغ قوّة وهميّة وما يتبعها من الذهن والتخيُّل والفكر والرؤية والتمييز والفراسة وتسمّى الفلاسفةُ هذه القوّة وما يتبعها روحانيّات عطارد ويسمّيها الناموس ملكا ذا جنود واعوان منهم السفرة الكرام والولدان المخلّدون الذين هم خدامُ اهل الجنّة٬ وهكذا ينبعث من جرم القمر قوّة روحانيّة تسرى فى جميع العالم واجزائه ومنها تنفّس الموجودات فى العالَمين جميعا فتارة تميل وتنحطّ من عالم الافلاك نحو عالم الكون والفساد فى اوّل الشهر وتارة من عالم الكون والفساد نحو عالم الافلاك فى آخر الشهر وهى قوّة متوسّطة بين عالم الافلاك ومعدن البقاء والدوام وبين عالم الاركان ومعدن الكون والفساد كما تنبعث من جرم الرئة القوّة التى يكون بها التنفّس تارة باستنشاق الهواء من خارج لحفظ الحرارة الغريزيّة على الجسد وتارة يكون التنفُّس باخراجه وارساله الى خارج لتروُّحه وتسمّى الفلاسفةُ هذه القوّة وما ينبعثُ عنها من الافعال روحانيّات القمر ويسمّيها الناموس ملكا ذا جنود واعوان وبهذه القوّة تنزل الملائكة بالوحى والبركات وبها يصعد اعمال بنى آدم الى السماء وبها تعرج الارواح والمعقّبات منهم

وهكذا ينبث من كلّ كوكب من الثوابت قوّة روحانيّة تسرى فى جميع جسم العالم من اعلى الفلك الثامن الذى هو الكرسىّ الواسع الى منتهى مركز الارض كما ينبث من الشمس نورٌ فى الهوا وفى الاجسام الشفّافة وبهذه القوّة تنحفظ صور اجناس الموجودات فى الهيولى وبها صلاح العالم وقوام وجوده باذن البارى جلّ وعلا ومنها ثبات سكّان السموات والارضين واليهم اشار بقوله تعَ وما يعلم جنود ربّك الّا هو وقال تعَ حكايةً عنهم وما منّا الّا له مقام معلوم وانّا لنحن الصافّون وانا لنحن المسبّحون وحملة العرش منهم واما الملائكة الذين سجدوا لآدم الى البشر فهم الذين فى الارض خلفاء لهؤلاء الذين فى الافلاك وهى نفوس سائر الحيوانات الساجدة لآدم وذرّيته بالطاعة المسخّرة لهم الى يوم القيامة٬

واعلم ان خراب العالم انما يكون بسبب فساد الكون وفساد الكون انما يكون لغلبة احد الاركان اما بطوفان من الماء مثل ما كان فى زمان نوح وامّا بطوفان من النار مثل ما وعد الله فى القرآن يكون فى اخر الزمان يومَ تاتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم وسبب ذلك ان يستولى على القرانات البروج المائيّة والكواكب المائيّة فيكون طوفان الماء او البروج الناريّة والكواكب الناريّة فيكون طوفان النار فاذا بلغ قلب الاسد الى حدّ المرّيخ فى برج الاسد بعد سنين ويكون طالع القران وطالع تحويل السنة وطالع الشهر البروجَ الناريّةَ ويستولى المرّيخ عليها فيشبه ان يكون طوفان من النار فى ذلك الزمان وكيفيّة ذلك ان يحمى الهواء فيصير النارُ سموما فيحترق النبات ويهلك الحيوان ويبقى العالم اعنى وجه الارض خرابا بلا حيوان ثم ان الله عزّ وجلّ يُنشئُ النشأة الاخرة كما وعد فى القران بقوله ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكّرون يعنى النشأة الاخرة وقال تعَ وننشئكم فيما لا تعلمون

فعند ذلك يحصل اهل الجنّة فيها منعمين واهل النار فيها مخلّدين معذّبين قد بيّنّا فى رسالة البعث كيف يكون ذلك فانتبه يا اخى واستعدّ واعمل للمعاد والنشأة الاخرة لعلّك تبعث يوم القيامة مع السعداء وتصعد الى ملكوت السماء وتدخل فى زمرة الملائكة الذين هم الملاء الاعلى ولا تكن مع الذين يريدون الخلود فى الدنيا عالم الكون والفساد ولا تكن من اللابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الذين منعوا روح الجنّات وريحانها وجعلوا فى نار جهنّم كلّما نضجت جلودهم بدّلنا جلودا غيرها ليذوقوا العذاب اعاذك الله ايها الاخ وايانا من عذاب النار وبلّغك وايّانا وجميع اخواننا الى دار القرار مع الابرار انه على ما يشاء قدير

تمت الرسالة فى ماهية

الطبيعة وهى التاسعة

عشر من رسائل

اخوان

الصفاء

فى الارض والسماء ✿)

نحتاج ان نذكر صفة الارض وجهاتها الستّة وكيفيّة وقوفها فى الهواء٬

امّا الجهات وهى الشرق والغرب والجنوب والشمال والفوق والاسفل٬ الشرق من حيث تطلع الشمس والغرب من حيث تغيب الشمس والجنوب من حيث مدار سهيل والشمال من حيث مدار الجدى والفرقدَيْن والفوق ممّا يلى السماء والاسفل مما يلى مركز الارض٬ والارض جسم مدوّر مثل الكرة وهى واقفة فى الهواء باذن الله تعٓ بجميع جبالها وبحارها وبراريّها وعمرانها وخرابها والهواء محيط بها فى جميع جهاتها شرقها وغربها وجنوبها وشمالها من ذلك الجانب والجانب الاخر وبُعد الارض من السماء من جميع جهاتها متساوٍ واعظم دائرة فى بسيط الارض ٢٤٠٠٠ ميلا ٦٨٠٠ فرسخا وقطر هذه الدائرة هو قطر الارض ٦٥٠١ ميلا ٢١٦٧ فرسخا بالتقريب ومركزها هى نقطة متوهّمة فى عمقها على نصف القطر وبُعدها من ظاهر سطح الارض من جميع الجهات متساوٍ لان الارض بجميع البحار التى على ظهرها كرة واحدة وليس شئ من ظاهر سطح الارض من جميع جهاتها هو اسفل الارض كما يتوهّم كثيرٌ من الناس ممن ليس له رياضة بالنظر فى علم الهندسة والهيئة وذلك انهم يتوهّمون ويظنّون بان سطح الارض من

✿) هذه نبذ ماخوذة من الرسالة الرابعة٬

الجانب المقابل لموضعنا هو اسفل الارض وان الهواء المحيط بذلك الجانب هو ايضا اسفل من الارض وان النصف من فلك القمر المحيط بالهواء هو ايضا اسفل من الهواء وهكذا سائر طبقات الافلاك كلّ واحد اسفل من الاخر حتى يلزم ان اسفل السافلين هو نصف الفلك المحيط الذى هو اعلى العلّيين فى دائم الاوقات وليس الامرُ كما توهّموا٬

فاذا ارتاض الانسان فى علم الهيئة والهندسة تبيّن ان الامر بخلاف ما توهّم قبل ذلك ان اسفل الارض بالحقيقة هو نقطة وهميّة فى عمق الارض على نصف قطرها وهو الذى يسمّى مركز الارض هو عمق باطنها ممّا يلى مركزها من اىّ جانبٍ كان لان مركز الارض هو اسفل السافلين واما سطحها الظاهر المماسّ للهواء من جميع الجهات وهو الفوقُ والهواء المحيط هو فوق الارض ايضا من جميع الجهات وفلك القمر هو فوق الهواء وفلك عطارد هو فوق القمر وعلى هذا القياس سائر الافلاك واحد فوق الاخر الى الفلك التاسع الذى هو فوقَ كلّ فَوْقٍ وهو اعلى العلّيين ومقابَلة مركز الارض اسفل السافلين٬ واعلم يا اخى ان الانسان فى اىّ موضعٍ وقف على سطح الارض من شرقها او غربها او جنوبها او شمالها او من ذلك الجانب او من هذا الجانب فقَدَمُه يكون ابدا فوق الارض ورأسُه الى فوقَ ممّا يلى السماء ورجلاه اسفل ممّا يلى مركز الارض وهو يرى من السماء نصفها والنصف الاخر يستره عنه حدبة الارض فاذا انتقل الانسان من ذلك الموضع الى موضع اخر ظهر له من السماء مقدارُ ما خفى عنه من الجهة الاخرى وذلك المقدار كلّ تسعة عشر فرسخ درجةٌ وكلّ فرسخ ثلثةُ اميال كلّ ميل اربعة آلاف ذراع كلّ ذراع ستة قبضات كلّ قبضةٍ اربعة اصابع كلّ اصبع ستّ شعيرات٬

ذكر وقوف الارض فى وسط الهواء وسببها٬ واما سبب وقوف الارض فى وسط

الهواء ففيه اربعة اقاويل' منها ما قيل ان سبب وقوفها هو جذب الفلك لها من جميع جهاتها بالسويّة فوجب لها الوقوف فى الوسط لما تُساوى قوّةُ الجذب من جميع الجهات' ومنها ما قيل انه لدفعٍ بمثل ذلك فوجب لها الوقوفُ فى الوسط لما تساوى قوّة الدفع من جميع الجهات' ومنها ما قيل انّ سبب وقوفها فى الوسط هو جذب المركز جميعَ اجزائها من جميع الجهات الى الوسط لانه لما كان مركز الارض مركز الفلك ايضا فهو مغناطيسُ الاثقال يعنى مركز الارض واجزاء الارض لما كانت لها ثقلة فانجذبت الى المركز سبق جزءٌ واحد وحصل فى المركز ووقف باقى الاجزاء حولها يعنى حول النقطة بطلب كلّ جزء منها المركزَ فصارت الارض بجميع اجزائها كرة واحدة بذلك السبب' ولما كان اجزاء الماء اخفَّ من اجزاء الارض وقف الماء فوق الارض ولما كان اجزاء الهواء اخفَّ من اجزاء الماء صار الهواء فوق الماء والنار لما كانت اجزاؤها اخفَّ من اجزاء الهواء صارت فى العلوّ ممّا يلى فلك القمر' والوجهُ الرابع ما قيل فى سبب وقوف الارض فى وسط الهواء هو خصوصيّةُ الموضع اللائق به وذلك ان الله البارى عزَّ وجلَّ جعل لكلّ جسمٍ من اجسام الكلّيّات يعنى النار والهواء والماء والارض موضعا مخصوصا هو اليق المواضع به وهكذا الكواكب السيّارة جعل لكلّ واحد منها موضعا مخصوصا فى فلكه هو ثابت فيه والفلك يدير معه وهذا القول اشبهُ الاقاويل بالحقّ لان هذه العلّة مستمرّة فى ترتيب الافلاك التسعة والكواكب الثابتة والسيّارة والاركان الاربعة وذلك ان الله تعـ جعل لكلّ موجودٍ من الموجودات موضعا يختصّ به دون سائر المواضع او رتبة معلومة هى اليق به من سائر المراتب'

صفة الارض وقسمة ارباعها' وبسيط الارض نصفُها مغطّى بالبحر الاعظم

المحيط والنصف الاخر مكشوف مثلُها مثل بيضة غائصة نصفُها فى الماء والنصف الاخر بائنٌ من الماء ومن هذا النصف المكشوف نصفٌ منه خراب ممّا يلى الجنوب من خطّ الاستواء والنصف الاخر الذى هو الربع المسكون ممّا يلى الشمال من خطّ الاستواء وخطُّ الاستواء هو خطٌّ متوهّم ابتداؤُه من المشرق الى المغرب تحت مدار رأس برج الحمل والليلُ والنهار ابدا على ذلك الخطّ متساويان والقطبان هناك ملازمان للافقَيْن احدهُما ممّا يلى مدار سهيل فى الجنوب والاخر فى الشمال ممّا يلى الجَدْىَ،

صفة الربع المسكون من الارض،

وفى هذا الربع الشماليّ المسكون من الارض سبعة ابحر كبار وفى كلّ بحر منها عدّةُ جزيرة تكسير كلّ جزيرة من عشرين فرسخ الى مائة فرسخ الى الف فرسخ ومنها بحر الروم وفيه من نحو خمسين جزيرة ومنها بحر الصقالبة وفيه من نحو ثلثين جزيرة ومنها بحر جُرجان وفيه من نحو خمس جزائر ومنها بحر القلزوم وفيه من نحو عشر جزيرة ومنها بحر فارس وفيه سبع جزائر ومنها بحر السند والهند وفيه من نحو الف جزيرة ومنها بحر الصين وفيه من نحو مائتَىْ جزيرة وفى هذا الربع ايضا خمسة عشر بُحَيْرة صغارا تكسير كلّ واحدةٍ من عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ منها مالح ومنها عذب واما بحر المغرب وبحر ياجوج وماجوج وبحر الزنج والبحر الأخضر والبحر المحيط فخارج عن هذا الربع المسكون وكلّ واحد من هذه الابحر شُعْبة وخليج من البحر المحيط وكلّها مالح،

وفى هذا الربع ايضا مقدار مائتى واربعين نهرا طول كلّ نهر منها عشرين فرسخا الى مائة فرسخ الى الف فرسخ فمنها ما جريانه من المشرق الى المغرب

ومنها ما جريانه من المغرب الى المشرق ومنها من الشمال الى الجنوب او من الجنوب الى الشمال ومنها ما ينكب هذه الجهات' وكلّ هذه الانهار تبتدى من الجبال وتنتهى الى البحار فى جريانها والى البطائح والبُحيرات وتسقى فى ممرّها المدن والقُرى والسوادات وما يفضل من مائها ينصبّ الى البحار ويختلط بماء البحر ثم يصير بخارا ويصعد فى الهواء وتتراكم منه الغيوم ويسوقه الرياح الى رؤوس الجبال والبرارىّ ويمطر هناك ويسقى البلاد ويجرى فى الاودية والانهار ويرجع الى البحار من الرأس وذلك دأبها فى الشتاء والصيف على تقدير العزيز العليم'

وفى هذا الربع سبعة اقاليم تحتوى على نحوٍ من سبعة عشر الف مدينة كبار يملكها نحو الف ملك كلُّ هذا فى ربع واحد من بسيط الارض' واما ثلاثة ارباعها الباقية فحكمُها غير هذا' والاقاليم هى سبعةُ اقسامٍ خُطّت فى الربع المسكون من الارض كلّ اقليم منها كانه بساط مفروش قد مُدَّ طوله من المشرق الى المغرب وعرضه من الجنوب الى الشمال وهى مختلفة الطول والعرض فاطولها واعرضها الاقليم الاوّل وذلك ان طوله من المشرق الى المغرب نحوٌ من ثلاثة آلاف فرسخ وعرضه من الجنوب الى الشمال نحوُ مائة وخمسين فرسخا واقصرُها طولا وعرضا الاقليم السابع وذلك ان طوله من المشرق الى المغرب نحوٌ من الف وخمسمائة فرسخ وعرضه من الجنوب الى الشمال نحوٌ من سبعين فرسخا واما سائر الاقاليم فيما بينهما من الطول والعرض'

اعلم يا اخى ان هذه الاقاليم السبعة ليست هى اقساما طبيعيّة ولكنّها خطوط وهميّة وضعتها الملوك الاوّلون الذين طافوا الربع المسكون من الارض مثل افريدون النبطىّ وتبّع الحميرىّ وسليمان بن داود الاسرائلىّ والاسكندر

اليونانى واردشير بابكان الفارسى ليعلموا بها حدود البلدان والمسالك والممالك'

واما ثلثة ارباعها الباقية فمنعهم من سلوكها الجبال الشامخة والمسالك الوعرة والبحار الزاخرة والاهوية المتغيّرة المفرطة التغيير من الحرّ والبرد والظلمة مثل ما فى ناحية الشمال تحت مدار الجَدْى فان هناك بردا مفرطا جدّا لانه ستة اشهر يكون الشتاء هناك ليلا كلّه فيظلم الهواء ظلمة شديدة وتجمد المياه بشدّة البرودة ويتلف النبات والحيوان'

وفى مقابل هذا الموضع فى ناحية الجنوب حيث مدارُ سهيل يكون نهارا كلّه ستة اشهر صيفا فيحمى الهواء ويصير نارا سموما ويحترق الحيوان والنبات من شدّة الحرّ فلا يمكن السكون ولا السلوك هناك واما ناحية المغرب فيمنع السلوك فيه البحر المحيط لتلاطم امواجه وشدّة ظلمته واما ناحية المشرق فيمنع السلوك هناك الجبال الشامخة فاذا تأمّلت وجدت الناس محصورين فى الربع المسكون من الارض وليس لهم علم بالثلاثة الارباع الباقية'

واعلم ان الارض بجميع ما عليها من الجبال والبحار بالنسبة الى سبعة الافلاك ما هى الا كالنقطة فى الدائرة وذلك ان فى الفلك الف وتسعة وعشرون كوكبا اصغر كوكب منها مثلُ الارض ثمانية عشرة مرّةً واكبرها مائة وسبع مرّات فلشدّة البعد وسعة الافلاك تراها كانّها الدرّ المنثور على بساط اخضر'

واعلم ايها الاخ بانّ حدودَ الاقاليم تعتبر بساعات النهار وتفاوُت الزيادة وبيان ذلك انه اذا كانت الشمس فى اوّل برج الحمل كان طول الليل والنهار متساويا فى هذه الاقاليم كلّها فاذا سارت الشمس فى درجات برج الحمل والثور والجوزاء اختلفت ساعات نهار كلّ اقليم حتى اذا بلغت الشمس آخر الجوزاء الذى هو اوّل السرطان صار طول النهار فى وسط الاقليم الاوّل ثلاث عشرة ساعة وفى

وسط الاقليم الثانى ثلاث عشرة ساعة ونصف وفى وسط الاقليم الثالث اربع
عشرة ساعة وفى وسط الاقليم الرابع اربع عشرة ساعةً ونصف الخ٬

وفى المواضع الذى عرضها ستّة وستّون درجة وما زاد الى تسعين درجة
يصير نهارا كلّه وشرح كيفيّتها طويل مذكور فى المجسطى٬

واعلم ان معنى طول كلّ بلدة ومدينة هو بُعدها من اقصى المغرب ومعنى
عرضها هو بُعدها من خطّ الاستواء وخطّ الاستواء هو الموضع الذى يكون
الليل والنهار هناك ابدا متساويَيْن فكلّ مدينةٍ على ذلك الخطّ فلا عرضَ لها
وكلّ مدينة فى اقصى المغرب فلا طولَ لها ايضا ومن اقصى المغرب الى اقصى
المشرق مائة وثمانون درجة مقدارُ كلّ درجة تسعة عشر فرسخا وكلّ مدينة
طولُها تسعون درجة فهى فى وسط من المشرق الى المغرب٬ وما كان اكثر
فهى الى المغرب اقرب وما كان اقلّ فهى الى المشرق اقرب وكلّ مدينتَيْن
احداهما اكبر طولا وعرضا فهى الى المشرق والشمال اقرب من الاخرى
والتفاوت الذى يكون بينهما فى العرض كلّ درجة تسعة عشر فرسخا بالتقريب
واما تفاوُتهما فى الطول فتختلف فما كان منها على خطّ الاستواء فكلّ درجةٍ فى
الطول تسعة عشر فرسخا وما كان فى الاقليم الاوّل فكلّ درجةٍ سبعة عشر
فرسخا وفى الثانى كلّ درجة خمسة عشر فرسخا وفى الثالث كلّ درجة ثلاثة
عشر فرسخا وفى الرابع كلّ درجة عشر فراسخ وفى الخامس كلّ درجة سبعة
فراسخ وفى السادس كلّ درجة خمسة فراسخ وفى السابع كلّ درجة ثلاثة فراسخ
والمدن التى ليست فى الاقاليم السبعة وهى كلّ مدينة عرضها اقلّ من اثنى
عشر درجة ممّا يلى خطّ الاستواء اوّلها مما يلى الشرق٬

في وجه الارض والتغيّرات فيه ☆)

نقول ان الارض بجملتها تنقسم نصفَيْن اثنين نصف شماليّا ونصفا جنوبيّا
وظاهر كلّ نصف منها ينقسم بنصفين اثنين فيكون جملته اربعة ارباع كلّ ربع
منها موصوف باربعة انواع فمنها مواضع هي براريّ وقفار وفلوات ومنها مواضع البحار
والآجام والغدران ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ومنها مواضع
المراعي والقرى والمدن والعمران٬ واعلم ان هذه المواضع تتغيّر وتتبدّل على
طول الدهور والازمان وتصير مواضع الجبال براريّ وغدرانا وانهرا وتصير مواضع
البحار جبالا وتلالا وسباخا واجاما ورمالا ويصير مواضع العمران خرابا ومواضع
الخراب عمرانا ونحتاج ان نذكر طرفا من كيفيّة هذه الاوصاف اذ كان هذا الفنّ
من العلوم الغريبة البعيدة من افكار كثيرٍ من اهل العلم المرتاضين فضلاء عن غيرهم

واعلم بان كلّ ٣٠٠٠ سنة تنتقل الكواكب الثابتة واوجات الكواكب السيّارة
وجوزهراتها في البروج ودرجاتها وفي كلّ ٩٠٠٠ سنة تنتقل من ربع الى ربع من ارباع
الفلك وفي كلّ ٣٦٠٠٠ سنة تدور في البروج الاثني عشر دورةً واحدة فبهذا السبب
تختلف مسامتات الكواكب ومطارح شعاعاتها على بقاع الارض واهوية البلاد
ويختلف تعاقُب الليل والنهار والشتاء والصيف عليها اما باعتدال واستواء او
بالزيادة والنقصان او افراطٍ من الحرارة والبرودة او اعتدال منها وتكون هذه
اسبابا وعللا لاختلاف احوال الارباع من الارض وتغييرات اهوية البلاد والبقاع
وتبديلها بالصفات من حالٍ الى حالٍ فتصير بهذه العلل والاسباب مواضع العمران
خرابا ومواضع الخراب عمرانا ومواضع البراريّ بحارا ومواضع البحار براريّ وجبالا

☆) وهي نبذ من الرسالة الثامنة عشر٬

ويعرف حقيقة ما قلنا وصحّة ما ذكرنا الناظرون فى علم الطبيعيّات والالاهيّات الباحثون عن علل الكائنات الفاسدات التى تحت فلك القمر وكيفيّة تغييراتها '

اعلم ان البحار هى كالمستنقعات على وجه الارض وان الجبال بينها هى كالمسنّوات والبريدات لها لينفصل البحار بها بعضها من بعض ولا يكون وجه الارض كلّه مغطّى بالماء وذلك انه لولم تكن الجبال على وجه الارض وكان سطحه مستديرا املس لكانت مياه البحار تنبسط على وجهه وتغطّيها من جميع جهاتها وتحيط بها كاحاطة كرة الهواء بالارض كلّها وكان البحار على وجه الارض كلّها بحرا واحدا ولكن الحكمة الالاهيّة قد اقتضت ان يكون بعض اجزاء الارض مكشوفا ليكون مسكنا لحيوان البرّ ومنبت العشب والاشجار والزروع اذ كانت هذه غذاءا للحيوان ومادّة لاجسادها كلّ ذلك تقدير العزيز العليم '

واعلم ان الاودية والانهار كلّها تبتدى من الجبال والتلال وتمرّ فى مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران وان الجبال تحمى من شدّة اشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الازمان والدهور وتنشف رطوباتها فتزداد جفافا ويبسا وتنقطع وتنكسر خاصّة عند الصواعق وتصير احجارا وصخورا وحصى ورملا ثم ان الامطار والسيول تحطّ تلك الصخور والاحجار والرمال الى بطون الاودية والانهار وتحملها بشدّة جريانها الى البحار والغدران والآجام وان البحار من شدّة تموّجها واضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى فى قعرها سافا على سفّ بطول الزمان والدهور وتتلبّد بعضها فوق بعض وينعقد وينبت فى قعور البحار جبالا وتلالا ورواسى كما يتلبّد من هبوب الرياح وعن الرمال فى البرارى والقفار '

واعلم انه كلما امتلأت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التى ذكرنا انها

تنبت في الماء يزيد البحر ويطلب الاتّساع وينبسط على سواحله نحو البراريّ والقفار ويغطّيها بالماء فلا تزال ذلك دأبه بمرور الادوار حتى تصير مواضع البراريّ بحارا وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير احجارا وحصى ورمالا وتحطّها سيول الامطار الى الاودية وتحملها الانهار بجريانها نحو البحار وينعقد هناك كما وصفت وينخفض الجبال الشامخة وتنقعر حتى تستوى مع وجه الارض وهكذا لا يزال الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبّد وينبت منها التلال والبراريّ والجبال وينصبّ الماء عن ذلك المكان حتى تصير جزائرَ وبراريَّ ويصير ما بقي من الماء في وهداتها وقعورها بحيرات وغدران وتظهر تلك الجبال وتنكشف هذه التلال ويصير بينها آجام فيها القصب والدحال فلا تزال السيول تحمل هناك الطين والرمال والوحول حتى تجفّ تلك المواضع وتنبت هناك الاشجار والعكرش والعشب ويصير مواضع السباع والوحوش ثم يقصدها الناس لطلب المنافع والمرافق من الحطب والصيد ثم يتّخذ منها مواضع للزروع والغروس والنبات والقرى والمدن ويسكنها الناس،

اعلم بان هذه البحار هي متّصلة بعضها ببعض اما بخُلجان بينها على ظاهر الارض واما بمنافذ لها وعروق في منابت باطن الارض، ومنها ما امياهُها عذبة ومنها مالحة شديدة الملوحة ومنها شديدة المرارة ومنها بعيدٌ قعرُها غليظ ماؤُها شديد امواجها ومنها دون ذلك مختلفة احوالها واصنافها،

اما علّة هيجان البحار وارتفاع مياهها ومدودها على سواحلها فهي من اجل ان مياهها اذا حميت في قرارها وسخنت لطفت وتحلّلت فطلبت مكانا اوسع مما كانت فيه قبلُ فتدافعت بعض اجزائها بعضا الى الجهات الخمس فوقا وشرقا وغربا وجنوبا وشمالا للاتّساع فتكون في الوقت الواحد على سواحلها امواج

مختلفة فى جهات مختلفة٬ واما علّة هيجانها فى وقت دون وقت فهو بحسب تشكُّل الفلك والكواكب ومطارح شعاعاتها على سطوح تلك البحار من الافاق والاوتاد الاربعة واتّصالات القمر بها عند حلوله فى منازله الثمانية والعشرين كما هو مذكور فى كتب احكام النجوم٬

واما علّة مدود بعض البحار فى وقت طلوع القمر ومغيبه دون غيرها فهى من اجل ان تلك البحار فى قرارها صخور صلبة واحجار صلدة فاذا اشرق القمر على سطح ذلك البحر وصلت مطارح شعاعاته الى تلك الصخور والاحجار التى فى قرارها ثم انعكست من هناك راجعةً فسخنت تلك المياه وحميت ولطفت وطلبت مكانا اوسع وارتفعت الى فوق ودفع بعضها الى بعض الى فوق وتموّجت الى سواحليها وفاضت على شطوطها ورجعت مياه الانهار التى كانت تنصبّ اليها الى خلف راجعة فلا يزال ذلك دابُها ما دام القمر مرتفعا الى وسط سمائه فاذا انتهى الى هناك واخذ ينحطّ سكن عند ذلك غليان تلك المياه وبردت وانضمّت تلك الاجزاء وغلظت ورجعت الى قرارها وجرت الانهار على عادتها فلا يزال ذلك دابها الى ان يبلغ القمر الى الافق الغربىّ من تلك البحار ثم يبتدى المدُّ على مثل عادته وهو فى الافق الشرقىّ ولا يزال ذلك دابه حتى يبلغ القمر الى وتد الارض فينتهى المدُّ من الراس ثم اذا زال القمر من وتد الارض اخذ المدُّ راجعا الى ان يبلغ القمر الى افقه الشرقىّ من الراس٬

واما الكهوف والمغارات والاهوية التى فى جوف الارض والجبال اذا لم يكن لها منافذ ولم يخرج منها المياه بقيت تلك المياه هناك محبوسةً زمانا واذا حمى باطن الارض وجوف تلك الجبال سخنت تلك المياه هناك ولطفت وتحلّلت وصارت بخارا وارتفعت وطلبت مكانا اوسع فان تكن تلك الارض كثيرة

التخلخل تحلّلت وخرجت تلك البخارات من تلك المنافذ وان تكن ظاهر
تلك الارض شديدا لتكاثف حُصيّبه منعه من الخروج وبقيت محتبسةً تتموّج
في تلك الاهوية تطلب الخروج وربما انشقّت الارض في موضع منه وخرجت
تلك الريح مفاجأةً وينخسف مكانها ويسمع لها دويٌّ وهدّة وزلزلة وان لم
تجد لها مخرجا بقيت هناك محتبسةً وتدوم تلك الزلزلة الى ان يبرد جوف
تلك المغارات والاهوية وتغلظ وتتكاثف تلك البخارات واجتمعت اجزاؤها
وتكاثفت وصارت ماءً وجرت راجعةً الى القرار في تلك الكهوف والمغارات والاهوية
ومكثت هناك ازمانا وكلّما طال وقوفها ازدادت صفاءً وغلّظ حتى يصير زيبقا
رجراجا ويختلط بتربة تلك المغارات ويتّحد بها وحرارة المعدن دائمة في
تنضيجها وطبخها فيكون منها ضروبٌ من الجواهر المعدنيّة المختلفة الطبائع٬

واما علّة اختلاف مياه العيون والينابيع التي في جوف الارض وكهوف
الجبال من العذوبة والملوحة والحُموضة والعفوصة والكبريتيّة منها او النفطيّة او
الزيبقيّة او غلبة حرارتها في الشتاء وبرودتها في الصيف او ما كان على حالة
واحدة في جميع الاوقات فهي بحسب اختلاف ترب بقاع الارض وتغييرات
الاهوية مكانها والعوارض التي تعرض لها٬

اعلم ان الحرارة والبرودة ضدّان لا يجتمعان في مكان واحد وفي زمان واحد
فاذا جاء الشتاء وبرد الجوّ فرّت الحرارة واستجنّت في بطن الارض فسخنت
تلك المياه في بطن الارض فاذا جاء الصيف وحمي الجوّ فرّت البرودة واستجنّت
في بطن الارض فبردت تلك المياه التي في بطن الارض٬

اعلم ان في بطن الارض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتيّة فتصير تلك
الرطوبات التي تنصبّ اليها دهنيّةً وتكون الحرارة فيها دائما مشتعلة وتجري

بينهن او فوقهن مياه فى جداول وعيون نافذة فتسخن تلك المياه بمرورها هناك وجوازها عليهن ثم تخرج وتجرى على وجه الارض وهى حارّة حامية فاذا اصابها نسيم الهواء وبرد الجوّ بردت وربما جمدت اذا كانت غليظة وانعقدت وصارت زيبقا او رصاصا او قيرا او نفطا او ملحا او كبريتا او بورقا او شبّا او ما شاكل ذلك بحسب اختلاف ترب البقاع وتغييرات الاهوية٬

فى الكون والفساد ✿)

اعلم ان الاجسام التى تحت فلك القمر سبعةُ اجناسٍ اربعةٌ منها هى الامّهات الكلّيات وهى النار والهواء والماء والارض وثلاثةٌ منها هى المولَّدات الجزوئيّات وهى الحيوان والنبات والمعادن فنبدأُ اوّلا بوصف الامّهات الكلّيات فنقول ان الامّهات الكلّيات كلّ واحدة منها مركَّبةٌ من الهيولى والصورة فهيولاها كلّها هو الجسم وصورتها هى التى تنفصل بها كلّ واحدة منها عن الاخرى وهى الصورة المقوّمة لذات كلّ واحدةٍ منها ولمّا كانت الصورةُ نوعَيْن مقوّمةً ومتمّمةً احتجنا ان نصفها ليعرف الفرق بينهما فنقول ان الصورة المقوّمة لذات الشىء هى التى اذا فارقت هيولاها بطل وُجدان ذلك الشىء والصورة المتمّمة هى التى تُبْلغ الشىء الى افضل حالاته التى يمْكنه البلوغُ اليها واذا فارقت هيولاها لم يبطل وجدان الهيولى مثل ذلك الشكل والحركة فانهما اذا فارقتا الجسم لم يبطل وجدان الجسم واما الطول والعرض والعمق اذا فارقت الهيولى بطل وجدان الجسم٬

✿) وهى الرسالة السادسة عشر٬

اعلم ان كلّ صورة مقوّمة لذات الشيء يتلوها صورة اخرى متمّمة وكلّ صورة مقوّمة متقدّمة فاعلة للاخرى تابعة لها يتلو بعضها بعضا كما يتلو العدد ازواجه افراده وافراده ازواجه بالغا ما بلغ مثال ذلك الصور المتتالية فى جرم النار فالمقوّمة لذاتها هى حركة الغليان والصورة المتمّمة التابعة لها هى الحرارة والتى يتلوها هى اليبوسة والتى يتلوها تماسك الاجزاء ولولا رطوبة الهواء المحيطة بالنيران التى عندنا تمنعها ان تفرط اليبوسة فيها لتماسكت اجزاؤها وجفّت كما تجفّ نار الصاعقة ولكن لو اصابها اليبس والجفاف لقلّ الانتفاع بها الذى هو الغرض الاقصى منها٬

اعلم ان الهواء هو جوهر لطيف فيه فضائل كثيرة وخواصّ عجيبة من ذلك انه يمنع النيران برطوبته وسيلانه ان تجفّ وتيبس كما يمنع الاصوات سيلانه ان تثبت لان لولاه لمكثت فى الهواء زمانا طويلا فقلّ الانتفاع بها ويكثر الضرر منها وذلك ان الاصوات لبست تمكث فى الهواء الا ريثَ ما يسمع وتاخذ المسامع منها حظّها ثم تضمحلّ ولو ثبتت الاصوات فى الهواء زمانا طويلا لامتلأ الهواء من الاصوات والضوضاة حتى لا يمكن ان يُسْمع ما يحتاج اليه من الكلام والأقاويل٬ وهكذا ايضا لو يبست النيران وجفّت لما سرتْ فى الاجسام ولم تنضْجها فكانت الاشياء التى يراد نضجها تبقى فجّةً غليظة فانظر يا اخى وتفكّر فى حكمة البارى جلّ وعلا اذ جعل ثباتَ النيران بحسب مُراد المستعمل لها فاذا أُستغنى عنها ردّها الى العدم باسهل السعْى ولو انها بقيت بحالها لعظم الضرر منها وقلّ الانتفاع بها٬

ومن الصور المتمّمة لذات النار اللطافة التى تولّدها الحرارة ويتلوها سرعة النفوذ فى الاجسام ومن الصور المتمّمة لذات النار ايضا النور ويتلوه الاشراق

وقد اجتمعت فى جرم النار عدّةُ صورٍ كلّها متمّمة لها وهى الحركة والحرارة واليبوسة واللطافة والنور وهى بدلّ صورةٍ تفعَل فعلا غيرَ ما تفعل بالاخرى وذلك انها بالحركة تُغْلى الاجسام وبالحرارة تسخّن وباليبوسة تُنشف وباللطافة تنفذ فى الاجرام وبالنور تضىء ما حولَها وبالحرارة والحركة تُحيل الاجسام الى ذاتها٬

واما الصورة المقوّمة لذات الارض فهى السكون الذى هو ضدّ الغليان والصورة الثانية المتمّمة لها البرودةُ والثانيةُ للبرودة اليُبوسةُ والثانية لليبوسة تماسُك الاجزاء ومن تماسُك اجزائها ثبات الكائنات على ظهرها من الحيوان والنبات والمعادن٬

واعلم ان اليبوسة نوعان احداهما تابعةٌ للحرارة وهى فاضلةٌ والاخرى تابعة للبرودة وهى رذلةٌ وذلك ان اليبوسة التابعة للحرارة هى نضيجة والتى تتبع البرودة فجّة غير نضيجة ومثل ذلك يبوسة الياقوت والبلّور وامثالها فانها قد انضجت بطبخ حرارة المعادن وهى فاضلة لا تستحيل ولا تتغيّر واما التى هى تابعة للبرودة فمثل يبوسة الثلج والجليد والملح وغيرها فانها لما كانت فجّة غير نضيجة صارت رذلة مستحيلةً متغيّرة٬

ومن اجل هذا صارت الاجرام الفلكيّة لا تقبل الكون والفساد والتغيير والاستحالة لان تمسُك اجزائها من شدّة يبوستها ويبوستُها تولّدت من شدّة حرارة حركتها ثم غلبت عليها اليبوسة وطفئت المتولّدة التى هى الحرارة كما بيّنّا فى رسالة السماء والعالم واما الاجسام الارضيّة لما كانت تمسُك اجزائها من اليبوسة الرذلة التى ليست بنضيجة بل متولّدة من البرودة المتولّدة من السكون صارت تستحيل وتتغيّر وتفسد٬

اعلم ان الصورة المقوّمة لذات الماء والهواء كلاهما الرطوبة المتولّدة من امتزاج

الاجزاء المتحرّكة والساكنة جميعا وذلك ان اليبوسة لما كانت متولّدةً من شدّة حركة اجزاء الهيولى كما او من شدّة سكونها كلّها كما بيّنّا قبلُ وكانت الرطوبة ضدّا لها دلّت على انها متولّدة من امتزاج الاجزاء المتحرّكة والساكنة جميعا٬ واما الصورة المتمّمة لذات الماء فهى كثرة الاجزاء الساكنة الغليظة فيه وقلّة الاجزاء المتحرّكة اللطيفة واما الصورة المتمّمة لذات الهواء فهى كثرة الاجزاء اللطيفة المتحرّكة وقلّة الاجزاء الغليظة الساكنة ولما كانت الصورة المتمّمة لذات الماء كثرة الاجزاء الغليظة الساكنة فيه صار مشاكلا للارض فى البرودة وصار مركزه ممّا يلى مركز الارض ولما كانت الصورة المتمّمة لذات الهواء كثرة الاجزاء اللطيفة المتحرّكة صار مشاكلا للنار فى الحرارة وصار مركزه ممّا يلى مركز النار٬

اعلم يا اخى انه لما كانت الصورة المقوّمة للاجسام الفلكيّة هى شدّة اليبوسة المتولّدة من شدّة الحرارة المتولّدة من شدّة سرعة الحركة وكانت الصورة المقوّمة للاجسام الارضيّة اليبوسة المتولّدة من شدّة البرودة المتولّدة من شدّة السكون التى هى ضدّ حركة الفلك صارت الاجسام الارضيّة كلّها مشاكلةً للفلكيّة بحسب اليبوسة ومضادّةً لها فى الحركة ولمّا كانت حركتها حول المركز صار سكونُ هذه فى المركز لان المضادّ يفرّ من ضدّه الى ابعد الاماكن وابعدُ الاماكن من المحيط هو المركز٬

ولمّا كانت الصورةُ المقوّمة للماء والهواء الرطوبةَ المتولّدة من امتزاج الاجزاء المتحرّكة والساكنة جميعا وكانت الصورة لليبوسة مضادّةَ الصورة للرطوبة صار موضعهما ما بين المحيط والمركز ولما كانت الصورةُ المتمّمةُ لذات الماء كثرةَ الاجزاء الغليظة الساكنة وصار الماء مشاكلا للارض فى البرودة صار مركزه ممّا يلى مركزها ولمّا كانت الصورة المتمّمة لذات الهواء كثرة الاجزاء اللطيفة المتحرّكة

صار الهواء مشاكلا للنار في الحرارة وصار مركزه مما يلي مركزها ' فقد بان بهذا الشرح ان الاجسام بعضها مشاكل لبعض في طبيعة ما ومضادّ في طبيعة اخرى ومن اجل مضادّة طبائعها تباينت مراكزها ومن اجل مشاكلتها تجاورت مراكزها ' ولمّا ترتّبت هذه الاجسام مراتبها يكون كلُّ واحد في المركز الخاصّ به واقف مسدد ولا ممتدّا لا ثقيلا ولا خفيفا ولا يخرج من مواضعها الا بعارضٍ قاهرٍ لها فاذا خليت رجعت الى مواضعها الخاصّ بها فان منعها مانع وقع النزاع بينهما فان كان النزوع الى ناحية مركز العالم يسمّى ثقيلا وان كان الى ناحية المحيط سُمّيَ خفيفا ولما ترتّبت الأُكَرُ وقف كلّ واحد من هذه الاركان في موضعه الخاصّ به تحيط بعضُها بعضا مستديراتٍ الا الماء فانه قد منعته العنايةُ الالاهيّة وحكمة الربّانيّة عن الاحاطة بالارض من هذه الجهات لانه لو احاطت كرةُ الماء بكرة الارض من جميع الجهات لمُنع كونُ الحيوان والنبات على وجه الارض ولكن جُعلت للمياه مستنقعاتٌ في الارض وهي البحارُ ' الخ '

واعلم يا اخي ان الاركان الاربعة يستحيل بعضُها الى بعضٍ فيصير الماء تارةً هواءا وتارةً ارضا وهكذا ايضا حُكْمُ الهواء فانه يصير تارةً ماءا وتارة نارا وذلك الامر لان النار اذا طفئت وخمدت صارت هواءا والهواء اذا غلظ صار ماءا والماء اذا جمد صار ارضا وعكس ذلك ان الارض اذا تحلّلت ولطفت صارت ماءا والماء اذا ذاب صار هواءا والهواء اذا حمي صار نارا وليس للنار ان تتلطّف فتصير شيئا اخر ولا للارض ان تغلظ فتصير شيئا آخر ولكن اذا اختلط اجزاء هذه الاركان بعضها ببعض يكون منها المولّدات الكائنات الفاسدات التي هي المعادن والنبات والحيوان واصل هذه كلّها البخارات والعصارات اذا امتزج بعضُها ببعض فيتبخّر ما يتصعّد من لطائف ماء البحار والانهار والآجام في الهواء من اسخان الكواكب

والشمس لها بمطارح شعاعاتها على سطوح البحار والانهار والآجام والعصارات ما ينجلب فى بطن الارض من مياه الامطار ويختلط بالاجزاء الارضيّة ويغلظ وتنضجها الحرارة المتبسّطة فى عمق الارض٬

اعلم انه اوّل ما يستحيل الاركان الاربعة اليه البخار والعصارة ويكون هذان الخلطان هيولى ومادّة لسائر الكائنات الفاسدات التى تحت القمر وذلك ان الشمس والكواكب اذا سخنت المياه بشراقها على سطح الارض والبحار والانهار والآجام تحلّلت المياه ولطفت اجزاء الارض وصارت بخارا ودخانا والبخار والدخان يصيران سحابا والسحاب يصير امطارا اذا بُلّت التراب واختلطت الاجزاء الارضيّة بالاجزاء المائيّة وتكون منها العصارات والعصارات تكون مادّةً وهيولى للكائنات التى هى المعدن والنبات والحيوان وقد افردنا لكلّ نوعٍ منها رسالةً مفردة وبيّنّا فيها كيفيّة تكوُّنها منها وتركيبها ونشوّها ونموّها وكمالها وبلوغها اقصى مدى غايتها ثم كيفيّة فسادها وبلائها واستحالتها ورجوعها الى هذه الاركان الاربعة التى تكون منها اوّلا٬

واعلم ان الكون والفساد هما ضدّان لا يجتمعان فى شىء واحد فى زمان واحد لان الكون حصول الصورة فى الهيولى والفساد هو انخلاعها منها واذا انفسد شىء ما فلا بدّ ان يتكوّن فى شىء اخر لان الهيولى اذا انتزعت منها صورةٌ أُلبست صورةً اخرى فاذا كانت الصورة التى البست اشرف سُمّى كونا وان كانت ادون سُمّى فسادا مثال ذلك ان يصير التراب والماء نباتا ويصير النبات حبًّا وثمارا والثمار والحبّ يصيران غذاءا والغذاء يصير دما ولحما وعظما ويكون من ذلك حيوانا والفساد ان يحترق النبات فيصير رمادا ويموت الحيوان فيصير ترابا٬

اعلم ان الجنّة انما هى عالم الارواح الذى كلّها صورة روحانيّة لا فى هيولى

جرمانيّة بل حيوة مختصّة ولذّة وسرور وغبطة لا يعرض لهم اللون والفسد ولا التغيير ولا البلى٬

اعلم ان النار وجهنّم هى هذه الاجسام التى تحت فلك القمر الذى هو دائم فى اللون والفسد والتغيير والبلاء والاستحالة وان اهلها كلّما نضجت جلودهم بدّلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب٬

٬ ر ٬

فى الآثار العلويّة٬ ش)

اردنا ان نذكر فى هذه الرسالة الملقّبة بالآثار العلويّة حوادث الجوّ وتغييرات الهواء ونَصِف كيفيّة حدوثها بتأثيرات الاشخاص الفلكيّة فيها٬

اعلم ان معنى السماء فى لغة العرب كلّما علاك فاظلّك والمطر انما ينزل من السحاب والسحاب يسمّى سماء لارتفاعه فى الهواء٬

فى ماهيّة الطبيعة٬ اعلم ان الطبيعة انما هى قوّة من قوى النفس الكلّيّة الفلكيّة منبثّة منها فى جميع الاجساد التى دون فلك القمر سارية فى اجزائها كلّها تسمّى بلفظ الشرعىّ الملائكة الموكّلين بحفظ العالم وتدبير الخلقة وتسمّى بلفظ الفلسفيّة قُوَى طبيعة وهى فاعلة فى جميع الاجسام٬

والذين انكروا فعل الطبيعة انما ذهب عليهم معنى هذه التسمية فظنّوا انها متوجّهة نحو الجسم والجسم من حيث هو جسم لا فعل له البتّة بالاجماع من الفريقين بدلائل قد صحّت وبراهين قد قامت٬ واعلم ان الذين انكروا فعل الطبيعة يقولون انه لا يصحّ الفعل الّا من حىّ قادر وهذا القول صحيح ومن

ش) وهى نبذ من الرسالة السابعة عشر٬

يظنّون ان الحيّ القادر لا يكون الّا الجسمَ اذا كان على بنية مخصوصة بأعراض تحلّه بزعمهم مثل الحيوة والقدرة والعلم وما شاكلها فلا يدرون ان مع هذا الجسم جوهرا آخر روحانيّا غيرَ مرئيّ وهي النفس وان هذه التى وصفوها من الاعراض انها حالّة فى الجسم هي التى تظهرها فيه اعنى النفس بفعلها فى الجسم٬ واعلم ان ما ذهب على الذين انكروا فعل الطبيعة علمُ النفس وخفى عليهم معرفتها من اجل انهم طلبوا ادراكها بالحواسّ فلم يجدوها فانكروا وجودها اصلا وامّا الذين اقرّوا بالنفس وادركوا وجودها انما عرفوا ذلك بالافعال الصادرة عنها فى الاجسام وذلك انهم اعتبروا حال الجسم فوجدوه بمجرّده لا فعلَ له البتّة ولا للاعراض الحالّة فى الجسم وانما الافعالُ كلُّها للنفس واما الجسم واعراضه فانها للنفس بمنزلة ادوات وآلات لصانعٍ يظهر بها ومنها افعاله كما يُرى ذلك من الصنّاع البشريّين فانهم بادواتٍ جسمانيّة يظهرون صنائعهم فى الاشياء مثلُ ذلك النجّار فانه يظهر افعاله فى الخشب الذى هو جسم طبيعيّ بالآلات والادوات كالفاس والمنشار والمثقب وما شاكلها التى كلّها اجسامٌ صناعيّة واجسادُ الصُنّاع هي ايضا من الاجسام الطبيعيّة وهي آلة لنفوسهم وأداة لها تظهر بها صناعتها وافعالها كما بيّنّا فى رسالة تركيب الجسد ورسالة الصنائع العمليّة٬ واذ قد بان ما الطبيعة وانها قوّةٌ من قوى النفس الكلّيّة الفلكيّة وانه لا فعلَ الا للنفس وانها تفعل افعالها بقوّتها فى الاجسام وان الاجسام كلّها آلاتٌ وادوات ومفعولات لها نرجع الآنَ الى

ذكر الاجسام البسيطة التى دون فلك القمر٬

ونقول انها الهيولى الموضوع للطبيعة وهي قابلة الاشكال والاصباغ والصور وصنعة منها الحيوان والنبات والمعدن وان الاشخاص الفلكيّة لها كالادوات

للصنائع وذلك ان الفلك بدورانه حول الارض فى كل اربع وعشرين ساعة دورة واحدة وكواكبه ومطارح شعاعاتهم فى سمك الهواء وعلى سطح البحار والارض واسخانها لها يحلل المياه فيصير بخارا ويلطف اجزاء التراب فيصير دخانا ويختلطان ويكون منهما ضروب المزاجات كما تكون من اصباغ المصورين ثم ان قوى النفس الكلية الفلكية السارية فى جميع الاجسام المسمّاة بالطبيعة تنقش وتصور من تلك المزاجات والاخلاط اجناس الكائنات التى فى الحيوان والنبات والمعادن باذن الله ولما كان اول اختلاط ومزاج يحدث فى هذه الاركان تغييرات الهواء وحوادث الجو لسهولة انفعاله وسرعة استحالته احتجنا ان نذكر حال الهواء اولا ثم حال المياه ثم حال بقاع الارض فنقول اذ قد بيّنا فى رسالة السماء ان كرة الهواء محيطة بكرة الارض من جميع جهاتها وان سمكه من ظاهر سطح الارض الى ادنى فلك القمر مثل قطر الارض ستة عشر مرة ونصف وذلك ان قطر الارض الفان ومائة وسبعة وستون فرسخا فيكون سمك الارض ٣٥٧٥٨ فرسخا

اعلم ان سمك الهواء ينفصل ثلاث طبقات متباينة احدها ما يلى سطح فلك القمر والاخر مما يلى سطح الارض والاخر هو الوسط بينهما وذلك ان الهواء الذى على فلك القمر نار سموم فى غاية الحرارة ويسمى الاثير والذى فى الوسط بارد فى غاية البرد ويسمى الزمهرير والذى يلى سطح الارض معتدل المزاج فى موضع دون موضع ويسمى النسيم وان العلة فى اختلاف هذه الطبقات الثلاث هو ان الهواء المماس لفلك القمر بدوام دورانه معه وسرعة حركته قد حمى حميا شديدا حتى صار نارا سموما ثم انه كلما كان منحطا الى اسفل كان ابطأ حركة واقل حرارة وكلما قلت الحرارة غلبت البرودة ولا يزال كذلك الى ان يصير

في غاية البرودة التي تسمّى الزمهرير٬ ولا يكون سمك كُرة الاثير بالاضافة الى كرة الزمهرير الا شيأً يسيرا ولولا مطارح شعاعات الشمس والقمر والكواكب على سطح الارض وانعكاسُها في الهواء واسخانها له لكان الهواء المماسّ لظاهر سطح الارض اشدَّ بردا ممّا سواه كما يعرض ذلك تحت القطب الشماليّ وذلك انه يصير هناك ستّةُ اشهر ليلا كلّها فيبرد الهواء بردا شديدا ويجمد المياه ويظلم الجوّ ويغلظ ويهلك الحيوان والنبات وما في مقابلة هذا الموضع من قطب الجنوب يكون في هذه الاشهر الستّة نهارا كلّه فيدوم اشراق الشمس على تلك البقاع ويتّصل انعكاس شعاعاتها في الهواء ويسخن اسخانا شديدا حتى يصير نارا سموما محرقة للحيوان والنبات٬

وعلّةٌ اخرى ان الشمس في وقت مسامَتَتها لهذه البقاع تكون قريبةً من الارض لان حضيضها في آخر القوس فاما اذا كانت في البروج الشماليّة فان تحت قطب الشمال ايضا ستّة اشهر نهارا كلّه ولكن لا تسخن تلك البقاع كاسخانها البقاع التي تحت قطب الجنوب لانها تكون بعيدة من الارض مرتفعة في الفلك لانّ اوجَها في اخر برج الجوزاء٬

واعلم ان بين بعدها في الاوج وبين قربها في الحضيض مقدار ما مثل قطر الارض مائة مرّة وهو مقدارُه ٢١٦٧٠٠ فرسخ ومن اجل هذا صار العامرُ من الارض في الربع الشماليّ من خطّ الاستواء الى ستّة وستّين درجة وهو من مرّ الحمل على سمت الراس الى حيثُ مرُّ دقّ الحَضيض على سمت الراس وهذا الربع هو الاقاليمُ السبعة كما بيّنّا في رسالة جُغرفيا٬ واعلم ان على سمت هذه الاقاليم يخترق من هواء النسيم اكثرُه وفي هذه البلدان تعتدل الطبائع٬ ونريد ان نذكر سمك كرة النسيم والنسيم كم اكثرُها ترتفع وذلك انه كرةً يزيد في سمكه وارتفاعه

وتارة تنقص من ذلك بحسب زوايا شعاعاته المنعكسة في طرفي النهار وانصافه وايّام الشتاء والصيف وذلك ايضا بحسب ارتفاعات الشمس والكواكب من الآفاق وممرّاتها على سمت البقاع واعلم ان الزوايا التي تحدث من انعكاس شعاعات الكواكب والشمس من وجه الارض ثلاثةُ انواع حادّة وقائمة ومنفرجة وهذه الزوايا كلّها مُسخنةٌ للمياه والارض والهواء ومحرّكةٌ لها ولكن اشدّها اسخانا الزوايا الحادّةُ ثم القائمة ثم المنفرجة٬

ولما كانت الزوايا المنفرجة بعضها اشدّ انفراجا من بعض والحادّة بعضها احدّ من بعض والزوايا القائمةُ كلّها متساويةً احتجنا ان نبيّن متى تكون الزوايا منفرجةً ومتى تكون قائمة ومتى تكون حادّة٬ فنقول انه اذا ابتدأت الشمس من الأُفق او القمر او ايّ كوكب كانت واشرق على سطح الارض والبحار فان زوايا شعاعتها كلّها تنعكس منفرجةً غايةَ الانفراج ثم لا يزال كلّما ارتفعت قلّ انفراجُها وتضايقت حتى اذا صار الارتفاع خمسا واربعين درجةً صارت زوايا انعكاس الشعاع كلُّها قائمةً في تلك البقاع بحسبُ فاذا زاد الارتفاع نقصت الزوايا وضاقت وصارت حادّةً ولا تزال كلّما ارتفعت فيزداد ارتفاعُها زادت الزوايا حدّةً الى ان تسامت كواكب البقعة فتنطبق الزوايا وتلتقى الاضلاع فاذا زال الى ناحية المغرب انفصلت الاضلاع وانفتحت الزوايا الحادّة في غاية الحدّة ولا يزال كلّما انحطّت الشمس او ايّ كوكب كان ازدادت الزوايا انفراجا الى ان يصير الارتفاع من جهة المغرب خمسا واربعين درجة مرّة ثانية فيصير الزوايا كلُّها قائمةً مرّةً اخرى فاذا نقص الارتفاع من خمس واربعين درجة صارت الزوايا كلّها منفرجةً ولا تزال كلّما انحطّت الكواكب الى المغرب انفرجت الزوايا الى وقت المغرب فيصير كلُّها في غاية الانفراج كما كانت غدوةً ومن اجل هذا صار انتصاف النهار اشدّ حرارةً من طرفيه

لان الزوايا فى الغدوات والعشيّات تكون منفرجةً وفى انصف النهار تكون حادّةً وفيما بين الوقتَين قائمةً ويكون الحرّ متوسّطًا بين الشدّة والفتور ولاكن ارتفاع الشمس فى الشتاء لا يبلغ خمسا واربعين درجة فلا يكون انصف النهار فى الشتاء شديدَ الحرّ

فنقول ان اكثر ما يكون سمك كرة النسيم ستّة عشر الف ذراع ارتفاعا فى الهواء واقلّه ما يطبق سطح الارض ومن الدليل على ان اكثر ما يكون سمك كرة النسيم هذا المقدار هو ان اعلى جبلٍ يوجد فى الارض لا يجوز ارتفاعُ راسه فى الهواء هذا المقدارَ واكثر هذه الجبال لا يبلغ ارتفاعَ روسِها الغيومْ وانما يمنعها شدّة البرد المفرط هناك'

لان الرافع للغيوم فى الهواء انما هو حرارة الجوّ من اسخان الكواكب له بمطارح شعاعاتها وانعكاسُ تلك الشعاعات من سطح الارض والبحار على زوايا حادّةٍ كما بيّنّا قبلُ وان احدّ ما يكون الزوايا على سطح الارض فأما فى الهواء فانه كلّما ارتفع فان اضلاع تلك الزوايا تنفرج ويقلّ التسخين هناك ويضعف فعلها ويضمحلّ تاثيرها فى العلوّ فيغلب البرد هناك'

اعلم ان اوّل ما يقبل الهواء من التغييرات والاستحالات هو النور والظلمة والحرّ والبرد ثم ما يحدث فيه من اختلاف الرياح من كثرة البخارات المتصعدة والدخانات الساطعة ويتبعها الزوابع والهالات والضباب والغيوم والرعود والبروق والصواعق والهدّات ثم الامطار والطلّ والندى والصقيع والثلوج والبَرَد وقوس قُزَحَ والشهب وذوائب الاذناب وما يتبع هذه من هيجان البحار والمدّ والجزر فيها'

واعلم ان هذه التغييرات التى تكون فى الجوّ ما دامت تحدث بعضها فى

سمك كرة النسيم وبعضها فى سمك كرة الاثير وبعضها فى السطوح المشتركة بينها نحتاج الى ان نفصّل واحدا واحدا ونبدأ اوّلا بشرح حال السطوح وذلك ان السطوح نوعان مشتركة ومتداخلة فالمشتركة مثل سطح الماء والهواء والسطح الذى بين الدهن والماء فانه ليس بين الجسمين الّا فصل مشترك يفصل احدهما عن الاخر فصلا وهميّا حسبُ واما السطوح المتداخلة فمثل سطح الماء الواقف فى الطين او الرمل فان الاجزاء الارضيّة متداخلة لاجزاء الماء واجزاء الماء متداخلة لاجزاء التراب فلا يكون بينهما فصل مشترك يفصل بينهما٬ واعلم ان من السطوح ما يقرب طبيعة الجسمين المتماسّين ومنها ما لا يقرب احدهما مثل سطح الهواء من اسفل ممّا يلى الماء فان اجزاءه اغلظ من سائر اجزاء الهواء ممّا يلى فوقُ وكذلك سطح الماء ممّا يلى الهواء فان تلك الاجزاء الطف من سائر الاجزاء التى فى اسفل ممّا يلى الارض وكذلك سطح الهواء المحيط بالنيران التى عندنا فانه يكون اسخن من سائر اجزائه البعيدة من النار وكذلك سطح النار ممّا يلى الهواء المحيط بها فانه يكون اقلّ حرارةً من سائر اجزائه الباقية من النار واما سطوح الصلبة مثل الحديد والخشب والحجر وما شاكلها اذا تجاورت فليس يعرض لها هذا الوصف٬

واذ قد فرغنا من ذكر ما احتجنا الى ذكره فانّا نقول ان سطح كرة الاثير الذى يلى فلك القمر مشتركٌ غير متداخل الاجزاء وكذلك سطوح أُكَرِ الافلاك والكواكب كلّها وقد ظنّ كثير من الطبيعيّين ان بين كرة الزمهرير والاثير سطحا متداخلا غير مشترك وليس الامر كما ظنّوا بل هو كما نبيّن فيما بعد٬

اما بين سطح كرة النسيم وبين كرة الزمهرير فنبيّن انه غير مشترك بل متداخل كسطح النار والهواء والماء والارض واما سطح كرة النسيم ممّا يلى

الارض فتبيّن انه متداخلُ الاجزاء ايضا الى عُمق الارض بحسب تخلّخُل الاجزاء الارضيّة الى نهاية ما ثم يقف ولا يداخل اكثر من ذلك والدليل على ذلك ما يعرض لحفرى المعادن الى اسفل حتى انهم ربّما يحتاجون لترويح النسيم عنهم بالمنافخ والاذبيب يستنشقون من ذلك النسيم وتضىء سُرُجهم بها فمتى انقطع ذلك النسيم لعارض ما طفيت سرجهم واختنق من كان فى المعدن فمات ولا يمكن ان يكون فى الموضع الذى لا يخترقه النسيم حيوانات كما بيّنا فى رسالة الحيوان٬

اعلم ان الهواء بحر واقف لطيفُ الاجزاء خفيف الحركة سريع السيلان سهل القبول للتغييرات والحوادث وقد بيّنا فى رسالة الحسّ والمحسوس كيفيّة قبوله للنور والظلمة والاصوات والروائح وكيفيّة قبول البرد والحرّ فى رسالة الكون والفساد ونريد ان نصف فى هذا الفصل كيفيّة حدوث الريح وكميّة انواعها وجهاتها واختلاف تصاريفها وما العلّة المحرّكة لها فى وقت دون وقت فى بلد دون بلد ونبيّن ايضا كيفيّة سياقة الغيوم من البحار الى البرارى والقفار ورؤس الجبال وكيف تميزُ السحاب حتى ينزل المطر ولكن نحتاج قبل ذلك ان نذكر حالات القمر ونصف منازله واتّصاله بالكواكب التى هى الموجبة لاثارات البخارات والدخانات وللتسخين الموجب لكون الريح فنقول ان للقمر فى الفلك ثمانية وعشرين منزلا كما ذكر الله٬ والقمر قدّرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم٬ ولهذه المنازل خواصّ تظهر تاثيراتُها فى الاركان الاربعة وفى المولّدات منها عند نزوله يوما بيوم وليلةً بليلة وللشمس والكواكب ايضا اتّصالات بعضها ببعض يقوى فعلُها وتاثيراتُها فيها يطول شرحها وهى مذكورة فى كتب احكام النجوم٬

ولكن نذكر شيئا ما لا بدّ له من ذكره فى هذا الفصل وذلك ان من تامّل

المنزل ما يقوى افعاله فى اثارة البخارات من البحر والآجام ومنها ما يقوى فعلها فى اثارة الدخان من وجه الارض والبرارى ومنها ما يقوى فعلها فى تبريد الهواء وزيادة الماء ومنها ما يقوى فعلها فى اسخان الهواء ونقصان المياه وخاصّته انه اذا اتّفق نزولُ القمر بمنزلٍ واتّصاله بكوكبٍ يشاكل فعلُه بخاصّيّة المنزل٬

اعلم ان الريح ليست شيأً سوى تموُّج الهواء بحركته الى الجهات الستّ كما ان امواجَ البحر ليست شيأً سوى حركة الماء وتدافُع اجزائه الى الجهات الاربع وذلك انّ الماء والهواء بحران واقفان غير ان اجزاءَ الماء غليظة ثقيلة واجزاء الهواء لطيفة خفيفةُ الحركة٬

واعلم ان احدَ اسبابِ حركة الهواء هو صعود البخارَين وذلك ان الشمس اذا مرّت مسامتةً لبعض البحر والبرارى والقفار اثرت من البحار بخارا لطيف رطب ومن البرارى دخان يابس واصعدتهما بحرارتها فى الهواء فيدافع الهواء بعضُه بعض الى الجهات ليتّسع المكانُ للبخارين الصاعدين فاذا كان الدخان اليابس اكثرَ كانت منه الرياحُ لانّ تلك الاجزاء اذا صعدت الى اعلى كرة النسيم بردت ومنعها برد الزمهرير عن الصعود الى فوق فعطفت عند ذلك راجعةً الى اسفل وتدافع الهواء الى الجهات الاربع فكانت منه الرياح المختلفة٬

اعلم ان الرياح كثيرة التصاريف فى الجهات الستّ ولكن جملتها اربعة عشر نوعا المعروف منها عند جمهور الناس اربعةٌ وهى الصبا والدبور والشمال والجنوب وذلك ان الهواء اذا تموّج من المشرق الى المغرب يسمّى ذلك التموّجُ ريح الصبا واذا تموّج من المغرب الى المشرق يسمّى الدبور واذا تموّج من الجنوب الى الشمال يسمّى الجنوب واذا تموّج من الشمال الى الجنوب يسمّى الشمال واما ما كان يدافعه الى ما بين هذه الجهات يسمّى الريح النكباء وهذه ثمانيةُ انواع واما التى

تهبُّ من اسفل الى فوق فمنها يكون الزوابع وهي ريحان تلتقيان وتصعدان كما يلتقى الماء في الدّولاب عند نزوله في البلاليع والثقب واما التى تهبّ من فوق الى اسفل فمنها كانت ريح الصرصر التى اهلكت عادا وذلك انها نفخت عليهم غربيّ ديارهم من خلل الغيم من دوة الزمهرير التى فوق دوة النسيم ثمانية ايّامٍ ولَياليها كما ذكر الله وإذ قد ذكرنا ماهيّة الريح وكميّة انواعها وجهات هبوبها فانّا نريد ان نذكر علّة تصاريفها في الجهات والغرض منها وذلك ان احد الاغراض من تصاريفها هو ان تسوق الغيم من سواحل البحر الى البلدان البعيدة والبرارىّ المقصودة بها وايضا فان احد الاغراض في الجبال الشامخة الطوال الممدودة على بسيط الارض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا هو ان تمنع الريح من ان تسوق الغيوم والسحاب الى غير البلدان والبرارىّ المقصودة بها وذلك ان تلك الجبال الراسية تقوم لمنع الريح ان تنصرف الى كل الجهات الا الى الجهة المقصودة بها قيامَ المسنّاوات والبزندات للانهر والسواقي الممنعة لها ان تفيض المياه الا الى المزارع والمواضع المقصودة بها وذلك ان كثيرا من البلدان والبرارىّ بعيدة من سواحل البحار ولو لم تكن هذه الجبال الطوال الشامخة الممنعة للريح السائقة للغيوم لما وصلت السحاب والامطار الى تلك البلدان والبرارىّ ثم ان الانهار والسواقي اذا لم تكن لها مسنّاوات وبزندات فاضت الى الآجام والغدران والبطائح حيث يقلُّ الانتفاع بها فلا تبلغ الى البلدان البعيدة الا بانهارٍ تُحفر وبزنداتٍ تُعمل

ولهذه الجبال الشامخة غرضٌ آخرُ وهو ان في اجوافها مغاراتٍ واهوية واسعة فاذا حصل في الشتاء في رؤسها الامطار والثلوج وذابت غاصت المياه في تلك المغارات والاهوات وصارت فيها كالمخزونة وفي اسفل تلك الجبال منافذ

ضيّقة تخرج منها تلك المياه المخزونة فى تلك المغارات والهوّات وهى العيون .
تجرى منها جداول وتجتمع بعضها الى بعض ويسيل منها اودية وانهار وتجرى
بين المدن والقرى والسَواداتِ فتستقى وهى راجعة الى البحار والآجام والغدران
فى ممرّها الى الزروع والاشجار ومواضع العشب والكلاء وما يفضل منها ينصبّ
الى البحار واما ماء البحار والآجام والغدران فتلطفها الشمس وتصعدها بخارا
من الرأس ويكون منها الغيوم والسحاب وتسوقها الرياح الى المواضع المقصودة
بها كما كان عمّا اوّلا وذلك دأبها ابدا وهو تقدير العزيز العليم ،

فانظر بعين نور العقل الى هذا الصنع الحكيم المدبّر لهذه الامور كما نظرت
بعين الجسد الى هذه المصنوعات التى نحن فى ذكرها ،

فى الغيوم والامطار

والندى والجليد والضباب والطلّ والسحاب والرعود والبروق والبَرَد ،

اعلم اذا ارتفعت البخارات فى الهواء وتدافع الهواء الى الجهات وتكون
تُدافعه الى جهة الشرّ ويكون من قدام له جبال شامخة مانعة ومن فوق له
برد الزمهرير قامع ومن اسفل مادّة البخارين متصاعدة متلاصقة فلا يزال البخاران
يكثران ويغلظان فى الهواء فيتداخل اجزاء البخارين بعضها فى بعض حتّى
يثخن ويكون منها سحاب مؤلّف متراكم وان السحاب كلّما ارتفع بردت
اجزاء البخارين وانضمّت اجزاء البخار الرطب بعضها الى بعض وصار ما كان
يابسا نديّا ثم تلتئم تلك الاجزاء المائية بعضها الى بعض وتصير قطرا وبردت
وثقلت واخذت تهوى راجعة من العلوّ الى اسفل فيسمّى حينئذ مطرا ، فان
كان صعود ذلك البخار الرطب بالليل والهواء شديد البرد منع ان تصعد تلك
البخارات فى الهواء بل اجمدها اوّلا فاوّلا قريبا من وجه الارض فيصير من

ذلك ندىً وصقيع وطلّ' وان ارتفعت تلك البخارات فى الهواء قليلا وعرض
لها البرد صار سحابا رقيقا فان كان البرد مفرطا اجمد القطر الصغار فى خلل
الغيم فكان من اجل ذلك جليد او ثلوج وذلك ان البرد يجمد الاجزاء
المائيّة وتختلط بالاجزاء الهوائيّة فتنزل بالرفق فمن اجل ذلك لا يكون لها على
وجه الارض وقعٌ شديد كما يكون للبرد والمطر' فان كان الهواء دفئا ارتفع
البخار فى العلوّ وتراكم منه السحاب طبقاتٍ بعضها فوق بعض كما ترى فى
ايّام الربيع والخريف كأنها جبال من قطن منذوف متراكمةً بعضُها فوق بعضٍ
فاذا عرض لها برد الزمهرير من فوق غلظ البخار وصار ماء وانضمّت الاجزاء
بعضها الى بعض وصارت قطرا وعرض لها الثقل واخذت تهوى من اعلى سمك
السحاب وتمرّ بين تراكمها ويلتئم ذلك القطر الصغار بعضها الى بعضٍ حتى
اذا خرجت من اسفلها صارت مطرا كبيرا فان عرض لها برد مفرط فى طريقها
جمدت وصارت برَدا قبل ان تبلغ الى الارض فما كان منها من اعلى السحاب
فهو الذى يصير بَرَدا وما كان منها من اسفل السحاب كان مطرا تختلط مع
البَرَد' ومن احبّ ان يعلم صدق قولنا ويتصوّر كيفيّة وصفنا من صعود
البخارين وكيفيّة تأليف السحاب منها ونزول القطر فلْينظر الى تصعيد المياه
وتقطيرها وكيف يَعمل بها الحبُبها مثل تصعيد ماء الورد والخلّ وما شاكلها
ومثل البخارات الصاعدة فى بيوت الحمّامات وكيفيّة تقطير الماء من سقوفها'
وذلك ان سطح كرة الزمهرير التى تلى كرة النسيم والجبال الشامخة حوالَ البحار
تقوم لمنع البخارين الصاعدين الّذيْن يكون منهما السحاب والامطار ان
يتبدّدا ويتفشّيا مقامَ حيطان الحمّامات وسقوفها فى منع البخارات الصاعدة
فيها ان تتبدّدا وتتفشّيا وايضا فانها تقوم مقام القَرْع والأنْبيق فى تصعيدات

الرطوبات وتقطيرها ومثال هذين يدبّر اصحاب الصنعة عقاقيرهم في تصعيد رطوباتها وتقطير مياهها،

واما البروق والرعود فانهما يحدثان في وقتٍ دون وقت ولكن البرق يسبق الى البصر قبل الصوت الى المسمع لان احدهما روحانيُّ الصورة وهي الضوء والآخر جسمانيُّ الصورة وهي الصوت كما بيّنّا في رسالة الحسّ والمحسوس واما علّة حدوثهما فهي ان البخاران الصاعدان اذا اختلطا في الهواء والتفّ البخار الرطب على البخار اليابس الذي هو الدخان واحتوى عليه برد الزمهرير وضغطهما فانحصر البخار اليابس في جوف البخار الرطب والتزمه وطلب الخروج دفعةً واحدةً وانخرق البخار الرطب وتفرقع من حرارة الدخان اليابس كما يتفرقع الاشياء الرطبة اذا احتوت عليها النار دفعة واحدة وحدث من ذلك قرعٌ في الهواء واندفع الى جميع الجهات كما بيّنّا في رسالة الحسّ والمحسوس بكيفيّة الصوت وانقدح من خروج ذلك البخار اليابس الدخانيّ ضوءٌ يسمّى البرقَ كما يحدث من دخان السراج المطفَأ اذا أُدني منه سراج مشتعل ثم ينطفئ وربما يذوب ذلك البخار ويصير ريحا تدور في جوف السحاب ويطلب الخروج فيسمع له دويٌّ وتفرقعٌ كما يسمع في الجوف المنتفخ ريح وربما ينشقّ السحاب دفعةً بشدّة فيكون من ذلك صوتٌ هائلٌ يسمّى الصاعقةَ كما يحدث من الزقّ المنفوخ اذا وقع عليه حجرٌ ثقيلٌ فشقّه،

واعلم ان لولا العناية الالاهيّة بان جعل سمك كرة النسيم [illegible] السحاب مرتفعا بعيدا من الارض بمقدار الحاجة اليه وجعل من شأن السحاب اذا انخرق ان يطلب ذلك البخار الصعودَ الى فوق وجعل من شأن ضوء الهواء اذا حدث ان يكون حركته الى فوق لكانت اصوات الرعد قد اصمّت سمع

الحيوانات الضعيفة وتقتلها كما يكون ذلك في بعض الاحايين وذلك ان السحاب اذا تراكمت وتلابست حتى يضغط بعضها بعضا الى اسفل وقربت من الارض وتحدث الرعد وتخرق السحاب من اسفل وتقرع الهواء وتندفع الى وجه الارض فيكون من ذلك صوت هائل وهي الصاعقة فانه يقتل كثيرا من الحيوانات القريبة من هناك والناس ايضا كما فعل بقوم شعيب وصالح،

وهكذا حكم البروق ايضا وذلك ان من شأن النار ان تتحرك الى فوق فاذا منعها السحاب المتراكم رجعت منحطة الى الارض واحرقت ما اتت عليه من الحيوان والنبات ولكن قل ما تحرق الاجسام الرخوة لانها نار لطيفة تنفذ في مسامها واما الاجسام الصلبة فلتكاثف اجزائها وتمانعها تغلب عليها وتذيبها وتحرقها،

واما الهالة التي تكون حول الشمس والقمر فانها تدل على المطر ورطوبة الهواء وذلك انها تحدث في اعلى سطح كرة النسيم في وقت ما يرتفع البخار الى هناك واخذ يتألف منه الغيم وعلته ان النيرين اذا اشرق على ذلك السطح انعكس شعاعهما من هناك الى فوق وحدث من ذلك الانعكاس دائرة كما تحدث من اشراقهما على سطح الماء ويشف رسم تلك الدائرة من تحت ذلك الغيم الرقيق كما يشف من وراء البلور والزجاج ويكون مركز تلك الدائرة مسامتا للنقطة التي تمر عليها مسقط الخط الخارج من مركز النير الى مركز الارض وكل من يكون من الناظرين ممن يمر ذلك النير على سمت رأسه فانه يرى مركز تلك الدائرة فوق رأسه سواء ومن كان خارجا من تحته الى احدى الجهات فانه يرى مركزها في الجهة المقابلة لموضعه ويكون قطر هذه الدائرة ابدا مثل سمك كرة البخار مرتين قل ذلك السمك او كثر وتقديرها

اكثر ما يكون اثنين وثلاثين الف ذراع لان كرة النسيم اكثر ما يكون ستة عشر الف ذراع كما بيّنّا قبل.

واما قوس قزح فانه يحدث في سمك كرة النسيم عند ترطيب الهواء مشبعا ولا يكون وضعه الا منتصبا قائما وحدبته الى فوق مما يلي سطح كرة الزمهرير وطرفه الى اسفل مما يلي وجه الارض ولا يكاد ان يحدث الا في طرفي النهار في الجهة المقابلة لموضع الشمس شرقا كان او غربا ولا يُرى منه الا اقلّ من نصف محيط الدائرة الا ان تكون الشمس في الأُفق سواء فانه عند ذلك يُرى نصف محيط الدائرة سواء لان الخطّ الخارج من مركز جرم الشمس يمرّ مماسّا لوجه الارض ومركز هذه الدائرة فيرى القوس منتصبا قائما مستويا واذا كانت الشمس مرتفعةً فانه تُرى اقلّ من نصف محيط الدائرة وكلّما كان الارتفاعُ اكثرَ كان القوس اقلّ واصغر لان القوس يكون مائلا منحطّا الى الجهة المقابلة لموضع الشمس. ويبين وتر هذا القوس وبين قطر دائرة الهالة التي تقدّم ذكرها نسبةُ المساواة واما علّة حدوث هذا القوس فهي ايضا اشراق الشمس على اجزاء ذلك البخار الرطب الواقف في الهواء وانعكاس شعاعها منه الى ناحية الشمس.

واما اصباغُه التي ترى فهي اربعةٌ مطابقة للكيفيّات الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليُبوسة ولخاصّيّة الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ولفصول الازمنة الاربعة التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ومشابهة الاخلاط الاربعة التي هي الصفراء والسوداء والبلغم والدم ومشاكلة الوان زهر النبات والشجر لان هذه القوس اذا حدثت وكانت اصباغها مشبعة تدلّ على ترطيب الهواء وكثرة العشب والكلاء وزكاء ثمر الشجر وجودة الزرع فيكون ظهورها وروئيتها كانها بشارة تقدّمت الطبيعة للحيوان والناس منذرة بريف

الزمان وخصبته فاما ما تقول العامّة ان حُمرته تدلّ على اهراق الدم فى تلك السنة وصفرته تدلّ على الامراض فيها وزرقته تدلّ على الجدب وخضرته تدلّ على الخصب وعلى حسب كثرتها وقلّتها تكون دلالتها فان هذا يكون دليلا عند الزاجر على اصله وفرعه وقد بيّنّا كيفيّة ذلك فى رسالة الزجر والفراسة واما ترتيب الوانها فان الحمرة ابدا تكون فوق الصفرة والصفرة دونها والزرقة دونها والخضرة دونها وان وُجد قوس اخر دونه فترتيب هذه الالوان فى القوس السفلىّ عكس ذلك وشرح العلّة فى ذلك يطول لانه لا يفهمه الا المرتاضون بالاشكال الهندسيّة والامور الطبيعيّة والنسب التاليفيّة

قد بيّنّا فيما تقدّم ان السحاب ليس يرتفع من وجه الارض فى الجوّ اكثر من ستّة عشر الف ذراع وان اقربه ما كان مماسّ لوجه الارض ولكن ذلك فى النُدرة فى وقت من الاوقات وفى بلد دون بلد لانه لو كان السحاب فى كلّ وقت وفى كلّ بلد مرّا مماسّ لوجه الارض لاضرّ ذلك بالحيوان والنبات ومنع الناس من التصرّف كما يُرى ذلك يوم الضباب وفى البلدان القريبة من سواحل البحر مثل البصرة والانطاكيّة وطبرستان لقربها من البحر على اغفل ما يكون الانسان قد جاء الطلّ والمطر والضباب مقدار ما يضيق الصدر ويأخذ النفس ويبلّ الثياب والامتعة وايضا لو كان السحاب كلّه قريبا من وجه الارض لاضرّ الرعد والبرق بابصار الحيوان واسماعها ولو كان بعيدا شديدَ الارتفاع فى الهوا بحيث لم يكن يُرى لكانت تجىء الامطار والثلوج والبرد مفاجأةً والناس والحيوان عنها غافلون غير مستعدّين للتحرّز منه فكان يكون فى ذلك ضررٌ عظيمٌ عامٌّ افلا تنظر الى فعل الطبيعة وتتفكّر فى حكمة الالاهيّة كيف رفعت هذه الاشياء فى الهواء بمقدار الحاجة اليها فلا بعيدا مفرطا ولا قريبا جدّا اذ كان فى كلى الامرين ضررٌ على

الناس والحيوان والنبات' وعلّة كثرة الامطار في الشتاء وقلّتها في الصيف ان صعودَ البخارات والدخانات متّصلٌ ابدا بل هما في الشتاء اكثر منهما في الصيف'

اعلم ان لكلّ كائنٍ تحت فلك القمر اربع عللٍ لا يكون شيء من الكائنات الا بها اولاها تسمّى علّةً هيولانيّةً والاخرى علّةً صوريّة والثالثة علّةً فاعليّةً والرابعة علّة تماميّة فاما العلّة الهيولانيّة للسحاب والامطار وما يتبعهما هما البخاران الصاعدان كما وصفنا قبلُ والعلّة الفاعليّة لها هي الشمس والكواكب بمطارح شعاعاتها كما تقدّم ذكرها والعلّة الصوريّة عقد البخارين وجمودهما والعلّة الفاعليّة لذلك برد الجوّ والعلّة التماميّة تكون الامطارُ لكيما تبتلّ الارض وتنبت النبات ليغتذى منه الحيوان'

ولمّا كانت الشمس ستّة اشهر في البروج الشماليّة فتقرب من سمت رأس هذه البلاد فتسخن جوّ الهواء اسخانا شديدا فتستحيل البخارات وتتفشّى وتدفعها الريح الشماليّة الى ناحية الجنوب ولانّ الشمس تكون بعيدة من سمت تلك البلاد فبرد جوّ الهواء ويكون الشتاء هناك والامطار والغيوم وما يتبعها من حوادث الجوّ حينئذ فاذا صارت الشمس بعد ستّة اشهر الى البروج الجنوبيّة قريبةً من سمت تلك البلاد وتبعد من البلاد الشماليّة فصار الشتاء ههنا والصيف هناك وذلك دأبها ودأب الشتاء والصيف والغيوم والامطار وما يتبعها من الحوادث التي تقدّم ذكرها وكلّ هذه الحوادث يكون في سمك كرة النسيم دون كرة الزمهرير'

واما الحوادث التي تكون في سمك كرة الزمهرير فهي الشُهُب وانقضاض الكواكب التي ترى في الليالي وربّما كثر ذلك وربّما قلّ واما هيولاها ومادّتها فهو الدخان اللطيف اليابس الصاعد من الجبال والبرارى فاذا بلغت تلك المادّة في

صعودها الى الفصل المشترك بين كرة الزمهرير وكرة الاثير فاستدارت هناك وتشكّلت فاشتعلت فيها نار الاثير كما تشتعل النار في دخان السراج المطفأ وكما تشتعل نار البرق في البخار اليابس الذي في خلل السحاب وكما تشتعل نار الزاج في النفط الابيض ثم يتفشّى بسرعة فينطفئ ومما يدلّ على ان مادّته دخان يابس اثرهُ ما يُرى منه في سني الجدب واما كيفيّة شكل هذه الدخانات اذا صعدت الى هناك واشتعلت فيها النار فانها اذا اعتبرت بالفكر وجدت كرة كانها اعمدة مخروطة قائمة قاعدتُها مما يلي كرة النار ومخروطها ممّا يلي وجه الارض ودليل ذلك انه اذا اشتعلت النار فيها تُرى عظيمة الاشتعال ثم لا تزال تصغر وتنخرط وتقلّ حتى تنطفي فتتخيّل للناظرين انها نارٌ وهو ذا ينزل من السماء في حركتها واذا اعتبرت بهذا المثال تظنّ ان بين كرة الزمهرير وكرة الاثير سطحاً متداخل الاجزاء غير مشترك٬ وتارةً يُرى حركتها عند انقضاضها كانها كرة صغيرة وهو ذا يتدحرج على سطح كرة كبيرة وذلك انا نرى احيانا عند انقضاضها واشتعالها يبتدئ حركتها من المشرق فتمرّ على سمت رؤسنا الى المغرب وتارة من المغرب الى المشرق وتارة تبتدئ من الجنوب وتمرّ على سمت رؤسنا الى الشمال وتارة من الشمال الى الجنوب وتارة تذهب هذه الجهات فيتخيّل للناظرين اليها كانها كبّة من قطن اشتعل فيها النار ثم رميت في الهواء وكما انتهت النار تنتثر شذرها وصغرت حتى تنطفئ ومثلُها الكرة التي تلعب بها اصحاب الخيالات بالليل وذلك انهم يتّخذون كرة مجوّفة من سندروس وعقاقير اخر ويشعلون فيها النار ويأخذونها في افواههم فاذا رقصوا وتنفّسوا رأيت النار تخرج من افواههم ومناخرهم ولا يزال ذلك دابها حتى تفني تلك المادّة وتنطفئ تلك النارُ٬

وقد يظن كثير من الناس ان انقضاض هذه الشهب هي كواكب تسقط ويرمى بها من السماء في الهواء الى الارض ويستدلون على صحة ظنونهم بقول الله ولقد زيّنّا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وليس في هذه الآية دلالة على ان الكواكب هي التي يرمى بنفسها لانك اذا قلت اتخذت هذا القوس لارمى بها العدوّ والكفار فليس في قولك دلالة على انك ترمى بنفس القوس بل ترمى عنها بالنشاب فهكذا معنى قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين اذ يرمون عنها بالشهب لان هذه الشهب لا تحدث في الهواء الا بشراق هذه الكواكب وشعاعاتها في الهواء كما بيّنّا قبل وقد فسّرنا معنى هذه الآية واخواتها في رسائلنا٬

واعلم ان اهل صناعة النجوم متفقون على ان هذه الكواكب الثابتة في الفلك الثامن من وراء فلك زحل الذي هو الكرسيّ الواسع كما بيّنّا في رسالة السماء والعالم واما ذكر الله تعالى انها زينة السماء الدنيا لان اهل الارض لا يرونها الا دون فلك القمر الذي هو السماء الدنيا٬ ومما يدلّ على ان هذه الشهب تحدثُ قريبةً من الارض بعيدة من فلك القمر سرعة حركتها فانها في لحظة تمرّ من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق فلو كانت قريبة من فلك القمر لما رأيت حركتها بهذه السرعة٬

اعلم انها اذا حدثت مرّت مقبلة الى الناظرين وجاوزت على سمت رؤسهم الى الجانب الآخر بسيرها الى الافق على الرؤية فيتخيّل للناظرين انها قد وقعت الى الارض وليس الامر كذلك لانها مدّة خفيفة تطلب العلوّ ولا يزيد اشتعالها الا خفّةً واما الذي يقع منها الى الارض فهي التي تحدث في ليلة النسيم فيصادفها السحاب ويردّها الى اسفل كما البرد التي يصادفه السحاب

من فوق الى اسفل، واما علّة استدارة تلك المدّة فهي ان من شأن الاجسام السيّالة ان تتشكّل بشكل كُرِيّة كما يستدير القطر في الهواء لان الشكل الكرى افضل الاشكال كما بيّنّا في رسالة الهندسة واما علّة حركته الى جهة دون جهة فبحسب الدافع له من الجهة المقابلة وهبوب الريح لانه اسرع حركةً من الريح وقد بيّنّا علّة حركته في رسالة الحوادث،

انظر يا اخي وتفكّر في هذه الحكمة الالاهيّة كيف جعلت ورتّبت كرة الاثير دون فلك القمر وجعلته نارا بلا ضوء كيما تحرق بحرارته الدخانات الغليظة الصاعدة في الهواء فتلطف البخارات العفنة الكثيفة فيكون الجوّ ابدا صافيا شفّافا ولم تجعل تلك النار مضيئةً لانه لو كانت مضيئةً كنيران التي عندنا منعت ابصارَ الحيوان عن رؤية الافلاك والكواكب وخاصّة الانسان الخ،

وقد جعلت الحكمة الالاهيّة ايضا الزمهرير حاجزا بين كرة النسيم وكرة الاثير ليكون يمنع بردُه وهج الاثير عن الحيوان والنبات وتبرد البخار وتنعقد غيوما لتكون امطارا وتُحيي به البلاد،

وجعلت كرة النسيم معتدلة المزاج وما كان سببه مطارح شعاعات الكواكب وانعكاسه كما بيّنّا قبل والثرّ واو كما في الشمس فجعلت تارة تغيب فيبرد الجوّ وتارة تطلع فيسخن الهواء ولو دام طلوعه لدام الاستخان وافرط الحرّ وكان ذلك فسادا كلّيّا وهكذا لو دام مغيبه لبرد الجوّ وجمدت المياه والرطوبات وهلك النبات والحيوان ولذلك جعل له ان تميل تارة الى ناحية الشمال فيكون الصيف هناك والشتاء في الجنوب وتارة تميل الى ناحية الجنوب فيكون الصيف هناك والشتاء في الشمال الخ وعلى هذا القياس لو دام الشتاء والصيف في جانب دون جانب لكان بوار الايّام وفسد النظام،

واما الكواكب ذوات الاذناب التى تظهر فى بعض الاحايين قبل طلوع الشمس او بعد غروبها فانها لا تحدث الا فى كرة الاثير دون فلك القمر قريبا منه ومن الدليل على ذلك دورانها مع فلك القمر تارة بالتقدّم على توالى البروج كمسير الكواكب السيّارة وتارة بالتاخّر عنها كرجوعاتها٬

واما مادتها التى تتكوّن منها فهى دخان وبخار صافٍ لطيف يصعد الى هناك فينعقد بقوّة زحل وعطارد ويكون شفّافا كشفيف البلّور اذا اشرقت عليها الشمس ويشفّ من الجانب الآخر٬ فلا يزال يدور مع الفلك ويطلع ويغيب الى ان يضمحلّ ويتلاشى٬

فى السماء والعالم*)

لمّا فرغنا من ذكر الجسم المطلق وما يخصّه من الصفات المقوّمة لذاته من الهيولى والصورة وما يتبعها من سائر الصفات اللازمة مثل الحركة والسكون وما يشاكلها فى الرسالة الملقّبة بسمع الكيان اردنا ان نذكر فى هذه الرسالة الملقّبة بالسماء والعالم الاجسام الكلّيّات البسيطات التى هى الكواكب والافلاك والاركان الاربعة اذ كان الجسم المطلق اوّلَ ما انقسم اليها ثمّ انقسم من بعدها الى الاجسام الجزويّات التى هى المولّدات اى الحيوان والنبات والمعادن٬

فى معنى قول الحكماء ان العالم انسان كبير٬

اعلم انّهم يعنون بهذا القول السموات والارض وما بينهما من الخلق اجمعين وسمّوه ايضا انسانا كبيرا لانّهم يرون انه جسم واحد بجميع افلاكه وطبقات

*) وهى نبذ من الرسالة الخمسة عشرة من رسائل اخوان الصفاء٬

سمواته والاركان امّهاته ومولّداته ويرون ايضا ان له نفسا واحدة سارية قواها في جميع اجزاء جسمه كسريان قوّة نفس انسان واحدة في جميع اجزاء جسده ونريد ان نذكر في هذه الرسالة صورة العالم ونصف طبعه وترتيب جسده كما وصف في كتب التشريح ترتيب جسد الانسان الخ٬

ونقول ان الجسم هو احد الموجودات المدرَكات بطريق الحواسّ بتوسّط اعراضه والموجودات كلّها جواهر واعراض وصور وهيولى او مركّب منها٬ والصور نوعان مقوّمة ومتمّمة فالصور المقوّمة لذات الجسم هو الطول والعرض والعُمق اذا وجدت في الهيولى التي هي جوهر بسيط قابل للصورة والصور المتمّمة للجسم المبلّغة له الى افضل حالاته كثيرة ولكن نذكر طرفا منها ليفهم معناها٬ فمن الصور المتمّمة للجسم الشكل والاشكال كثيرة كالتدوير والتثليث والتربيع وما شاكلها ومن الصور المتمّمة ايضا الحركة والحركات ستّة انواع احدها النقلة وهي نوعان دوريّة ومستقيمة ومن الصور المتمّمة له ايضا النور وهو نوعان ذاتيّ وعرضيّ ومن الصور المتمّمة للجسم ايضا الصفاء وافضل الاشكال الشكل الكريّ وادوم الحركات الدورية وابهى الانوار الذاتيّ واصفى النعوت الشفّاف فجسم العالم باسره كريّ الشكل وحركات افلاكه كلّها دوريّة ونور كواكب سمواته كلّها ذاتيّ الا القمر واجْرام الأُكر كلّها شفّافة الا الارض٬

في السموات وهي الافلاك٬

اعلم ان السموات هي الافلاك وانما سمّيت سماء لسموّها والفلك فلكا للاستدارة والافلاك تسعة سبعة منها هي السموات السبع فاوّلها واقربها الينا فلك القمر وهو السماء الدنيا ثم من ورائها فلك عطارد وهو السماء الثانية ثم من ورائها فلك الزهرة وهو السماء الثالثة ثم من ورائها فلك الشمس وهو السماء الرابعة ثم من

ورائها فلك المرّيخ وهو السماء الخامسة ثم من ورائها فلك المشترى وهو السماء السادسة ثم من ورائها فلك زحل وهو السماء السابعة' وزحل هو النجم الثاقب وانما سمّى الثاقبَ لان ذوره يثقب سمك سبع سموات حتى يبلغ الى ابصارنا وهكذا يُروى ترجمان القرآن فى الخبر عن عبد الله بن عبّاس واما الفلك الثامن فهو فلك الكواكب الثابتة الواسع المحيط بهذه الافلاك السبعة وهو الكرسىّ الكريم الذى وسع سبعَ سموات والارض' والفلك التسع هو الفلك المحيط بالافلاك الثمانية وهو العرش العظيم الذى يحمل قال الله تع يحمل عرش ربّك فوقهم يومئذ ثمانية'

اعلم ان كلّ فلك من هذه السبعة المذكورة سماء لما تحته وارض لما فوقه'

اعلم ان الارض التى نحن عليها هى كرة واحدة بجميع ما عليها من الجبال والوهد والبرارىّ والبحر والانهار والخراب والعمران وهى واقفة فى مركز العالم وفى وسط الهواء والهواء محيط بها من جميع جهاته كاحاطة بياض البيض بمُحّه وفلك القمر محيط بالهواء من جميع جهاته كاحاطة القشر ببياض البيض وفلك عطارد محيط بفلك القمر على مثال ذلك وعلى هذا القياس سائر الافلاك الى ان ينتهى الى الفلك المحيط بالكلّ كما قال الله تع كلٌّ فى فَلَكٍ يَسْبَحون' وهذا مثال ترتيب الافلاك وصورة سمك السموات السبع فقد بان بهذا المثال ان جملة العالم احدى عشرة كرة اثنتان منها فى جوف الفلك الاوّل الذى هو فلك القمر وهما الارض والهواء لان الارض والماء كرة واحدة والهواء والاثير كرة واحدة وتسع من ورائه محيطاتٌ بعضها ببعض'

فى انه ليس فى العالم فراغ'

اعلم ان هذه الأكر محيطاتٌ بعضها ببعض كاحاطة طبقات حلقة البصل فيماس

سطح الحاوى سطح المحوىّ وليس بينهما فراغ ولا خلاء الا فصل مشترك وهى وقد ظنّ كثير من اهل العلم ان بين فضاء الافلاك وبين اطباق السموات واجزاء الامّهات مواضع فرغة وليس الامر كما ظنّوا لان معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذى لا ممكن فيه والمكان صفة من صفات الاجسام لا يقوم الا بالجسم ولا يوجد الا معه٬ واعلم ان النور والظلمة هما ايضا صفتان من صفات الاجسام ولا يمكن ان تعقل فى العالم موضع لا مظلم ولا مضيئًا البتّة فان وجود الخلاء مُحال٬ واعلم انه من قال بوجود الخلاء انما ظنّ انه موجود لما رأى بعض الاجسام يتحرّك وينتقل من موضع الى موضع فتوهّم انه لولا الخلاء موجود لما امكن ان يتحرّك الجسم من موضعه لان الملاء كان يمنعه من الحركة والنقلة ولعمرى لو كانت الاجسام كلّها صلبة متماسكة الاجزاء كالحديد والحجر لكان الامر كما ظنّوا ولكن لمّا كان بعض الاجسام رخوا لطيف سيّالا كالماء والهواء لم يمنع ان يتحرّك بعض الاجسام الى اجزائه كما يتحرّك السمك فى الماء والطير فى الهواء وسائر الحيوانات على وجه الارض٬

فى انه ليس خارجَ العالم لا خلاء ولا ملاء٬

اعلم بان هذه الاحدى عشرة كرة هى جملة العالم ومسكن الخلائق اجمعين وقد ظنّ كثيرٌ من اصحاب الاوهام ان من وراء الفلك المحيط جسما اخر او خلاء بلا نهاية وكلا القولين خطأٌ لا حقيقة لهما لانه قد قام البرهان العقلىّ ان الخلاء غير موجود اصلا لا خارج العالم ولا داخلَه لان معنى الخلاء هو المكان الفارغ الذى لا ممكن فيه كما وصفنا قبلُ والمكان هو صفةٌ من صفات الاجسام وهو عرض لا يقوم الّا بالجسم ولا يوجد الا معه ومن يدّعى ان خارج العالم جسم اخر من اجل الوهم الذى يتوهّمه فهو المطالَب بالدليل على دعواه٬

اعلم ان الوهم قوّة من قوى النفس وهو يتخيّل ما له حقيقة وما لا حقيقة له فلا ينبغي ان يُحكم على الوهم ومتخيّلاته انها حقّ او باطل الا بعد ان يشهد لها قوّة من قُوَى الحاسّة ويقوم عليه برهان ضروريّ ويُقضى به الحقّ٬ واعلم بان حكم العقل هو الذي يتساوى فيه العقلاء كلّهم والعقلاء لم يتّفقوا كلّهم على ان خارج العالم جسم اخر اذ الحسّ لم يدركه والعقل لم يشهد به والبرهان لم يقم عليه فبقى قضيّة بحكم على ان هناك جسما اخر غير تخيّلٍ كاذب٬ وان كان هناك جسم اخر كما ادّعى المدّعى فليمكن ان يكون من ورائه شيء اخر لان الجسم ذو نهايةٍ فالخلاء ليس بموجود ببراهين قد قمت كما ذكرناه٬ واما الدليل على ان كلّ جسم ذو نهاية فقد اتّفقت عليه الآراء النبويّة والفلسفيّة جميعا وذلك ان من الرأى النبويّ ان كلّ جسمٍ مخلوقٌ وكلّ مخلوقٍ ذو نهاية فى قضيّة اوّليّة العقل ومن الرأى الفلسفيّ ان كلّ جسم مركّب من هيولى وصورة وكلّ مركّب ذو نهاية فى قضيّة العقل٬

فى ان موضع الشمس فى وسط الفُلك كموضع الملك فى الارض٬

اعلم ان الشمس لما كانت فى الفلك كالملك فى الارض والكواكب كلّها كالجنود والاعوان والرعيّة للملك والافلاك كالاقاليم والبروج كالبلدان والدرجات كالمدن والدقائق كالقرى والثوانى كالمنازل صار مركزها بواجب الحكمة الالهيّة فى وسط العالم كما ان دار الملك فى وسط المدينة ومدينته فى وسط البلدان من مملكته وذلك ان مركز الشمس فى وسط فلكها وفلكها فى وسط الافلاك لانه لمّا كانت جملة العالم احدى عشرة كرة كما بيّنّا قبل وكانت خمس منها من وراء فلكها محيطات بعضها ببعض وهى كرة المريخ والمشترى وزحل والكواكب والمحيط وخمس دونها فى جوف كرتها محيطات بعضها ببعض وهى

كرة الزهرة وعطارد والقمر والهواء والارض فصار موضعها بهذا الاعتبار في وسط العالم كما ان مركز الارض مركز العالم٬

فى ماهيّة البروج٬

اعلم ان البروج هي اثنتا عشرة قسمة وهميّة في سطح فلك الشمس يفصلها اثنا عشر خطًّا وهميًّا يبتدئ كلّها من نقطة وينتهي الى نقطة اخرى في مقابلتها فينقسم سطح الكرة باثنتي عشرة قسمة كلّ واحدة منها كانها حزّة بطّيخ تُسمّى البرج والنقطتان تسمّيان قطبَي الكرة وان الشمس ترسم على سطح كرتها بحركتها في كلّ ثلثمائة وخمسة وستّين يوما دائرةً وهميّة كلّ سنتين بعد وهذه الدائرة تقسم الكرة بنصفين وكلّ برج بقسمين متساويين وحصّة كلّ برج من تلك الدائرة قطعةٌ من قوس مقدارها ثلثون جزوًا من ثلثمائة وستّين جزوًا وعلى هذه الدائرة ودرجاتها يقاس دوران سائر الافلاك والكواكب وبحركات الشمس يُعتبر حركات الكواكب في الزيجات وباحوال الشمس يعتبر احوال الكواكب في المواليد٬

في اقطار الافلاك وسموكها٬

اعلم ان لكلّ كرة من هذه الأُكَر قطرا وسمكا وسمك كلّ واحدة منها اقلّ من قطرها الا الارض فان قطرها مثل سمكها لانها كرة غير جوفة واما سائر الاكر لما كانت مجوّفات صارت سموكها اقلّ من اقطارها٬

في كمّية عدد الكواكب الثابتة والسيّارة٬

وهي الف وتسعة وعشرون كوكبا الذي أُدرك بالرصد سبعةٌ منها سيّارة وهي زحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر ولكلّ واحد منها فلك يخصّه محيطاتٌ بعضُها ببعض واما سائر الكواكب وهي الف واثنان وعشرون

كوكبا كلّها فى فلك واحد وهو الفلك الثامن المحيط بفلك زحل وسائر الافلاك التى فى جوفه وقد جمعت فى خمس واربعين صورة منها اثنا عشر برجا وباقيها فى صور اخر'

فى مقادير اقطار السيّارات فى رأى العين'

فى نسبة اقطار السيّارات من قطر الارض'

فى مقادير اجرام هذه الكواكب من جرم الارض'

فى مقادير الكواكب الثابتة وهى الف واثنان وعشرون'

فى اختلاف دوران الافلاك حول الارض'

اعلم ان الفلك المحيط الذى هو المتحرّك الاوّل عن المحرّك الاوّل الذى هو النفس الكلّيّة يدور حول الارض فى كلّ اربع وعشرين ساعةً سَواءً دورةً واحدة ولمّا كان الفلك المكوكب فى جوفه مماسّا له من داخله صار المحيط يديره معه نحوَ الجهة التى يدور اليها ولكن تتأخّر حركته عن سرعة حركة محرّكه بشىء يسير فيختلف عن موازاة اجزائه فى كل مائة سنة درجةً واحدة ولما كان ايضا فلك زحل فى جوف هذا الفلك المكوكب مماسّ له فى داخله صار يديره معه ايضا نحو الجهة التى يدور اليها ويتبعه فلك زحل ولكن تتأخّر ايضا حركته عن سرعة حركة محرّكه بشىء يسير فيختلف فى كلّ يوم عن موازاة اجزاء الفلك المحيط دقيقتين الخ فقد بان بهذا الشرح ان كلّا من هذه الاكر محرَّكة بما كان فوقها ومحرِّكة لما دونها الى ان تنتهى الى فلك القمر وان كلّ واحدة تقصر حركتها عن سرعة حركة محرّكها فان فلك القمر ابطأها حركةً من اجل بُعده عن المحرّك الاوّل الذى هو الفلك المحيط لكثرة المتوسّطات بينهما فبهذا السبب صار دوران هذه الأكر حول الارض مختلف الازمان'

فى تفاوت ازمان دورانها

وذلك ان الفلك المحيط يدور حول الارض فى كل اربع وعشرين ساعة سواء دورةً واحدةً والفلك المكوكب فى اكثر من هذه المدّة بشىءٍ يسيرٍ وفلك زحل فى اكثر من ذلك الخ

فيما يعرض للكواكب من الدوران فى فلك البروج

فبهذا السبب عرض للكواكب الدورانُ فى فلك البروج فى ازمان مختلفة وبيان ذلك انه اذا سامت القمر بقعةً من الارض مع اوّل درجة من البرج الذى هو الحمل فان تلك الدرجة تعود الى سمت تلك البقعة بعد اربع وعشرين ساعة سواء وهكذا دأبها دائما واما القمر فانه يعود الى سمت تلك البقعة مع الدرجة الثالثة عشر من برج الحمل بعد اربع وعشرين ساعة وزيادة ستّ اسباعِ ساعة بالتقريب وفى اليوم الثالث يعود مع الدرجة السادسة والعشرين من برج الحمل بعد ساعة وخمس اسباع ساعة ولمّا بان لاصحاب الرصد دوران الفلك المحيط من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض وراء دوران باقى الافلاك التابعة له بكواكبها ووجدوها مقتصرةً عن سرعة حركته متخرّة عنه كل يوم بقدرٍ ما كان دورته دون الاخرى ... بيّنه اصحابها حسابا ودوّنوه فى الزيجات ليعرفوا كلّ وقت ارادوا مواضعها وموازاتها من فلك البروج حسبُ ولما تبيّن اصحاب الرصد ايضا ما يعرض للكواكب من الدوران فى تلك البروج بسبب ابطاء حركة اكثرها عن سرعة الفلك المحيط سمّوا ما يعرض لها فى فلك البروج من الدوران حركةً من المغرب الى المشرق ليكون فرق بالنسبة بين دورانها حول الارض ودورانها فى فلك البروج

اعلم بانه ظنّ كثير من الناظرين فى علم التنجيم ممّن ليس له رياضة بالنظر

فى علم الهندسة والطبيعيّات ان هذه الكواكب السيّارة تتحرّك من المغرب الى المشرق مخالفة لدوران الفلك المحيط وليس الامر كما ظنّوا وتوهّموا لانه لو كان كما ظنّوا لكان سبيلُها ان تطلع من المغرب وتغيب فى المشرق كما ان فلك المحيط تطلع درجاتُه من المشرق وتغيب فى المغرب وقد شبّهوا دورانها فى فلك البروج مخالفةً لدوران الفلك بحركات نملات تتحرّك على وجه الرحاء مستقبلةً لحركتها مخالفة لها فى حركتها لان الرحى بسرعة حركاتها تردّ تلك النملات الى ورائها فلو كان ما قالوه حقيقةً لكانت حركاتها سبعةً فحسبُ لانها سبعة كواكب والامر بخلاف ذلك لان اصحاب الرصد ذكروا انها خمس واربعون حركةً وقالوا ايضا ان القمر اسرع الكواكب حركةً فلو كان كما ظنّوا لكان سبيل القمر ان يدور حول الارض فى اقلّ من اربع وعشرين ساعة وقد بيّنّا انه يدور فى اكثر من ذلك ولو كانت حركاتها معاندةً بالقصد لحركة الفلك المحيط لكان يجب ان تكون طبائعُها مخالفة لطبيعة الفلك والكواكب كلّها وكان يجب ان تكون خمس واربعين طبيعة لانها خمس واربعون حركة وليس الامر كما ظنّوا بل طبيعة الافلاك والكواكب كلّها طبيعة واحدة فى الحركة الدوريّة وقصدُها قصدٌ واحد وانما اختلفت حركاتُها فى السرعة والابطاء من اجل انها فى افلاكها محرّكات ومتحرّكات ومن اجل اختلافها فى حركاتها من السرعة والابطاء اختلف زمان ادوارها حول الارض ومن اجل اختلاف ادوارها حول الارض اختلف ادوارها فى فلك البروج كما بيّنّا٬

فيما يُرى للكواكب من الرجوع والاستقامة والوقوف٬

اعلم بان من هذه الكواكب السيّارة خمسة وهى زحل والمشترى والمرّيخ والزهرة وعطارد توصف تارة بالرجوع وتارة بالاستقامة وتارة بالوقوف وليس بالحقيقة هكذا

وانما هو عارض في رأي العين وذلك ان كل كوكب منها مركّب جرمه على كرة صغيرة تسمى افلاك التداوير وهي مركبة على فلك من الافلاك الكبار التي تقدم ذكرها وغائصة في غلظ سموكها ويكون جانب منها مما يلي سطوحها العلى وجانب منها مما يلي سطوحها السفلى وكل واحد ايضا دائم الدوران في مواضعها من افلاكها الخاصّة لها فيعرض لكل كوكب اذا كان مركّب عليها تارة الصعود الى اعلى سطح فلكه فيبعد من الارض وتارة النزول من هناك فيقرب من الارض فاذا كان في اعلى فلكها ترى له حركة على توالي البروج من اوّله الى آخره واذا كان في اسفل فلكه ترى له حركة على توالي البروج من اخره الى اوّله واذا كان صاعدا او نزلا يُرى كانه واقف وليس بواقف ولا راجع ولكن دائم الدوران وانما جعل اصحاب الرصد هذه الاسماء القابا لها٬

٬في تفصيل الحركات الخمس والاربعين٬

اعلم انه يعرض لكل كوكب من هذه السبعة ستُّ حركات الى ستّ جهات مختلفة احداها من المشرق الى المغرب والاخرى من المغرب الى المشرق واحدى من الجنوب الى الشمال واخرى من الشمال الى الجنوب واحدى من فوق الى اسفل واخرى من اسفل الى فوق فيكون جملتها اثنتين واربعين حركةً ويعرض للكواكب الثابتة حركتان وللفلك المحيط حركة واحدة فذلك خمس واربعون حركةً فاما حركاتها من المشرق الى المغرب فهي بالقصد الاوّل الحقيقيّ فاما سائرها فبالعرض لا بالقصد الاوّل٬ واما الذي يعرض من المغرب الى المشرق فقد بيّنّا معناه فيما تقدّم واما الذي يعرض من فوق الى اسفل وبالعكس فهو من جهة افلاك التداوير ومن جهة الافلاك الخارجة المركز واما الذي يعرض من الجنوب الى الشمال ومن الشمال الى الجنوب ومن جهة مَيْل فلك البروج عن

فلك معدّل النهار ومن جهة فلك جوزهر فشرح ذلك يطول فمن اراد هذا العلم مستقصى فلينظر فى كتاب المجسطى وفى بعض المختصرات التى فى ترتيب الافلاك٬

فى بيان الظلمتَيْن الموجودتين فى العالم٬

اعلم ان العالم بسره مضىء بنور الشمس والكواكب وليس فيه الا ظلمتان ظلمة الارض وظلمة القمر وانما صار لهذين الجسمين الظلّ من اجل انهما غيرُ نيّرَيْن ولا مشفَّيْن واما النور الذى يرى على وجه القمر فان ذلك من اشراق الشمس على سطح جرمه وانعكاس شعاعها كما يُرى مثل ذلك من وجه المرآة اذا قابلتْها الشمس٬ واما سائر الاجرام التى فى العالم فبعضُها نيّرٌ نورُها ذاتىٌّ وهى الشمس والكواكب والنار التى عندنا واما باقى الاجسام فكلُّها مشفٌّ وهى الافلاك والماء والهواء وبعض الاجسام الارضيّة كالزجاج والبلّور وما شاكلها فالاجسام النيّرة هى التى نورُها ذاتىٌّ لها والاجسام المشفّة هى التى ليس لها نورٌ ذاتىٌّ ولا لون طبيعىٌّ ولكن اذا قابلها جسم نيّر سرى نوره فى جميع اجزائه دفعة واحدة لان النور صورةٌ روحانيّة ومن خاصّيّة الصور الروحانيّة ان تسرى فى جميع الاجسام دفعة واحدة وتنسلّ منها دفعة واحدة بلا زمان واذا حال بين الاجسام النيّرة وبين الاجسام المشفّة جسم غير مشفّ منع نور النير ان يسرى فى الجسم المشفّ فالنورُ فى جرم الشمس والكواكب والنار ذاتىٌّ لها واما فى اجرام الافلاك والهواء والماء عرضىٌّ لها فاما جرم الارض والقمر لما كان غير نيّرَيْن ولا مشفّين صار لهما الظلّ لان النور لا يسرى فيهما كما يسرى فى الاجسام المشفّة غير ان سطح جرم القمر صقيل يردّ النور كما يردّ النورَ وجهُ المرآة وسطح جرم الارض غير صقيل لا يردّ النور فهذا هو الفرقُ بينهما٬

في علّة الكسوفين

اعلم انه لما كان جرم الارض وجرم القمر كل واحد منهما اصغر من جرم
الشمس صار شكل ظلّيهما مخروطا والشكل المخروط هو الذى اوّله غليظة
واخره دقيق حتى ينقطع من دقّته فظلّ الارض يبتدى من سطحها ويمتدّ
فى الهواء منخرطا حتى يبلغ الى فلك القمر ويمتدّ هناك فى سمكه حتى
يبلغ الى فلك عطارد ويمتدّ فى سمكه ايضا الى ان ينقطع هناك فطوله من
سطح الارض الى حيث ينقطع فى فلك عطارد مثلُ قطر الارض مئة وثلثون
مرّة فيكون فى سمك الهواء منه ستّة عشر جزءًا ونصف جزءٍ وفى سمك فلك
القمر مثلُ ذلك وسبعةٌ وتسعون جزءًا منه فى فلك عطارد الى حيث ينقطع
فيكون قطر هذا الظلّ حيث يمرّ القمر فى وقت مقابلته الشمسَ مثل قطر
جرم القمر مرّتَين وثلاثة اخماسٍ فاذا اتّفق ان يكون الشمس عند احدى
العقدتَيْن اللتَين تسمّيان الراس والذنب فيكون من مرور القمر فى سمك الظلّ
كلّه ممنوعًا عنه نورُ الشمس فيُرى منكسفا حتى يخرج من الجانب الاخر وينجلى
واما ظلّ جرم القمر فيبتدى من سطح جرمه ويمتدّ منخرطا فى سمك فلكه
بعضُه والباقى فى سمك الهواء ويقطعه حتى يصل الى وجه الارض فيكون قطرُ
استدارته على وجه الارض هناك مقدار مائة وخمسين فرسخا يزيد وينقص
حسب بُعد القمر من الارض وقربه منها هذا فى وقت اجتماعه مع الشمس فان
اتّفق اجتماعُهما عند احدى العقدتين مرّ القمر حذاء لابصارنا ولجرم الشمس
فيمنع عنّا نورها ونراها منكسفة واذا كان القمرُ فى غير هذين الموضعَيْن اعنى
الاجتماع والاستقبال يكون الى احد الموضعين اقربَ فان كان قربُه الى الاجتماع
اكثرَ كان رأس مخروط ظلّه فى سمك الهواء وان كان الى الاستقبال اقرب كان رأس

مخروط ظلّه فى سمك فلكه او فى سمك فلك عطارد واما رأس مخروط ظلّ الارض فانه درجة مقابلة لدرجة الشمس من اىّ برج كان ويدور ابدا فى مقابلة الشمس وان كانت فوق الارض فظلّ الارض تحتها وان كانت هى تحت الارض فظلّ الارض فوقها وان كانت بالمشرق فظلّ الارض نحو ناحية المغرب وان كانت بالمغرب صار الظلّ الى ناحية المشرق وهذا دأبهما دائما يدوران حول الارض وهما الليل والنهار٬

فى ان الفلك طبيعة خامسة٬

اعلم ان معنى قول الحكماء ان الفلك طبيعة خامسة فانما يعنون ان الاجرام الفلكيّة هى التى لا تقبل الكون والفساد والتغيير والاستحالة والزيادة والنقصان كما تقبل الاجسام التى تحت فلك القمر حسبُ وان حركاتها كلّها دوريّة٬ واعلم ان للاجسام صفات كثيرة فمنها ما يشترك الاجسام فيها كلّها ومنها ما يختصّ ببعضها دون بعض فمن الصفات التى تشترك الاجسام فيها كلّها هى الطول والعرض والعمق حسبُ٬ اعلم ان الصفات انما هى صورة تحصل فى الهيولى فتكون الهيولى بها موصوفة فمن هذه الصور التى تسمّى الصفات ما هى فى ذاتيّة الجسم مقوّمة لوجدانه هى الطول والعرض والعمق لانها متى بطلت عن الجسم بطل وجدان الجسم ومن الصور ما هى متمّمة للجسم مبلّغة له الى افضل حالاته وهذه الصور مختصّة ببعض الاجسام دون بعض وربما تشترك فيه عدّة اجسام فمن الصور المتمّمة ما يشترك فيه الاجسام الفلكيّة والطبيعيّة هى الشكل والحركة والنور والاشفاف واليبس التى تمسك الاجزاء وما يختصّ بالاجسام الطبيعيّة الحرارةُ والبرودة والرطوبة والثقل والخفّة والتغيير والاستحالة والحركة على الاستقامة وما شاكلها وما يختصّ بالاجسام الفلكيّة سلبُ هذه كلّها فمن اجل

هذا قيل انها طبيعة خامسة لانها ليست بحارّة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة ولا ثقيلة ولا خفيفة ولا يستحيل بعضُها الى بعض فيكونَ منها شيء اخر ولا يزيد في مقاديرها ولا ينقص منها شيء لان البارى ابدعها كلّها واخترعها كلّها تامّةً كاملةً فهى باقية على حالاتها الى وقت معلوم ولا ينبغى ان يُفنيها كما شاء وكيف شاء كما ابدعها واخترعها وصوّرها وركّبها وكوّرها فتبارك الله احسن الخالقين٬

في بطلان قول المتوهّمين غير الحقّ٬

اعلم ان كثيرا من اهل العلم ظنّوا ان معنى قول الحكماء ان الفلك طبيعة خامسة مخالف لهذه الاجسام الطبيعيّة في كلّ الصفات وليس الامر كما ظنّوا لان العيان يكذّبهم وذلك ان القمر هو احد الاجسام الفلكيّة وقد نرى فيه اختلافَ قبولِ النور والظلمة كما نرى في الاجسام الارضيّة وله ظلٌّ كظلالها وهو غير مشفّ مثل الارض وان الافلاك كلّها تشارك الماء والهواء والزجاج والبلّور في الاشفاف والشمس والكواكب تشارك النار في النور وكُلّها تشارك الارض في اليبس فقد بان بهذا انهم لم يريدوا بقولهم الفلك طبيعة خامسة الا في الحركة الدوريّة وانها لا تقبل الكون والفساد ولا الزيادة ولا النقصان كما تقبل الاجسام الطبيعيّة٬

في الاجسام الفلكيّة انها ليست بثقيلة ولا خفيفة٬

اعلم ان الاجسام الفلكيّة ليست بثقيلة ولا خفيفة لانها ملازمة لاماكنها الخاصّة بها وذلك ان البارى لما خلق الجسم المطلق وفصّل ابعاضه بالصور المتمّمة وركّبها حيثما بعضها ببعض خصّ كلّ واحد منها مكانا هو اليق الاماكن به فكلّ جسم في مكانه الخاصّ ليس بثقيل ولا خفيف لان الثقل

والخفّة يعرضان لبعض الاجسام من اجل خروجها عن اماكنها الخاصّة بها الى مكانٍ غريبٍ٬ واعلم ان الارض فى مكانها مركز العالم ليست بثقيلة ولا الماء فوقها بثقيل ولا الهواء فوق الماء خفيف ولا النار ايضا فوق الهواء خفيفة لانها فى اماكنها الخاصّة بها وانما يعرض الثقل والخفّة لاجزائها اذا صارت فى اماكن غريبة وذلك ان اجزاء الارض فى جوف الماء والهواء غريبة تريد اللحوق بمركزها وابناء جنسها وانما اذا منعها مانع وقع التنازع والتدافع وتسمّى بذلك ثقيلة وهكذا حكم اجزاء الماء فى جوف الهواء وحكم اجزاء الهواء فى جوف الماء واجزاء النار فى جوف الهواء كلّ واحد يريد اللحوق بعالمه ومركزه وابناء جنسه ولكنّ ما كان متوجّها منها نحو مركز العالم يسمّى ثقيلا وما كان متوجّها نحو المحيط يسمّى خفيفا والدليل على ان كلّ جسم فى موضعه ومكانه الخاصّ به لا ثقيل ولا خفيف هو كونُ اجزائها فى جوف مكانها لا ثقيلةً ولا خفيفةً٬

بيان ذلك بالتجربة والاعتبار٬

وطريق التجربة ان تملأ قربتان احداهما من الماء والاخرى من الريح التى هى الهواء ثم تُطرحان فى بركة مليئة ماء فانك ترى القربة التى بها الماء تغوص فى جوف الماء والتى فيها الريح تُطلّق فوق الماء فاذا امسكت القربة المملوءة من الماء فى الماء لا يوجد لها ثقل لان الماء فى الماء ليس له ثقل واذا صار فوق الماء أُحسّ بثقلها واما القربة المملوءة من الهواء فانها اذا غوّصت فى الماء وُجد لها مانع شديد لان الهواء فى جوف الماء ثقيلٌ واذا أُمسكت فى الماء لا يوجد لها ثقل ولا ذلك التمانع لان الهواء فى الهواء ليس بثقيل٬ واعلم انه اذا أُخذ من بركة قدرٌ ما من الماء ثم رُدّ اليها وقف ذلك الماء المردود حيث رُدّ كما ان التراب اذا أُخذ من الارض ثم رُدّ اليها وقف حيث

ردّ وكذلك اذا استنشق الحيوان من الهواء ما يروّح به الحرارة الغريزيّة ثم يردّه بالنفس وقف ذلك الهواء حيث ردّ ان لم يعرض له دافع٬

في ان الاجسام الفلكيّة ليست بحارّة ولا باردة ولا رطبة٬

اعلم بان ما قيل في الاجسام الفلكيّة انها ليست بحارّة ولا باردة ولا رطبة ولا يابسة من اجل ان الحرارة انما تعرض للاجسام السيّالة المتحلّلة عند الحركة لان اجزاءها تفارق مجاوراتها بعضها بعضا وتتبدّل بالغليان التي هي الحرارة ولما كانت للاجسام الفلكيّة تمسّك الاجزاء من شدّة اليبس لم تفارق مجاورة اجزائها بعضها بعضا فلا يعرض لها الغليان الذي هو الحرارة والكون فاما البرودة فانها تعرض للاجسام عند سكونها واما الاجسام الفلكيّة فانها دائمة الحركة والدوران فلا تسكن فتبرد واما الرطوبة فانها تعرض للاجسام اذا تحرّكت بعض اجزائها وسكن البعض وليس للاجسام الفلكيّة سكون٬ واعلم انه صارت الاجسام الفلكيّة شديدة التمسّك من شدّة اليبس وشدّة اليبس من شدّة الحركة والدوران لان الحركة تولّد الحرارة والحرارة تولّد اليبوسة واليبوسة اذا تناهت انطفأت الحرارة٬

واعلم ان الاجسام الفلكيّة محفوظة نظمها وبقية اشخاصها ما دام دورانها واذا وقفت عن دورانها وسكنت حرارتها تولّد من السكون البردُ ومن البرد الرطوبةُ وتولّد من الرطوبة التغشّي والتغشّي والتبدّد يفسدان النظام ومن فسد النظام يكون البوارُ والبطلان٬

في معنى القيامة٬

اعلم ان يدوم دوران الفلك ما دامت النفسُ الكليّة مربوطة معه فاذا فارقته قامت القيامة الكبرى لان معنى القيامة مشتقّة من القيام واذا فارقت النفس

الجسد قامت بذاتها فتلك هي القيامة كما قال النبيّ صلعم من مات فقد قامت قيامتُه وانما اراد قيام النفس لا الجسد لان الجسد لا يقوم عند الموت بل يقع وقوعا لا يقوم بعده الا ان تُرِدَّ النفس اليه' فالقيامة قيامتان قيامة صغرى وهي مفارقة النفس الجزويّة من الجسد الانسانيّ وقيامة كبرى وهي مفارقة النفس الكُلّيّة من العالم'

' ' '

في الاسطرونوميا وهذا علم النجوم☆)

اعلم بان علم النجوم ينقسم ثلثةَ انواعٍ نوعٌ منها في معرفة تركيب الافلاك وكميّة الكواكب واقسام البروج وابعادها وعظمها وحركاتها وما يتبعها من هذا الفنّ ويسمّى هذا القسم علم الهيئة' ونوع منها معرفة حلّ الزيجات وعمل التقويم واستخراج التواريخ وما شاكل ذلك' ونوع منها هو معرفة كيفيّة الاستدلال بدوران الفلك وطوالع البروج وحركات الكواكب على الكائنات قبل كونها تحت فلك القمر ويسمّى هذا النوع علم الاحكام'

أصل علم النجوم هو معرفة ثلثة اشياء وهي الكواكب والافلاك والبروج فالكواكب اجسام كريّة مستديرات مضيئات وهي الف وتسعة وعشرون كوكبا كبارا الذي أُدرك بالرصد سبعةٌ منها يقال لها السيّارة وهي زحل والمشتري والمرّيخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر والبقيّة يقال لها الثابتة'

ولكلّ من هذه السبعة السيّارة فلكٌ يخصّها والافلاك هي اجسامٌ كريّات مشفّات جوّفات وهي تسعة افلاك مرتّبةٌ بعضها في جوف بعض كحلق البصل واذناء

☆) نبذ من الرسالة الثالثة'

البيضة فلك القمر وهو محيط بالهواء من جميع الجهات كاحاطة قشر البيضة ببياضها والارض في جوف الهواء كالمحّة في بياضها٬

والفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب يدور من المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض في كل يوم وليلة دورةً واحدة ويدير سائر الافلاك والكواكب معه٬

والفلك المحيط مقسومٌ باثنى عشر قسما كجزر البطيخة كل قسم يسمّى برجا وهذه اسماؤها الحمل الثور الجوزاء السرطان الاسد السنبلة الميزان العقرب القوس الجدى الدلو الحوت٬ وكلّ برج منها ثلثون درجة جملتها ثلاثُ مئة وستون درجة وكلّ درجة ستون جزوًا يسمّى كلُّ جزء منها دقيقةً وكلّ دقيقة ستون جزوًا يسمّى كلُّ جزء ثانيةً وهكذا الثالثة الى الروابع والخوامس والسوادس وهذه البروج توصف باوصاف شتّى من جهات عدّة٬

والبروجُ منها ستّة شماليّة وستّة جنوبيّة وستّة مستقيمةُ الطلوع وستّةٌ معوجّة الطلوع وستة ذكور وستة اناث وستة نهاريّة وستة ليليّة وستة تحت الارض وستة فوق الارض وستة تطلع بالليل وستة تطلع بالنهار وستة صاعدة وستة هابطة وستة يمنة وستة يسرة وستة من حيّز الشمس وستة من حيّز القمر٬

ومن وجهٍ اخر تنقسم هذه البروج باربعة اقسام منها ثلثة ربيعيّة وثلثة صيفيّة وثلثة خريفيّة وثلثة شتويّة٬ وتنقسم هذه البروج من جهةٍ اخرى باربعة اقسام ثلثة منها مثلّثات ناريّات حارّات يابسات شرقيّات على طبيعة واحدة وثلثة منها مثلّثات ترابيّات باردات يابسات جنوبيّات على طبيعة واحدة وثلثة منها مثلّثات هوائيّات حارّات رطبات غربيّات على طبيعة واحدة وثلثة منها مائيّات باردات رطبات شماليّات على طبيعة واحدة٬

ومن جهة اخرى تنقسم هذه البروج ثلاثة اثلاث اربعةٌ منها منقلبةُ الزمان وهي الحمل والسرطان والميزان والجدى واربعةٌ منها ثابتةُ الزمان وهي الثور والاسد والعقرب والدلو واربعة منها ذوات جسدَين وهي الجوزاء والسنبلة والقوس والحوت؛ فقد بان بهذا الوصف في هذا الشكل انه لو كانت البروج اكثر من اثنى عشر او اقلّ من ذلك لم استمرّ فيه هذه الاقسام على هذه الوجوه التي ذكرنا فاذًا بواجب الحكمة كانت اثنى عشر لان البارى لا يفعل الشىء الّا الاحكم والاتقن ومن اجل هذا جعل الافلاك كلّها كريّة الشكل لانه افضل الاشكال وذلك انه اوسعها وابعدها من الآفات واسرعها حركةً ومركزه في وسطه واقطاره متساويةٌ يحيط به سطح واحد ولا يمسُّه غيره الا على نقطة واحدة ولا يوجد في شكلٍ غيره هذه الاوصافُ وجعل ايضا حركته مستديرةً لانها افضل الحركات؛

وهذه البروج الاثنى عشر تنقسم بين هذه الكواكب يعنى السبعة السيّارة من عدّة وجوهٍ ولها فيها اقسام وخطوط من وجوهٍ شتّى فمنها البيت والوبال ومنها الاوج والحضيض ومنها الشرف والهبوط ومنها ربوبيّة المثلّثات ومنها ربوبيّة الحدود ومنها ربوبيّة الوجوه ومنها ربوبيّة الجوزهر ومنها ربوبيّة اثنى عشريات ومنها ربوبيّة مواضع السهام وغير ذلك وان هذه الكواكب السيّارة كالارواح والبروج لها كالاجساد؛

ولكلّ واحد من هذه الكواكب بيتٌ من حيّز الشمس وبيت من حيّز القمر ووبال كلّ كوكب في مقابلة بيته وهذه الكواكب بعضها في بيوت بعض ولها مواضعُ مخصوصة فمنها الشرف والهبوط ومنها الاوج والحضيض ومنها الجوزهر؛

تفسير ذلك؛ الشرف هو اعزّ موضع الكواكب في الفلك والهبوط ضدّه والاوج هو اعلى موضع الكوكب في الفلك والحضيض ضدّه ومعنى الجوزهر هو تقاطُع

طريقة الكوكب طريق الشمس بممرّه في البروج في موضعيْن احدهما رأس الجوزهر والاخر ذنب الجوزهر، وذلك ان زحل اذا سار في البروج يكون سيره في ستّة ابراج عن يمنة طريق الشمس ثم يعبر الى الجانب الاخر ويسير ستّة ابراج عن يسرة طريق الشمس فيحدث تقاطعهما في موضعين احدهما يقال له الراس والاخر الذنب ولكلّ كوكب من الخمسة السيّارة جوزهرٌ مثل ما لزحل مذكورٌ في كتب الزيجات واما المذكور في التقويم فهو الذي للقمر ويقال لهما ايضا العُقدتان وانما اختصر ذكرهما في التقويم لانهما ينتقلان في البروج والدرج ولهما سير كسير الكواكب ولهما دلالة كدلالة الكواكب،

واذا اجتمع الشمس والقمر في وقت من الاوقات عند احدهما في برج واحد ودرجة واحدة انكسفت الشمس ولا يكون ذلك الا في اخر الشهر لان القمر يصير محاذيا لموضع الشمس في البرج والدرج فيمنع نور الشمس عن ابصارنا فنراها منكسفةً مثل ما يمنع قطعةُ غيم عن ابصارنا نورَ الشمس اذا مرّت محاذيةً لابصارنا ولعين الشمس واذا كانت الشمس عند احدهما وبلغ القمر الى الاخر انخسف القمر ولا يكون خسوف القمر الا في نصف الشهر لان القمر في نصف الشهر يكون في البرج المقابل للبرج الذي فيه الشمس وتكون الارض في الوسط فتمنع نور الشمس عن اشراقه على القمر فيرى القمر منخسفا لانه ليس له نور من نفسه وانما يكتسب النور من الشمس،

وفي مقابلة شرف كلّ كوكب هبوطه من البرج السابع ومثل درجة الشرف وفي مقابلة الاوج الحضيض وفي مقابلة رأس الجوزهر موضع الذنب من البرج السابع،

ذكر ربوبيّة المثلّثات والوجوه والحدود

ان هذه الكواكب السيّارة لبعضها في بيوت بعضها شركة تسمّى ربوبيّة المثلّثات ولها فيها اقسام تسمّى الوجوه ولها فيها خطوط تسمّى الحدود تفصيل ذلك ان كلّ ثلثة ابراجٍ على طبيعة واحدة تسمّى المثلّثات وتدبيرها ثلثة كواكب تسمّى ارباب المثلّثات يُستدلّ بها على ثلاث اعمار المواليد فارباب المثلّثات النّاريّات بالنهار الشمس ثمّ المشتري وبالليل المشتري ثمّ الشمس وشريكهما بالليل والنهار زحل واربب المثلّثات الترابيّات بالنهار الزهرة ثمّ القمر وبالليل القمر ثمّ الزهرة وشريكهما بالليل والنهار المرّيخ

وارباب المثلّثات الهوائيّات الخ

وارباب المثلّثات المائيّات الخ

ذكر ارباب الوجوه اعلم ان كلّ برج من هذه البروج ينقسم بثلثة اثلاث كلّ ثُلث عشر درجات يسمّى وجها وذلك منسوبٌ الى كوكب من السيّارة يقال له ربّ الوجه يُستدلّ به على صورة المولود وعلى ظواهر الامور

ذكر الحدود وارباب‌ها ان كلّ برج من هذه البروج ينقسم خمسة اجزاء مختلفة الدرج اقلّ جزءٍ منها درجتان واكثرها اثنى عشر درجة وكلّ جزءٍ منها يسمّى حدًّا وذلك الحدّ منسوب الى كوكب من الخمسة السيّارة يقال له ربّ الحدّ يستدلّ به على اخلاق المولود وليس للشمس ولا للقمر منها نصيبٌ

ذكر صفة الكواكب السيّارة اثنان منها نيّران وهما الشمس والقمر واثنان منها سعدان وهما الزهرة والمشتري واثنان منها نحسان وهما زحل والمرّيخ وواحد ممتزجٌ وهو عطارد والعقدتان هما الراس والذنب

ذكر ما للكواكب من الاعداد ان هذه الكواكب السيّارة لكلّ واحد منها

دلالة على اعداد معلومة من السنين والشهور والايم والسعات يستدلّ بها على
كميّة اعمار المواليد وعلى طول بقاء الكائنات فى علم الكون والفساد٬

ذكر دوران الفلك٬ الفلك المحيط دائمُ الدوران كدولاب يدور من
المشرق الى المغرب فوق الارض ومن المغرب الى المشرق تحت الارض٬ الخ
ويدور فى دائم الاوقات درجةً فى افق المشرق واخرى نظيرها فى افق المغرب
ودرجة اخرى فى وتد السماء تسمّى وتد العاشر واخرى نظيرها منحطّة
تحت الارض تسمّى وتد الرابع٬

ذكر دوران الشمس فى البروج وتغييرات ارباع السنة٬

ذكر نزول الشمس فى ارباع الفلك وتغييرات الازمان٬ دخول الربيع٬
دخول الصيف٬ دخول الخريف٬ دخول الشتاء٬ الخ

ذكر دوران زحل فى البروج وحالاته من الشمس٬ الخ

ذكر دوران المشترى فى البروج وحالاته من الشمس٬ الخ

ذكر دوران المرّيخ فى الفلك وحالاته من الشمس٬

المرّيخ يدور فى الفلك فى مدّة سنتَين الا شهرا واحدا بالتقريب ويقيم فى
كلّ برج خمسةً واربعين يوما يزيد وينقص ويقيم فى كلّ درجة مقدارَ يوم وبعض
يومٍ فاذا رجع فى البرج اقام فيه ستّةَ اشهر يزيد وينقص ويقيم فى كلّ درجة
مقدارَ يوم وبعض يوم فاذا رجع فى البرج اقام فيه ستّةَ اشهر يزيد وينقص
وتقابله الشمس فى هذه المدّة مرّة واحدة عند رجوعه من البرج السابع
وتربّعه مرتَين مرّة يمنةً ومرّة يسرة وتقارنه فى هذه المدّة مرّة اذا صارت معه فى
برج واحد ودرجة واحدة ثم تجوزه الشمس ويصير المرّيخ تحت شعاع الشمس
مقدارَ شهرين ثم يظهر بالغدوات من المشرق قبل طلوع الشمس مقدار شهرين

ويسير المريخ من وقت مفارقة الشمس له الى ان تقرنه مرّة اخرى ٨٥٨ يوما من ذلك ٣٢٥ يوما مستقيما مشرقا ٧٨ يوما راجعا ٤٥٥ يوما مستقيما مغربا وهذا دابه تقدير العزيز العليم٬

ذكر دوران الزهرة فى الفلك وحالاتها من الشمس٬ الخ

ذكر دوران عطارد فى الفلك وحالاته من الشمس٬ الخ

ذكر دوران القمر فى الفلك وحالاته من الشمس٬

القمر يدور فى البروج فى كلّ سنة عربيّة اثنتى عشرة مرّةً يقيم فى كل برج يومَيْن وثُلُث وفى كل منزل يوما وليلة وفى كل درجة ساعتين بالتقريب ويقابل الشمسَ فى كلّ شهر مرّةً ويربّعها مرّتين مرّة يمنةً ومرّة يسرةً ويقارنها فى كلّ شهر مرّة فلا يُرى يومَيْن ثم يظهر فى المغرب بعد غروب الشمس ويهلّ ثم يزيد فى نوره كلّ ليلة نصفَ سُبُعٍ الى ان يستكمل ويمتلئ النورُ ليلةَ البدر الرابعةَ عشرة من كلّ شهر ثم يأخذ فى النقصان فينتقص/كلّ ليلة نصفَ السبع الى ان ينمحق فى اخر الشهر٬ وللقمر فى البروج ثمانية عشرون منزلا كما قال تع والقمرَ قدرناه منازلَ حتى عاد كالعرجون القديم وفى كلّ ثلثة ابراج منها سبعةُ منازل فى كلّ برج منزلان وثلثٌ وهذه اسماؤها الشَرَطان البُطَيْن الثُريّ الدبران الهَقعة الهَنْعة الذراع٬ وهذه منازل الربيع٬ النَثْرة الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوّاء السماك٬ وهذه منازل الصيف٬ الغفر الزبانى الاكليل القلب الشولة النعائم البلدة٬ وهذه منازل الخريف٬ سعد الذابح سعد بُلع سعد السُعود سعد الأَخْبِيَة فرغ الدلو المقدّم فرغ الدلو المؤخّر بطن الحوت٬ وهذه منازل الشتاء٬

في صفة البروج٬ الحمل بيت المرّيخ وشرف الشمس وهبوط زحل ووبال الزهرة وهو برج نهاريّ شرقيّ ذكر منقلب طبيعة المرّة الصفراء ربيعيّ اذا نزلت

شمس اوّل دقيقة منه استوى الليل والنهار واخذ النهار يزيد والليل ينقص ثلثة اشهر تسعين يوما وله ثلثة اوجه وخمسة حدود الخ وهذه الكواكب السيّارة تسير في هذه البروج الاثني عشر بحركاتها المختلفة كما بيّنّا فربما اجتمعت منها اثنان في برج واحد او ثلثة او اربعة او خمسة او ستّة او كلّها واذا اجتمع منها اثنان في درجة واحدة من البرج يقال انهما مقترنان واما في اكثر الاوقات فانها تكون متفرّقة في البروج وتعرف مواضعها في البروج والدرج كيف كانت متفرّقة و مجتمعة من التقويم او الزيج

ذكر البيوت الاثني عشر اذا وُلد مولود او حدث امر من الامور فلا بدّ من ان يكون في تلك اللحظة درجةً طالعةً من افق المشرق فمن تلك الدرجة الى تمام ثلثين درجة مما يتلوها يسمّى الطالع بيت الحيوة سواء ان تكون تلك الدرج من برج واحد او من برجين ومن تمام ثلثين درجة الى تمام ستّين درجة يسمّى الثاني بيت المال ويسمّى الثالث بيت الاخوة والرابع بيت الاباء والخامسة بيت الاولاد والسادس بيت الامراض والسابع بيت الازواج والثامن بيت الموت والتاسع بيت الاسفار والعاشر بيت السلطان والحادي عشر بيت الرجاء ويسمّى الثاني عشر بيت الاعداء وكلّ بيت من هذه البيوت ومزاعيمه يدلّ على اشياء كثيرة تركنا ذكرها لانها مذكورة في كتب الاحكام بشرحها

في الصعود الى الفلك وجدتُ في الحكمة القديمة انه من قدر على خلع جسده ورفض حواسّه وتسكين وسواسه صعد الى الفلك وجوزي هناك باحسن الجزاء ويقال ان بطليموس كان يعشق علم النجوم وجعل علم الهندسة سلّما صعد به الى الفلك فمسح الافلاك وابعادها والكواكب واعظامها ثم دوّنه في المجسطي

وانه دون ذلك الصعودُ بالنفس لا بالجسد' وهكذا يُحكى عن هرمس المثلّث بالحكمة وهو ادريس النبيّ عم انه صعد الى فلك زحل ودار معه ثلثين سنةً حتى شاهد جميع احوال الفلك ثم نزل الى الارض فتخبر الناس بعلم النجوم قال الله تع ورفعناه مكانا عليّا'

وقال ارسطاطليس فى كتاب الثاثوجيّات شبهُ الرمز انّى ربما خلوت بنفسى وخلعت بدنى وصرت كانّى جوهر مجرَّد بلا بدنٍ فاكون داخلا فى ذاتى خارجا عن جميع الاشياء فارى فى ذاتى من الحسن والبهاء ما بقيت له متعجّبا باهتا فاعلم انّى جزء من اجزاء العالم الاعلى الفاضل الشريف'

وقال فيثاغورس فى الوصيّة الذهبيّة اذا فعلت ما قلت لك يا ديوجانَس وفارقت هذا البدن حتى تصير تتجلّى فى الجوّ فتكون حينئذ سائحا غير عائد الى الانسانيّة ولا قابلا للموت' قال المسيح عم للحواريّين فى وصيّة له اذا فارقت هذا الهيكل فانا واقفٌ فى الهواء عن يمين عرش ربّى واذ معكم حيثُ ما ذهبتم فلا تخالفونى حتى تكونوا معى فى ملكوت السماء غدا' وقال رسول الله صلعم لاصحابه فى خطبةٍ له طويلة انا واقف لكم على الصراط وانكم ستردون على الحوض غدا فتقربكم منى منزلا يوم القيامة مَن خرج من الدنيا على هيئةٍ ما تركته الا لا تغيّروا بعدى والّا لا تبدّلوا بعدى'

وهذه الحكايات والاخبار كلّها دليل على بقاء النفس بعد مفارقة الجسد'

فى علم الاحكام' اعلم ان العلماء مختلفون فى تصحيح علم الاحكام وحقيقيّته فمنهم من يرى ان للاشخاص الفلكيّة دلالات على الكائنات فى هذا العالم قبل كونها ومنهم من يرى ان لها افعالا وتأثيرات ايضا مع دلالاتها ومنهم من يرى ان ليس لها افعال ولا تأثيرات ولا دلالات البتّة بل ان حكمها محكم

الجمادات والموات بزعمهم٬

واعلم ان كواكب الفلك هي ملائكة الله وملوك السموات وخلقهم الله لعمارة عالمه وتدبير خلائقه وسياسة بريّته وهم خلفاء الله في افلاكه كما ان ملوك الارض هم خلفاء الله في ارضه٬

في كيفيّة وصول قوى اشخاص العالم العلويّ الى اشخاص العالم السفليّ٬

اعلم ان معنى قول الحكماء العالم انما هو اشارة الى جميع الاجسام الموجودة وما يتعلّق بها من الصفات وهو عالم واحد كمدينة واحدة وحيوان واحد ولكن لما كانت الاجسام كلّها تنقسم قسمين حسب فمنها عالم الافلاك ومنها عالم الاركان الاربعة٬ واعلم ان اوّل قوّة تسرى من النفس الكلّيّة نحو العالم فهى في الاشخاص الفاضلة النيّرة التى هى الكواكب الثابتة وبعد ذلك في الكواكب السيّارة ثم بعد ذلك فيما دونها من الاركان الاربعة وفي الاشخاص الكائنة منها من المعادن والنبات والحيوان٬ واعلم بان مثال سريان قوى النفس الكلّيّة في الاجسام الكلّيّة والجزويّة جميعا كمثال سريان نور الشمس والكواكب في الهواء ومطارح شعاعاتها نحو مركز الارض٬

واعلم بان الكواكب السيّارة ترتقى تارةً بحركاتها الى اعلى ذرى افلاكها واوجاتها وتقرب من تلك الاشخاص الفاضلة التى تسمّى الكواكب الثابتة وتستمدّ منها النور والفيض والقوى وتارة تنحطّ الى الحضيض وتقرب من عالم الكون والفساد وتوصل تلك الفيضات والقوى الى هذه الاشخاص السفليّة فتسرى فيها كما تسرى قوّة النفس الحيوانيّة في الدماغ ثم بتوسّط الاعصاب يصل الى سائر اطراف البدن فاذا وصلت تلك القوى والفيضات مع شعاعاتها الى هذا العالم فانها تسرى اوّلا في الاركان الاربعة ثم يكون ذلك سبب لكون

الكائنات التي هي المعدن والنبات والحيوان ويكون اختلاف اجناسها وانواعها بحسب اختلاف اشكال الفلك واختلاف الاماكن واختلاف الازمان لا يعلم حدّ كثرتها وفنون اشخاصها وتفنون اوصافها الا الله تع٘

فى بيان كيفيّة سَعدات الكائنات ومناحسها اعلم ان الفلك المحيط دائم الدوران كالدولاب من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق والكواكب ايضا كذا دائمةُ الحركات على توالى البروج كما هو بيّن فى الزيجات والتقويم وكذا ايضا الكائنات دائمةٌ فى الكون والفساد متّصلةٌ لا تنقطع ليلا ولا نهارا ولكن اذا اتّفق فى وقت من الزمان ان تكون الكواكب السيّارة فى اوجاتها او اشرافها او بيوتها او حدودها ويكون بعضها من بعض على النسبة الافضل التى تسمّى الموسيقيّة وهى النصف والثلث والربع والثمن سرتْ تلك القوى عند ذلك من النفس الكلّيّة ووصلت بتوسُّط تلك الكواكب الى هذا العالم السفليّ الذى دون فلك القمر وحدثت بذلك السبب الكائنات على اعدل مزاج واصحّ طبع واجود نظم ونشأت ونمت وتمّت وكملت وبلغت الى اقصى غاياتها وتمام نهاياتها التى هى قصدةٌ نحوها وتسمّى تلك الاحوال والاوصاف وما يتكوّن فيها سعدة وخيرات واذا اتّفق ان يكون شكل الفلك ومواضع الكواكب على ضدّ ذلك كان امر الكائنات بالضدّ ايضا وتناقصت عن بلوغ غاياتها وتمام نهاياتها وسمّيت تلك مناحس الفلك وسبب الشرور ولا يكون ذلك بالقصد الاوّل ولكن بسبب عارضة٘

واعلم بان لهذه الكواكب السيّارة فى افلاكها المختصّة بها حالات مختلفة فمن ذلك السرعة فى السير والابطاء فى الحركة والوقوف والاستقامة والرجوع والارتفاع فى الاوجات والانحطاط الى الحضيض والكون فى الميل والذهاب

في العرض والبلوغ الى الجوزهر وما يشاكل ذلك من الاوصاف المختلفة وله
ايضا في هذه البروج اقسام وانصبة كالبيوت والوبال والشرف والهبوط والمثلثات
والحدود والتدبيرات وما شاكل ذلك وله ايضا مناظرات بعضها الى بعض
واتصالات ومقارنات وانصرافات واحتراقات وتغريب والكون في الاوتاد وما يليها
والزوال عنها وما شاكل هذه الاوصاف المذكورة في كتب الاحكام٬

في المولّدات

في تكوين المعادن*)

نريد ان نبيّن كيفيّة تكوين المعادن واسرار اختلاف جواهرها وانواعها وخواصّها ومنافعها ومضارّها بحسب اشكال الفلك ومسير الكواكب ومطارح شعاعاتها في الاوتاد والآفاق. اعلم ان لكلّ كائن وحادث تحت فلك القمر اربع علل علّة فاعلة وعلّة هيولانيّة وعلّة صوريّة وعلّة تماميّة. والعلّة الفاعلة للجواهر المعدنيّة هي الطبيعة واما العلّة الهيولانيّة لها فهي الزيبق والكبريت والعلّة الصوريّة لها فهي دوران الفلك وحركات الكواكب حول الاركان الاربعة واما العلّة التماميّة لها فهي المنافع التي ينالها الانسان والحيوان جميعا من هذه الجواهر المعدنيّة. اعلم ان الجواهر المعدنيّة مختلفة في طبائعها وطعومها والوانها وروائحها وذلك بحسب اختلاف تُرَب بقاع معادنها ومياهها وتغييرات اهويتها وذلك ان كرة الارض بجملتها وجميع اجزائها عمقها وظاهرها وباطنها بقيت مجوّفة ... ... ملتبدة منعقدة مختلفة التركيب والخلقة ومنها

---

*) وهذا نبذ من الرسالة الثامنة عشر.

صخور وجبال صلبة وجلاميد صلدة وحصى ملسا، ورمال جريشة وطين رخو وتراب ليّن وسباخ وشورج بعضها مختلط ببعض ومتجاور وهي مختلفة الالوان والطعوم والروائح فمن ترابها وطينها واحجارها ما هي حمر وبيض وسود وخضر وزرق وصفر٬

ومن ترابها وطينها ما هو عذبٌ مذاقها او مرٌّ طعمها او مالح او عفص او حلو او حامض ومنها ما هو طيّبٌ شمّها او منتن رائحتها فان الارض بجملتها كثيرة التخلّل والثقب والتجويف والعروق والجداول والانهار داخلها وخارجها كثيرة الاهوية والمغارات والكهوف وكلّ هذه مملوءة من الريح والمياه والبخارات ويكون طعوم تلك المياه وروائحها وغلظها ولطافتها وثقلها وخفّتها بحسب تربة بقاع الارض وطين مكانها واجواف قرارها ومستنقعاتها٬

في انواع الجواهر المعدنية٬

واعلم ان الجواهر المعدنيّة ثلثة انواع فمنها ما يتكوّن في التراب والطين والارض السبخة ويتمّ نضجها في السنة او اقلّ منها كالكبريت والاملاح والشبوب والزاجات وما شاكلها ومنها ما يتكوّن في قعر البحار وقرار المياه ولا يتمّ نضجها الا في السنة او اكثر كالمرجان والدرّ فان احدهما نبات معدنيّ والاخر حيوان صدفيّ ومنها ما يتكوّن في كهوف الجبال وجوف الاحجار وخلل الرمال ولا يتمّ نضجها الا في السنين كالذهب والفضّة والنحاس والحديد والرصاص وما شابهها ومنها ما لا يتمّ نضجه الا في عشراتٍ او مئاتِ سنين كالياقوت والزبرجد والعقيق والجَزْع والبلخش والفيروزج والنحاس والالماس٬

اعلم ان لكلّ نوع من الجواهر المعدنيّة بقعة مخصوصة وتربة معروفة لا يتكوّن الا عنده كالذهب فانه لا يتكوّن الا في البراريّ الرملة والجبال والاحجار الرخوة

والفضّة والنحاس والحديد وامثالها لا تتكوّن الا فى جوف الجبال والاحجار المختلطة بالتراب اللين والكبريتُ لا يتكوّن الا فى الارضين النديّة والرطوبات الدهنيّة والاملاحُ لا تنعقد الا فى الارضين السبخة والبقاع الشورجية والجصّ والاسفيداجُ لا يتكوّن الا فى التراب المختلط بالرمل والحصى والزاجات والشبوب لا تتكوّن الا فى التراب العفص القشف وعلى هذا القياس حكم سائر انواع الجواهر المعدنيّة٬

واعلم ان الجواهر المعدنيّة كثيرة الانواع منها ما يعرفها الناس ومنها ما لا يعرفها وقد ذكر بعض الحكماء ممّن كانت له عنايةٌ بالنظر فى هذا العلم والبحث عن هذه الاشياء انه قد عرّف وعدّد منها نحوًا من سبعمائة نوع كلّها مختلفةٌ الطباع والشكل واللون والطعم والرائحة والثقل والخفّة والمضرّة والمنفعة٬ ونريد ان نذكر منها طرفا ليكون دلالةً على الباقية وقياسا عليها ونقول ان من الجواهر المعدنيّة ما هي حجريّةٌ صلبة لكن بعضها يذوب بالنار ويجمد اذا برد مثل الذهب والفضّة والنحاس والحديد والرصاص والاسرب والزجاج وما شاكلها وبعضها لا يذوب بالنار الشديدة ولا ينكسر كالالماس والياقوت والعقيق ومنها ترابيٌّ رخو لا يذوب ولكن ينفرك كالاملاح والزاجات والطلق ومنها مائيٌّ رطب يفرّ من النار كالزيبق ومنها ما هوائيٌّ دهني تاكله النار كالكبريت والزرانيخ ومنها نباتيٌّ كالمرجان ومنها حيوانيٌّ كالدرّ ومنها ما منعقد كالعنبر والبادزهر وذلك ان العنبر انما هو طلٌّ يقع على سطح ماء البحر ثم ينعقد فى مواضع مخصوصة فى زمان معلوم وكذلك البادزهر ايضا فانه طلّ يقع على بعض الاحجار ثم يترشّح فى خللها فيقف وينعقد هناك فى بقاع مخصوصة وفى زمان معلوم وهكذا الترنجبين فانه طلّ يقع على نوع من الشوك وهكذا اللكّ فانه طلّ يقع على نبت

مخصوص في زمن معلوم وينعقد عليه واللاذن كذلك وكذلك ايضا الدرّ فانه طلّ يرشح في اصداف نوع من حيوانات البحر ثم يغلظ ويجمد وينعقد فيه وكذلك المومياء فانها طلّ في خلل صخور معينة ثم يغلظ هناك ويصير مائيّا ثم يمرّ من مسامّ ضيّقة ويجمد وينعقد والطلّ هو رطوبة هوائيّة يجمد من برد الليل ويقع على النبات والحجر والشجر والصخور وعلى هذا القياس حكم جميع الجواهر المعدنيّة٬

فان مادّة الجواهر انما هي رطوبات ومياه وانداء وبخارات تنعقد بطول الوقوف وممرّ الزمان في البقاع المخصوصة بها فقد تبيّن بما ذكرنا ان الجواهر المعدنيّة كلّها مع اختلاف انواعها وطبائعها والوانها وطعومها وروائحها وثقلها وخفّتها وصلابتها ورخاوتها وليّنها وخشونتها وخواصّها ومنافعها ومضارّها مركّبة كلّها ومؤلّفة من اجزاء ترابيّة صلبة ثقيلة مظلمة كثيفة ومن اجزاء مائية رطبة سيّالة صافية بين الثقل والخفّة ومن اجزاء هوائيّة خفيفة ليّنة دهنيّة شفّافة نيّرة ومن اجزاء نارية قويّة او ضعيفة منضجة او مقصّرة ومن تأليف على نسبة فاضلة او دون ذلك من المناسبات التأليفيّة وهي اثنى عشر مرتبة مضروبة في اربع طبائع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة جملتها تكون ثمانية واربعين مرتبةً وهذا هو الطول مضروب في نفسه ٢٣٠٤ وهذا هو العرض مضروب في جذره ١١٠٥٩٢ وفي نفسه ٥٣٠٨٤١٦ وهذا هو المكعّب٬

٬في كيفيّة تكوين المعادن٬

٬ونحتاج ان نشرح هذا الباب لانه اصلٌ في معرفة كيفيّة تكوين المعادن٬ اعلم ان تلك الرطوبات المختفية في بطن الارض والبخارات المحتسبة هناك اذا احتوت عليها حرارة المعدن تحلّلت ولطفت وخفّت وتصاعدت علوًّا الى سقوف

تلك الاهوية والمغارات ومكثت هناك زمانا طويلا فاذا برد باطن الارض فى الصيف جمدت وغلظت وتقاطرت راجعةً الى اسفل تلك الاهوية والمغارات واختلطت بتربة تلك البقاع وطينها ومكثت هناك زمان وحرارة المعدن دائما فى نضجها وطبخها وهى تصفو بطول وقوفها وتزداد ثقلا وغلظا وتصير تلك الرطوبات ممّا يخالطها من الاجزاء الترابيّة وما تاخذ من ثقلها وغلظها وانضاج الحرارة وطبخها اياها زيبقا رجراجا وتصير تلك الاجزاء الهوائيّة الدهنيّة وما يتعلّق بها من اجزاء الترابيّة وطبخ الحرارة لها بطول الزمان كبريتا محترقا فاذا اختلطت اجزاء الكبريت والزيبق مرّة ثانية تمازجت واختلطت واتّحدت والحرارة دائمةٌ وكانت مقدارُهما على النسبة الافضل فى نضجها وطبخها فينعقد منه ضروبُ الجواهر المختلفة٬

وذلك انه اذا كان الزيبق صافيا والكبريت نقيّا واختلطت اجزاءهما وكان مقدارهما على النسبة الافضل واتّحدت وامتصّت الكبريت رطوبة الزيبق ونشفت نداوتَه وكانت حرارة المعدن على الاعتدال فى نضجها وطبخها ولم يعرض لها عارضٌ من البرد واليبس قبل انضاجها انعقد من ذلك على طول الزمان الذهبُ الابريز وان عرض لها عارض البرد قبل النضج صارت فضّة بيضاء وان عرض لها اليبس من فرط الحرارة وزيادة الاجزاء الارضيّة انعقدت نحاسا احمر وان عرض لها البرد قبل ان يتّحد اجزاء الكبريت والزيبق قبل النضج انعقد منه رصاص قلعيّ وان عرض لها البرد قبل النضج وكانت اجزاء التراب اكثر صارت حديدا اسود وان كان الزيبق اكثر والكبريت اقلّ والحرارة ضعيفة انعقد منها الاسرب وان افرطت الحرارة فاحترقتها صارت كحلا وعلى هذا القياس تختلف اجزاء الجواهر المعدنيّة بسبب عرضة خرجة عن الاعتدال وعن النسبة الافضل من زيدة الكبريت والزيبق او نقصانهما او افراط الحرارة ونقصانها او برد المعادن قبل

نضجها او خروجها عن الاعتدال فعلى هذا القياس حكم الجواهر الذائبة كلّها
واما الجواهر الحجريّة مثل البلّور والياقوت والزبرجد والعقيق وما شاكلها من اللاتى
لا تذوب بالنار فانها تنعقد من مياه الامطار والانداء التى ترشح فى تلك المغارات
والكهوف والاهوية التى بين الجبال الصلدة والاحجار الصلبة لا يخالطها شئ من
الاجزاء الترابيّة والطين بل بطول الزمان كلّما طال وقوفها هناك ازدادت المياه
صفاء وثقلا وغلظا وحرارةُ المعدن دائما فى نضجها وطبخها حتى تنعقد
وتصير حجارة صلبة صافية ويكون الوانها وصفوها ورزانتها بحسب انوار تلك
الكواكب المتوالية لذلك الجنس من الجواهر ومطارح شعاعاتها على تلك البقاع
المختصّة بها كما سنبيّن فى رسالة النبات وذلك ان لون الياقوت الاصفر
والذهب الابريز ولون الزعفران وما شاكلها من الوان النبات منسوبةٌ الى نور
الشمس وبريق شعاعها وكذلك بياض الفضّة والملح والبلّور والقطن وما شاكلها
من الالوان منسوبةٌ الى نور القمر وبريق شعاعه وعلى هذا القياس سائر الالوان
كلّ نوع منسوب الى كوكب من الكواكب السيّارة والثابتة ومذكورةٌ ذلك فى كتب
احكام النجوم كما قيل السواد لزحل والحمرة للمرّيخ والخضرة للمشترى والزراقة
للزهرة والصفرة للشمس والبياض للقمر والملوّن بالالوان لعطارد٬

واما الجواهر الترابيّة فى كيفيّة تكوينها فهى ان تلك المياه اذا اختلطت بتربة
تلك البقاع وعملت فيها حرارةُ المعدن تحلّل اكثرُ تلك الرطوبات وصارت بخارا
وارتفعت فى الهواء كما ذكرنا قبل وما بقى من تلك الرطوبات يكون محبوسا
ملازما للاجزاء الارضيّة متّحدا بها وعملت فيه الحرارة قبل نضجها وطبخها حتى
تغلظ وتنعقد فان تكن تربة تلك البقاع شورجةً سبخة تكوّنت منها ضروب
الاملاح والبوارق والشبوب وان تكن تربة تلك البقاع عفصة انعقدت منها

ضروب الزاجات الخضر والصفر والقلقطار وهو جنس من الزاج وما شاكلها وان تكن تربة تلك البقاع حصاة وتراب ورملا مختلطة انعقد منها ضروب الجصّ والاسفيداج وما شاكلها وان تكن تربة تلك البقاع تراب لبّنة وطينة حرّا انعقد منها الحمأة ونبت ضروبُ العشب والحشائش والكلا والاشجار والزروع٬

في ان النار هي القاضى بين الجواهر المعدنيّة٬

واعلم ان النار هي القاضى بين الجواهر المعدنيّة والمتحكّم عليها كلّها والمفرق بينها وما كان من غير جنسها فاشرفُها هي التى لا تقدر النار ان تفرّق بين اجزائها مثل الياقوت وذلك لشدّة اتّحاد اجزائها بعضها ببعض فانه ليس بين خلل اجزائها رطوبة٬ واما علّة احتراق بعض الجواهر المعدنيّة وان النار لها وسرعة اشتعالها فيها كالكبريت والزرانيخ والقير والنفط وما شاكلها من المعدنيّات فهى من اجل ان الاجزاء الهوائيّة الدهنيّة المتعلّقة بالترابيّة غير متّحدة بها والاجزاء المائيّة قليلة معها وهي غير نضيجة ايضا ولا متّحدة بها فاذا اصابتها حرارة النار ذابت بسرعة وتحلّلت وصارت دخانا وبخارا وفارقت الاجزاء الترابيّة وارتفعت في الهواء واختلطت به وتفرّقت بين اجزاء الهواء٬ فان قيل ما العلّة في ان الذهب يذوب ولا يحترق والياقوت لا يذوب ولا يحترق فنقول اما علّة ذوبان الذهب وعدم احتراقه بالنار فهو من اجل الرطوبة الدهنيّة المتّحدة بالاجزاء الترابيّة فاذا اصابتها حرارة النار ذابت وسالت فيما بين الاجزاء الارضيّة التى معها فاما ما لم يحترق فمن اجل ان الاجزاء المائيّة المتّحدة بالترابيّة والهوائيّة فانها تقبل النارَ وتدفع عن الاجزاء الترابيّة وهج النار ببردها ورطوبتها فاذا أُخرجت من النار جمدت تلك الاجزاء الدهنيّة الهوائيّة وغلظت الاجزاء المائيّة وانعقدت وصارت الاجزاء الارضيّة كما كانت وعلى هذا القياس

حكم سائر الاجسام الذائبة٬

واما الياقوت فلانه اجزاءٌ مائيّة غلظت وصفَتْ بطول الوقوف بين الصخور والاحجار ونضجت بدوام طبخ حرارة المعدن لها واتّحدت اجزاؤُها ويبست فصارت لا تذوب بالنار لانه ليست فيه رطوبة دهنيّة٬ واما علّة صفائه فمن اجل انه ليست فيه اجزاءٌ ترابيّة مظلمة وانها كلّها اجزاء مائيّة قد غلظت وصفتْ ونضجت وجمدت ويبست فلا تقدر النار على تفريق اجزائها لشدّة اتّحادها ويبسها٬ واما علّة سرعة ذوبان بعض الاجسام واحتراقها مثل الرصاص والاسرب فهو من اجل ان الاجزاء المائيّة والهوائيّة غيرُ متّحدة بالاجزاء الترابيّة وسوادُها من اجل انها غير نضيجة وثقلُها من اجل كثرة الاجزاء الارضيّة فيها٬

في طباع الجواهر المعدنيّة٬

اعلم ان لهذه الجواهر خواصّ كثيرة وطباعها مختلفةٌ فمنها متضادّة متنافرة ومنها مشاكلة متألّفة ولها تأثيراتٌ لبعضها في بعض متفنّنة اما جذب او امساك او دفع ونفورا ولها ايضا قوى خفيّة وحسٌّ لطيف كما للنبات والحيوان اما شوق ومحبّة واما بغضا وعداوة٬ والدليل على صحّة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول الحكماء في كتاب الاحجار ونعتهم لها ان طبيعةً ما تتألّف طبيعةً اخرى وطبيعة تلتزق بطبيعة وطبيعة تستأنس بطبيعة وطبيعة تناسب طبيعة وطبيعة تهرب من طبيعة وطبيعة تقوى على طبيعة وطبيعة تضعف عن طبيعة وطبيعة تحبّ بطبيعة وطبيعة تطيب مع طبيعة وطبيعةٌ تفسد وتبيضّ وتحمرّ وتشتاق وتبغض وتمازج طبيعةً٬

واما الطبيعة التى تتألّف طبيعة اخرى فمثلها الالماس فاذا قُرب من الذهب التزق به وامسكه ومثلها طبيعة الحجر الذى يسمّى المغناطيس والحديد فان

هذين الحجرين يابسين صلبين وبين طبيعتهما أُلفةٌ واشتياق فانه اذا قرب الحديد من هذا الحجر حتى يشمّ رائحته ذهب اليه والتزق به وجذبه الحجر الى نفسه وامسكه كما يفعل العاشق بالمعشوق وهكذا يفعل الحجر الجاذب للحم والحجر الجاذب للشعر والحجر الجاذب للتبن وعلى هذا القياس ما من الاحجار المعدنيّة الّا بينه وبين طبيعة اخرى أُلفة او تنافرٌ٬

واما الطبيعة التى تقهر طبيعةً اخرى فمثل طبيعة السنباذج التى تاكل الاحجار عند الحكّ اكلا وتلينها وتجعلها ملسا ومثل طبيعة الاسرب الوسخ الذى يفتّت الالماس القاهر لسائر الاحجار الصلبة وذلك ان الالماس لا يقهره شىء من الاحجار وهو قاهر لها كلّها حتى انه لو نزل على السنْدان وضُرِب بالمطرقة لا دخل فى احدهما ولم ينكسر وان جعل بين صفيحتين من اسرب وغُمّت عليه تفتّت٬ ومثل طبيعة الزيبق الطيّار الرطب القليل الصبر على حرارة النار اذا طُلى به الاحجار المعدنيّة الصلبة مثل الذهب والنحاس والفضّة والحديد اوهنها وارخاها حتى يمكن ان يكسر باسهل سَعْىٍ وتتفتّت قطعا قطعا ومثل الكبريت المنتن الرائحة المسوّد للاحجار النيّرة البرّاقة المذهب لالوانها واصباغها الذى يمكّن النار عليها حتى تحترق فى اسرع مدّة والعلّة فى ذلك ان فى الكبريت رطوبة دهنيّة لزجة جامدة فاذا اصابتها حرارة النار ذابت والتزقت باجساد الاحجار ومازجها فاذا تمكّن النار فيها احترقت واحترق معه تلك الاجساد يقوتا كان او ذهبا او غيرهما٬

واما الطبيعة التى تلتزق طبيعةً اخرى فمثل النوشادر الذى يغوص فى قعر الاحجار ويغسلها من الوسخ واما الطبيعة التى تعين طبيعة اخرى فمثل البوارق التى تعين النار على سبك هذه الاحجار المعدنيّة الذائبة ومثل الزاجات والشبوب التى تجلوها وتميّزها وتصفّيها ومثل المغنيسيا والقلّى المعينين على سبك الحديد

والرمل وتصفيته حتى يكون منهما زجاج شفّاف وعلى هذا القياس والمثل حكم طبائع سائر الاحجار المعدنيّة فى تاثيرات بعضها فى بعض٬

٬فى خواصّ الجواهر المعدنيّة٬

فنريد الان ان نذكر طرفا من انواع جواهرها وخواصّ انواعها كما ذكرتها الحكماء فنبدأُ بذكر اشرفها الذى هو الذهب والياقوت ثمّ سائر ما يتلوها نوعا فنوعا٬ فاما الذهب فهو جوهر معتدل الطباع صحيح المزاج نفسه متّحدة بروحه وروحُه متّحدة بجسده ونعنى بالنفس الاجزاء الهوائيّة وبالروح الاجزاء المائيّة وبالجسد الاجزاء الترابيّة ولكن لشدّة اتّحاد اجزائه وممازجتها لا يحترق بالنار ولا يقدر على تفريق اجزائه ولا يبلى فى التراب ولا يَصْدأُ ولا تغيّره الآفات العارضة وهو جسم ليّن اصفر اللون حلو الطعم طيّب الرائحة ثقيل رزين٬ وصفرةُ لونه من ناريّته وصفاوُه وبَريقه من هوائيّته ولينُه من دهنيّة رطوبته وثقلُه ورزانته من ترابيّته لان كبريته كان نقيّا وزيبقه كان صافيا ومزاجه كان معتدلا وحرارة المعدن طبختهما على طول الزمان برفق واعتدال فاذا اصابته حرارة النار ذابت رطوبتُه الدهنيّة وصارت حول جسده تقابل حرارةَ النار وتدفع عن جسده احراقها واذا أُخرج من النار جمدت تلك الرطوبة واذا طُرق امتدّ تحت المطرق حارّا كان او باردا واتّسع فى الجهات رقا وامتدّ ويفتل منه كالخيوط ويقبل جميع الاشكال من الاوانى والحلّى وهو يخالط الفضّة والنحاس فى السبك وينفصل عنهما اذا طرح عليه المرقشيشا الذهبىّ لانه جنس من الكبريت يحرق ولا يحترق٬ وهو منسوب الى الشمس٬

واّما الياقوت فانه حجر صلب حارّ يابس رزين صافٍ شفّاف مختلفُ الالوان احمر واصفر واخضر وازرق واصله كلّه ماءٌ عذبٌ وقف فى جوف الحجر الصلبة

والصخور الصلدة زمانا طويلا فغلظ وصفا وثقل وانضجته حرارة المعدن لطول وقوفه واتّحدت اجزاؤه وصارت صلبةً بحيث لا يذوب في النار البتّة لقلّة دهنيّته ولا يزول لونه لغلظ رطوبته بل يزداد حسنا ولونا وخاصّةً الاحمرُ منه لا تعمل فيه المبارد لشدّة صلابته ويبسه الا الالماس والسنباذج بالحكّ في الماء ومعدنُه في البلدان الجنوبيّة تحت خطّ الاستواء٬

واما الزمرد والزبرجد فهما حجران يابسان باردان جنسُهما واحد يوجدان في معادن الذهب وخيرهما واجوَدهما اشدُّهما خضرةً وصفاءً وشفافًا٬ والدهنج عدوٌّ للزبرجد ويشبهه في المنظر واذا وقع معه في موضع واحد كدّر لونَه وذهب بنضارته٬

واما الفضّة فانها اقرب الجواهر الذائبة الى الذهب وهو جسد بارد يابس معتدل فيهما كاد ان يكون ذهبا لولا انه غلب عليه البردُ في معدنه قبل النضج وهي في قسمة القمر اذا طُرح عليه النحاس والرصاص عند السبك خالطهما واذا أُخلصت منهما تخلّصت ويسوّدها الكبريت ويكسرها الزيبق ويحسن لونَها البورق ويعين على سبكها ويدفع عنها احراق النار واذا سحقت وادخلت في الادوية المشروبة نفعت من الرطوبات اللزجة وهي تحترق في النار اذا الحّت عليها وتبلى في التراب بطول الزمان٬

واما النحاس فهو حجر حارّ يابس مفرط اليبوسة وهو قريب من الفضّة ليس بينهما تباينٌ الا في الحمرة واليبس وذلك ان الفضّة البيضاء ليّنةٌ والنحاس احمر يابس كثير الوسخ فحمرته من شدّة حرارة كبريته ويبسه من وسخته وغلظه٬ فمن قدر على تبييضه وتليينه او تصفير الفضّة وتيبيسه فقد ظفر بحاجته٬ والنحاس اذا ادنى من الحموضات اخرج زنجارا والزنجار سمٌّ وان طُليَ النحاس بالزيبق

ارخاه وكسره وان سبك النحاس وطرح عليه زجاج شامىّ وطُرح بحرارته فى الماء خرج لونه كلون الذهب واذا ادنى من النار اسودّ لان النار فى القاضى بين الجواهر المعدنيّة يفصل بينها بالحقّ'

واما الطاليقون فهو جنس من النحاس اذا طرح عليه ادويةٌ صلُب' واما القلعىّ فهو قريب من الفضّة فى لونه ولكن يُباينها بثلاث صفات الرائحة والرخاوة والصرير وهذه الآفات دخلت عليه وهو فى المعدن كما يدخل الآفات على الجنين فى بطن امّه فرخاوتُه لكثرة زيبقه وصريره لغلظ كبريته وقلّة مزاجه بزيبقه وهو ساق فوق ساق فلذلك يصرّ ونتن رائحته لقلّة نضاجه واذا دبّر بقضيب الرجلة والمرقشيشا والملح والنزرانيج على ما ينبغى بُرِئَ من هذه الآفات ان شاء الله تعالى واذا احرق القلعىّ وجعل فى المراهم ابرأ الجروح والقروح التى تكون فى عيون الناس'

واما الاسرب فهو خير من الرصاص ولكنه كثير الكبريت غير نضيج ومنافعه معروفة' واما الحديد فهو اجناس منه ليّن رخو ومنه ما اذا اسقى الماء ازداد صلابةً وحدّةً' ومن الجواهر المعمولة ايضا الشبّه وهو نحاس طرحت عليه ادوية فازداد صفرةً ولينا' واما الاسفيدرويه فهو نحاس مزج من القلعىّ والمفرغ من النحاس والاسرب' والمرداسنك من الاسرب اذا حرق والاسفيداج من الاسرب والحموضة والاسرنج اسرب وكبريت والزنجفر من الزيبق والكبريت والزنجار من النحاس بالحموضات'

ومن الجواهر المعدنيّة الزيبق والكبريت فهو حجرٌ دهنىٌّ لزج ويلتزق بالاحجار المعدنيّة عند ذوبانها ويحترق بالنار ويحرق الاحجار معه لانه دهن كلّه واما الزيبق فهو جسم رطب سيّال يطير اذا اصابته الحرارة من النار ولا صبرَ له على

حرّه وهو يخالط الاجسام المعدنيّة بالتدبير ويرخيها ويكسرها ويوهنها فاذا
اصابت تلك الاجسامَ حرارةُ النار طار الزيبق ورجعت هي الى حالتها الاولى
صلبةً كما كانت ومثله مع هذه الاحجار كمثل الماء مع الطين اليابس اذا رُشّ
عليه الماء استرخى وتفتّت فاذا اصابته حرارةُ النار او حرارة الشمس جفّ
وعاد كما كان اوّلاً واعلم يا اخى ان الكبريت والزيبق اصلان للجواهر المعدنيّة
الذائبة كما ان التراب والماء اصلان للاجسام الصناعيّة ومن الجواهر المعدنيّة
ايضا انواع الأَملاح والشبوب والبوارق والزاجات فمنها عذب كملح الطعام
والأَنْدَرانى ومنها مرٌّ كملح الصناعة ومنها حادٌّ كالنَوْشادر ومنها قابض كالشبوب
والزاجات ومنها دواء كالنفطى والهندىّ ومنها بوارق (بوره) الجزوُ منها شوارج
(شوره) يصلح للدبّاغين ومنها ملح القَلى والنورة والرماد والبَوْل يستعملها اصحاب
الكيمياء وكلُّ هذه رطوباتٌ ومياه مختلطة بترب بقاع الارض وتحرقها حرارة النار
او الشمس او حرارة المعدن وتنعقد وتصير املاحا وشبوبا وبوارق وفنون
الزاجات ومن الجواهر المعدنيّة انواع الزرانيخ والمرقشيشا والمغنيسيا والشادْنه
والكحل والتوتيا ومنها الزجاج والبلور والمينا والطلق والسَبَج والعقيق
والفيروزج والبزادى والجَزع واللازَوَرد والعنبر والدهنج ومنها القير والنفط
والجصّ والاسفيداج وما شاكلها

واما الدهنج فهو حجرٌ يتكوّن في معدن النحاس وطبيعته باردة ليّنة لانه
دخانٌ يرتفع من الكبريت المتولّد في معدن النحاس اخضر مثل الزنجار فاذا
صار الى موضع من جبال المعدن تكاثف وتلبّدت اجزاؤه بعضها على بعض
وتجسّد وتحجّر وهو مختلف الالوان اخضر كمدخن اللون وهو يصفو مع الهواء
ويتكدّر معه

واما البادزهر فهو حجر ليّن المَلمس مختلف الالوان واصله كلّه رطوبة هوائيّة دهنيّة جمدت فى معدنه بطول الزمان،

ومن الجواهر المعدنيّة الالماس فان الطبيعة فيه البرودة اليبوسة فى الدرجة الرابعة وقلّ ما يجتمع هاتان الطبيعتان فى شىء من الاحجار المعدنيّة فبهذه الخاصّية صار لا يحتكّ بجسم من الاحجار المعدنيّة الا اثّر فيه وكسره ولا يَهِسه الا جنسٌ من الاسرب فانه مع رخاوته ولينه ونتن ريحه يؤثّر فيه ويكسره ويفتّته،

واما السنبادج فهو قريب من هاتين الطبيعتَين من الالماس ومن اجل ذلك يكون تاثيرهُ فى الاحجار مشاكلا لتاثير الالماس ولكن دون تاثيره لنقصان طبيعته عن طبيعة الالماس،

واما حجر المغنيطيس فهو ايضا عبرة لاولى الالباب والتفكُّر فى الامور الطبيعيّة وخواصّ افعال بعضها فى بعض وذلك ان بين هذا الحجر والحديد مناسبة ومشاكلة فى الطبيعة كالمشابهة والمشاكلة التى تكون بين العاشق والمعشوق وذلك ان الحديد مع شدّة يبسه وصلابة جسمه وقهره للاجسام المعدنيّة والنباتيّة والحيوانيّة يتحرّك نحو هذا الحجر يلتزق به ويلتزمه كالتزام العاشق المحبّ لمعشوقه المحبوب المشتاق اليه،

فاذا فكر العاقل اللبيب فى فعل هذَين الحجرين علم وتبيّن له ان الفعل المحرِّك لهما غيرُهما لان الجسم لا فعلَ له من حيث هو جسم، فقد قامت براهين ودلائل ان هذه الاجسام كلّها مع اختلافها واختلاف طبائعها هى كالادوات والآلات اذ قد تبيّن بدلائل عقليّة ان البرى لا يباشر الاجسام بذاته ولا يتولّى من الافعال بنفسه الا الاختراع والابتداع حسبُ،

وقد تبيّن بما ذكرنا ان الجواهر المعدنيّة مع كثرة انواعها واختلاف طبائعها وفنون خواصّها اصولها كلّها هي الاركان الاربعة التي تسمّى الامّهات وهي النار والهواء والماء والارض وتبيّن ايضا ان الفاعل فيها والمؤلّف لاجزائها والمركّب لها هي الطبيعة باذن الله تعالى وتبيّن ايضا بان غرض هذه الجواهر المعدنيّة مع اختلاف طبائعها هو منافع الناس والحيوان واصلاح امر الحيوة ومعيشة الحيوان فيها الى وقت معلوم٬

٬ ٬ ٬

فى علم النبات

ان اخر مرتبة الجواهر المعدنيّة متّصلة باوّل مرتبة النبات وان اخر مرتبة النبات متّصلة باوّل مرتبة الحيوانيّة وان اخر مرتبة الحيوانيّة متّصلة باوّل مرتبة الانسانيّة وان اخر مرتبة الانسانيّة متّصلة باوّل مرتبة الملائكة الذين هم سكّان السموات وقاطنو الافلاك٬

اعلم ان المصنوع المحكم يدلّ على الصانع الحكيم وان كان الصانع محتجبا عن ادراك الابصار وكلّ عاقل اذا تأمّل احوال النبات من فنون اشكالها وامتداد عروقها فى الارض وتفرّع اغصانها فى الهواء وتقطيع اوراقها والوان ازهارها من الاصباغ واختلاف صُوَر حبوبها واشكال ثمارها من الصغر والكبر واختلاف الوانها وطعومها وروائحها تبيّن له وعلم علما ضروريّا ويقينا ان لها صانعا حكيما لان عقله يشهد له بان الاركان الاربعة المتضادّة القوى المتنافرة الطبع لا تجتمع ولا تأتلف ولا تصير على هذه الاوصاف الا بقصد صانع حكيم لا يُشكّ فيه ولكن اذا تفكّر فى كيفيّة صنعته ولِمَ فعل هكذا ولِمَ يفعل كذا وكذا لا يفهم ولا

يدري ولا يتصوّر كيف ذلك فمن اجل هذا احتجنا ان نذكر من هذا الفنّ طرفاً ليزداد علماً كلّ من يسمعه وينظر فيه٬

اعلم ان النبات مصنوعات ظاهرة جليّة لا تُخفَى ولكن صانعتها بطئة خفيّة محتجبة عن ادراك الابصار لها وهي التي نسمّيها النفوس الجزوئيّة وتسمّيها الفلاسفة القُوى الطبيعيّة ويسمّيها الناموس الملائكةَ وجنود الله الموكّلين بتربية النبات وتوليد الحيوان وتكوين المعادن والعبارات مختلفة والمعنى واحد وانما نسبت الفلاسفة الحكماء هذه المصنوعات الى القوى الطبيعيّة والناموس الى الملائكة ولم ينسبوها الى الله لان البارى يجلّ عن مباشرة الاجسام الطبيعيّة والحركات الجرمانيّة والاعمال الجسدانيّة٬

اعلم ان كلّ عاقل لبيب اذا تأمّل احوال النبات فلا يجد شيئاً منها يخرج عن صورة جنسه ويتجاوز شكلَ نوعه وذلك انه ما رُئي قطُّ ورقة زيتونة خرجت من شجرة النخل ولا ثمرة تين خرجت من شجرة جوز ولا حبّة شعير خرجت من سنبلة حنطة وعلى هذا القياس سائر انواع الحبوب والثمار والبقول والحشائش نرى كلّ واحدة منها حافظة صورةَ ابناء جنسها وشكل نوعها كانها صُبّت في قوالب مختلفةِ الاشكالِ محفوظة الانواع٬

اعلم ان لكلّ نوع من النبات اصلاً ولاصله هيموسا وللهيموس مزاجاً لا يكون من ذلك المزاج الا ذلك الهيموس ولا يتكوّن من ذلك الهيموس الا ذلك النوع من النبات وان كان يُسقى بماء واحد وينبت في تربة واحدة ويلحقها نسيم واحد وتنضجها حرارةُ شمس واحدة وهيولاها الاولى موضوعة لقبول جميع الصور ولكن الهيولات الثواني كلّ واحدة منها لا تقبل الا صوراً باعيانها مخصوصةً٬ وذلك ان رطوبة الماء ولطائف الاجزاء الترابيّة اذا حصلت في عروق النبات

تغيّرت وصارت يبوسا على مزاجٍ ما لا يجيء من ذلك اليبوس والمزاج غير ذلك النوع من النبات، وكذلك حكم اوراقه ونَواره وثمره وحبّه،

واعلم ان تلون النبات اربعَ علل علّةٌ هيولانيّة وعلّة فاعليّة وعلّة تمميّة وعلّة صوريّة فاما العلّة الهيولانيّة فهى الاركان الاربعة النار والهواء والماء والارض واما العلّة الفاعليّة فى النفس الكلّيّة واما العلّة التمميّة فانها خلقتها غذاء للحيوان واما العلّة الصوريّة فهى اسبابٌ فلكيّة يطول شرحها، وذلك ان اجزاء الاركان اذا اجتمعت واختلطت وامتزجت واتّحدت صارت هيُولَى لتلون النبات والسببُ فى اجتماعها واختلاطها هو دوران الافلاك حول الاركان ومسيرات الكواكب فى البروج ومطارح شعاعاتها فى جوّ الهواء نحو مركز الارض،

ان الشمس اذا طلعت على آفاق البلاد واشرقت واضاءت وجهَ الارض حميت مياهُ البحار والانهار ولطفت اجزاؤُها وصارت بخارا لطيفا خفيفا وارتفعت فى الهواء فى جوّ السماء حتى بلغت الى سطح الزمهرير وبردت هناك ووقفت واجتمعت وغلظت وتراكمت وصارت غيوما وسحابا وساقتها الرياح الى رؤس الجبال ووجوه القفار والبراريّ والقرى والسوادات والمزارع وهطلت هناك وابتلّت وجوه الارض وشربت التراب رطوبةَ الماء واختلطت اجزاءهما واتّحدت فاذا طلعت الشمس على وجه الارض وسخنتها حميت تلك الاجزاء المائيّة وخفّت واخذت ترتقى من قعر الارض الى وجهها وارتفعت معها تلك الاجزاء الارضيّة المتّحدة بها الى ظاهر سطح الارض ثم ان قوى النفس الكلّيّة البسيطة التى دون فلك القمر السارية فى الاركان تصوّر من تلك المادّة انواعَ النبات بفنون اشكالها والوان اصباغها كما يعملون الصُنّاع البشريّون فى اسواق المدن فنونَ المصنوعات من الهيولَيات الموضوعة فى صنائعهم المعروفة،

في قوى النفس النباتيّة

واعلم ان قوى النفس الكلّيّة البسيطة التي ذكرنا انها تعمل اجناس النبات وانواعها هي التي ذُكرت في كتب الانبياء انها ملائكة الله وجنوده الموكّلون ونحن نسمّي ما كان منها موكّلا بنبات النفس النباتيّة واعلم ان الله تع قد ايّد النفس النباتيّة بسبع قُوى فعّالة وهي القوّة الجاذبة والماسكة والهاضمة والغاذية والدافعة والمصوّرة والنامية واعلم ان كلّ قوّة من هذه القوى تفعل شيا خلاف ما تفعل قوّة اخرى في اجسام الحيوان والنبات فامّا اوّل فعلها في تكوين النبات فهو جذبها عصارات الاركان الاربعة ومصُّها لطيفها ما فيها من الاجزاء المشاكلة لنوعٍ نوعٍ من اصول النبات ثم امساكها لها بالقوّة الماسكة ثم نضجها لها بالقوّة الهاضمة ثم دفعها الى اطرافها بالقوّة الجاذبة ثم تغذيتُها لها بالغاذية ثم النموُّ والزيادة في اقطارها بالنامية ثم التصوير لها بانواع الاشكال والاصباغ بالمصوّرة وذلك ان القوّة الجاذبة اذا مصّت نداوة الماء بعروق النبات كما يمصّ الحجّام الدم بالمِحجمة او كما تمصّ النار الدُهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها الاجزاء الترابيّة اللطيفة لشدّة اتّحادها فاذا حصلت تلك المادّة في عروق النبات انضجتها الهاضمة وصارت كيموسا على مزاج ما مشاكلا لجرم العروق وتناولتها القوّة الغاذية والزقت بكلّ شكلٍ ما يلائمها من تلك المادّة وزادت في اقطارها طولا او عرضا او عمقا وما فضلت من تلك المادّة ولطفت ورقّت دفعتها الى فوق اصول النبات الى قضبانها واغصانها وجذبتها الجاذبة الى هناك وامسكتها الماسكة كيلا تسيل راجعةً الى اسفلها ثم ان القوّة الهاضمة تنضجها مرّةً ثانيةً وتغيّر مزاجها وكيفيّتها وصيّرتها مشاكلة لجوهر الاصول والفروع والاغصان وتكون مادّةً لها وزادت في اقطارها طولا وعرضا وعمقا وما فضلت منها ولطفت ورقّت دفعتها الى فوق

القضبان والاغصان وجذبتها الجاذبةُ الى هناك وامسكتها الماسكةُ كيلا تسيل راجعةً الى اسفل ثم ان القوّة الهاضمة تنضجها مرّةً ثالثةً وتغيّر مزاجها وصيّرتها مشاكلةً لجوهر النور والزهر واكمام الحبّ والثمر وتكون مادّةً لها وزادت فى اقطارها طولا وعرضا وعمقا وما لطفت منها ورقّت صيّرتْه مادّةً للحبّ والثمر وامسكتها هناك الماسكة٬ ثم ان القوّة الهاضمة تطبخها مرّة رابعة وتنضجها وتلطفها وتميّزها وتصير الغليظ والكثيف منها مادّةً لجوهر القشور والنوى وزادت فيها طولا وعرضا وعمقا وصيّرت اللطيف الصافى منها مادّة للّب والحبّ والثمر وهى الدقيق والدهن والشيرج والدبس٬

فهذه التى ذكرناها كلّها افعالُ النفس النباتيّة الخادمة للنفس الحيوانيّة المتوسّطة بينها وبين الاركان الاربع تتناول عروقُها عصارتَها نيّا فجّا ثم تصفّيها وتطبخها وتنضجها وتتناولها الحيوانُ غذاءً لطيفا صافيا لذيذا هنيئا مريا٬

ان النبات هو كلّ جسم يخرج من الارض ويغتذى وينمو فمنها ما هى اشجارٌ تغرس قضبانها او عروقها ومنها ما هى زروعٌ تُبذر حبوبُها او بزورها او ابصالها ومنها ما هى تتكوّن من اجزاء الاركان اذا اختلطت وامتزجت كالكلاء والحشيش وهذه الثلاثة الاجناس يتنوّع كلُّ جنس انواعا كثيرةً من جهات عدّة وصفات مختلفة٬ امّا الشجر فهو كلّ نبت يقوم على ساقه منتصبا اصلُه مرتفعا فى الهواء ويدور عليه الحول ولا يجفّ واما النجم هو كلّ نبت لا يقوم على ساقه مرتفعا فى الهواء بل يمتدُّ على وجه الارض او يتعلّق بالشجر ويرتقى معه فى الهواء بكلاليبه لئلا يُحمل عليه ثقلَ ثماره كشجر القَرع والقثّاء والبطيخ وما شاكلها٬ اعلم ان من الشجر ما هو تامٌّ كامل ومنها ما هو ناقص غير كامل فالتامُّ الكامل من الشجر ما كان له هذه التسعةُ اجزاء وهى الاصل والعروق

والقضبان والفروع والورق والنور والثمر والنحاء والصمغ والناقص منها ما ينقص واحدة من هذه او اكثر كشجرة الدُّلب وأُمّ غَيْلان والخلاف والطرفا وما شاكلها ممّا لا ثمرة لها او ما لا ورقة لها او ما لا نور لها او ما لا صمغ لها٬ واعلم ان من الاشجار التامّة ما هي اتمّ واكمل من بعض ويتفاضل في ذلك من جهات عدّةٍ فمنها ما هي من جهة اصولها وذلك ان منها ما يقوم على اصولها ويرتفع في الهواء ويتفرّع في الجهات كشجرة التين والتوت والجوز وغيرها ومنها ما يرتفع منتصبا في الهواء مفردا كشجرة النخل والسرو والصفصاف والقنا والساج وغيرها وهكذا حكم عروقها في الارض فان منها ما يُنزل عروقه في الارض كالاوتاد منتصبة ومنها ما يذهب في الجهات على استقامةٍ ومنها ما ينعطف ويتعوّج ويلتفّ ومنها ما يجاور بعضها بعضا في منابته ويزدحم ومنها ما ينفرد ولا ينبت بجنبها غيرُها٬ ومن النبات والشجر ما ورقه وثمره متناسبات في الكبر واللون والشكل واللمس كالأُتْرُجّ والنارنْج والليمون والكُمَّثْرى والتُّفاح وما شاكلها ومن النبات والشجر ما ثمرته وحبُّه غير متناسب لوزنه في الكبر مثل الرمان والتين والعنب والجوز والنخل وغيرها وذلك ان ثمرة شجر الاترج مدحّرج الشكل اخضر اللون ليّن اللمس مناسب لورقه والنارنج مستديرُ الشكل مناسبٌ لورقه والكُمثرى مخروط الشكل وكذلك ورقه والتفاح مستديرة الشكل وكذلك ورقه مثل شجرته فاما ثمرة الرمان فغير مناسبٍ في الكبر لورق شجرته وكذلك التين والعنب وغيرهما وعلى هذا القياس حكم حبوب النبات وبزورها منها ما هي متناسبةٌ ومنها ما غير متناسبة٬

واعلم ان اكثر النبات ينبت على وجه الارض الّا القليل منها فانه ينبت تحت الماء كالقصب النبطيّ والأُرزّ والنيلوفر وانواع من العكرش ومنها ما ينبت

على وجه الماء كالطحلب ومنها ما ينبت على الشجر والنبت كالكشوث ومنها ما ينبت على وجه الصخور كخضراء الدمن ومن النبات ما لا ينبت الا فى البلدان الدفئة ومنه ما ينبت فى البلدان الباردة ومنه ما لا ينبت الا فى التربة الطيّبة ومنه ما لا ينبت الا فى الرمال او بين الحصى والاحجار والصخور والارضين اليابسة ومنها ما لا ينبت الا فى الارضين السبخة الشورجة٬

اعلم ان اكثر العشب والنبات والكلاء والحشائش ينبت فى ايام الربيع لاعتدال الزمان وطيب الاهواء وكثرة الامطار المتقدّمة فى الشتاء واما الذى ينبت منها فى الفصول الثلثة فهى قليلة فمنها ما يزرعها الناس ويتعاهدون بالسقى كالحنطة والشعير والباقلا والعدس وغيرها مما يزرع فى الخريف ويحصدونها فى الربيع ومنها ما يزرع فى الشتاء ويدرك فى الربيع كالقثّاء والخيار والبادنجان وغيرها ومنها ما يزرع فى الخريف ويستحكم فى الشتاء كالجزر والشلجم والقُنّبيط واللُّفْت ومنها ما يزرع فى الصيف ويستحكم فى الخريف كالسمسم والذرّة والارز وغيرها ومنها ما يزرع فى الربيع ويستحكم فى الخريف كالقطن والقُنّب وغيرها٬

اعلم ان البارى عزّ وجلّ جعل اوراق النبات زينةً لها او دثارا لثمارها ووقايةً لحبوبها ونورها وزهرها من الحرّ والبرد المفرطَيْن ومن الرياح العواصف والغبار وشدّة وهج الشمس وجعلها ايضا ظلّا للحيوانات وكنّا لها وسترا ووطأً وغذاء ومادّةً لاجسادها وادوية ومنافع كثيرة وهكذا حكم ثمارها وحبوبها وبزورها ولحائها وعروقها واصولها ولبّها وقضبانها وفروعها كلّ واحد من هذه الانواع ذو منافع كثيرة٬

واعلم ان بين اوراق الشجر والنبات وبين ثمرها وحبوبها وازهارها وانوارها

مناسبات ومشاكلات ومباينات ومتفاوتات في الصغر والكبر والسعة والضيق والثخن والرقة والشفف والكمودة واللين والخشونة والصلابة والرخاوة واللون والطعم والرائحة والشكل والصعودة والازدواج والانفراد وغير ذلك٬ واعلم ان من اوراق الشجر والنبات ما هو مستطيلُ الشكل مخروط الرأس مدوّر الاسفل ومنها مستديرُ الشكل ومنه صليبيّ الشكل ومنه سفطيٌّ الشكل ومنها طيلسانيٌّ الشكل ومنها ما هو سبوريٌّ الشكل ومنه زيتونيٌّ الشكل ومنها حاموىٌّ الشكل ومنها ذو الاصابع مقسوم بنصفين ومنه مثلّثات ومنها مزدوجات ومنه متقبلات ومنه منفردات متجانبات ومنها واسع عريض طويل ومنه ضيّق العرض قليل الطول ومنه ثخينٌ ليّن ومنه غليظ خشن ومنه دقيق املس شفّاف ومنها طيّب الرائحة ومنه منتن الرائحة ومنه مرُّ الطعم ومنها حلْو الطعام وغيرها من الطعوم واكثر الوان ورق النبات اخضر ولكن منها مصبّغ اللون ومنه مغبرّ اللون ومنه صافي اللون ومنه كدر اللون ومنها ما لونُ ظاهره خلافُ لون باطنه وهكذا حكم ثمرها وحبوبه وبزورها وانوارها وازهارها كلُّ ذلك لعلل واسباب ومآرب وذلك ان من الثمر ما قشرته رقيقة نسجُه حريريّة صفيقة ومنه ما قشرته غليظة نسجه وليفتها موّرنة او غضروفيّة او خزفيّة يبسة او شبكيّة مربّعة او واسعة نسجه درفسية ثخينة حملُه٬ ومن الثمر ما في جوف قشرته شحمةٌ جمدة او رطوبة سيّالة او عذبة او حلوة او عفصة او مُرّة او ملحة او مززة او تفهة او حامضة او دهنيّة دسمةٌ ومن الثمر ما في جوف شحمته نواةٌ مستديرة الشكل او مستطيلة او مخروطة او مصمّتة او جوفة وامّا المصمّتة ما في داخله لُبّة دسمة او مرّة او حلوة او طعم اخرُ من الطعوم التسعة ومن الثمر ما في جوف شحمته حُبٌّ صغار او

كبير صلب او رخو عليها رطوبة لزجة او يكون حبّه صلبة مختلفة الاشكال واما المجوّفة ما في داخلها لبٌّ او تكون فارغة٬

واعلم ان بين اوراق الشجر والنبات وبين ثمارها وحبوبها وانوارها وازهارها مناسبات متشاكلات في الصغر والكبر ومبايَنات متعاديات من جهات عدّةٍ فمنها من جهة الصورة والشكل ومنها من جهة الطعم واللون والرائحة ومنها من جهة اللين والخشونة والصلابة والرخاوة ومنها من جهة الصغر والكبر والسعة والضيق والثخانة والرقّة والشفيف والازدواج والانفراد وغير ذلك مما يطول شرحه٬ كلّ ذلك لعللٍ واسباب ومآرب لا يعلم كنهها الا الله تع الذى خلقها وابدعها كما علمها ولكن نذكر طرفا من ذلك ونخبر بعللها الهيّولانيّة واسبابها الصوريّة واغراضها التميميّة ليكون دليلا على البقيّة وليكون ايضا ارشادا لقلوب المتحيّرين الذين يظنّون انها ليست بصنع صانع حكيم ولا قصد قاصد بل باتّفاقٍ وينسبونها الى الطبيعة ولا يدرون ما الطبيعة او الى النجوم والافلاك ولا يدرون كيف ذاك ولِمَ ذاك٬

في الثمار

واعلم ان من الثمار ما هو طويل الشكل مدحرج الخِلقة مختلف الالوان على نواته قشرةٌ لطيفة رقيقة حريريّة ليّنةُ اللمس صلبةُ النسج وعلى هذه النواة قشرة صلبة متشبّثة بالثمرة عليها قشرة صلبةٌ ملْساء وعلى ظهر النواة نقرةٌ وفي الجنب المقابل حفرة مستطيلة فيها حشوٌ ليفيٌّ وعلى رأس الثمرة من خارج قمعةٌ عليها شظيّات متفرّقة متشبّثة بالثمرة ومدّة هذه الثمرة قبل النضج عفصة وبعد النضج حلوة لزجةٌ وهو التمر٬ ومن الثمار ما شكله مستديرٌ وخلقته كبيرة عليه قشرة ليفيّة ثخينة مجوّفة من داخل واسعة فيها خزائن

مقسومة فيه دعاص متسنمة عليها حبوب مرصعة اشدّتها مخروطة في جوف تلك الحبوب نواة حريفة رخوة وفي داخلها نبّة دسمية وفي اسفل الثمرة من خارج فتحة مستديرة فيها غشوة ليفيّة عليها شظيّات ثابتة وتريّة حولها شرفات قائمة مخروطة وهو ثمر الرمان٬ ومن الثمر ما شكله مستدير املس وشحمته ثخينة في جوفه نواة مستديرة حسنة اللمس في داخل النواة لبّة دسمة وهو النبق٬ ومن الثمر ما شكله مستدير سفطيّ عليه قشرة ليفيّة ثخينة في داخلها قشرة اخرى خزفيّة صلبة مجوّفة فيها خزائن مقسومة فيها لبّة دسمة عليها قشرة رقيقة بينها حجّب متجزع اقسامها مهندمة واذا فصلت هذه الثمرة انفصلت بنصفين دسفينتين وهي ثمرة الجوز٬ ومن الثمر ما شكله مخروط سفطيّ عليه قشرة ليفيّة في داخلها قشرة خزفيّة صلبة فيها ثقب نافذة فيها فتائل ليفيّة وفي داخل هذه القشرة لبّ ودسم عليه قشرة رقيقة صلبة وهو ثمر اللوز٬ ومن الثمر ما ليس له نواة وعليه قشرة لحميّة وشكله مخروط صنوبريّ وفي اسفله ثقبة مستديرة وفيها شظيّات زرديّة وفي جوف هذه الثمرة حبوب صغار رخوة وطعم مدّتها قبل النضج لبن ابيض غليظ حادّ محرق وبعد النضج طعمها حلو وهي ثمرة التين٬

ومن الثمر ما شكله مختلف مستدير ومستطيل ومدحرج ومخروط وهي مختلفة الالوان اسود واحمر واصفر وابيض واغبر عليها قشرة رقيقة صلبة ملساء ملتزقة بشحمها وفي جوف شحمها حبوب مختلفة الاشكال زيتونيّة وقمعيّة ومضاعفة ومنفردة ومزدوجة ثلثة او اربعة خزفيّة وعظميّة منها صلبة ومنها رخوة وفي جوف تلك الحبوب لبّ ودسم ومدّة شحمتها قبل النضج حامضة وقبل ذلك عفصة وبعد النضج كلّها حلو وهي ثمرة الاعناب٬

ومن الثمار ما اشكاله مخروطة او صدفيّة عليها قشرة رقيقة ملتزقة بشحمتها وهي غليظة ثخينة وفي داخلها نواة خزفيّة اشكالها صدفيّة داخلها املس فيها لبّ دسم والوان هذه الثمار مختلفة وطعمها عذب حلو ومرٌّ وحامض وقبل النضج كلّها عفصة وهو الإجّاص والمشمش والخَوْخ وامثالها٬

ومن الثمار ما اشكالها كريّة ومستطيلة او مدحرجة وعليها قشور لحميّة غليظة طعم شحمتها حامض وفي داخلها حبٌّ على دعيمر مرصّفة تشبه البرد في ما بين خللها لحميّة طعمها حامض والوان قشورها خضر وحمر وصفر ومادّتها قبل النضج عفصةٌ مثل الاترج والنارنج والليمون وما شاكلها ومن الثمر ما هو حبّه صغير وفي داخله نواةٌ خزفيّة وفي جوفها لبّة دسمة مثل حبّة الخضراء والسماق وحبّ الصنوبر ومن الثمر ما لا ينضج مثل البلّوط والعفْص وثمرة الاهليلج والسرو٬

اعلم ان البارى الحكيم لمّا ابدع الموجودات واخترع الكائنات جعل اصولها كلّها من هيولى واحدة وخلق ما بينها بالصور المختلفة وجعلها اجناسا وانواعا مختلفة متفنّنة متباينة وفرق بين اطرافها وربطها اوائلها باواخرها رباطا واحدا لما فيه من احكام الصنعة واتقان الحكمة لتكون الموجودات كلّها عالَمًا واحدا منتظما نظاما واحدا وترتيبا واحدا دالّا على صانعٍ واحد٬

[واما ترتيب المولّدات ونظامها التي هي دون فلك القمر وهي اربعة اجناس المعدن والنبات والحيوان والانسان فهو موجود في الصفحة السبعة عشر من هذا الكتاب٬

في شجرة النخل والتين والعنب٬

فامّا شجرة النخل فانه كثير العروق الدقيقة بطئُ النشو طويل العمر منتصب الارتفاع مستدير الاصل مسدّس مخرج السّعَف مستطيل الاوراق

مزدوج متقابل وهو رخو الجرم متخلخل ترتيب الجسم محشوّ خلله بزبد رخو ملتفّ حوله على اصول سعفه ليفٌ منسوجةٌ، ويحتاج هذا الجنس من النبت الى المواد الكثيرة لكبر جثّته وعظم جرمه وطول قمّته وكثرة عدد سعفه واوراقه اما علّة كثرة عدد عروق هذه الشجرة فهي لكيما تجذب بها القوّة الطبيعيّة الجاذبة المواد الكثيرة وذلك لشدّة حاجته اليها لعظمه كما ذكرنا لكيما تستعمل الطبيعة تلك المواد بعضها في جرم عروقه طولا وعرضا وعمقا وتستعمل بعضها في جرم سعفه مثل ذلك وبعضها في جرم اوراقه مثل ذلك وبعضها في ليفه وبعضها في جرم اكمام طلعه وبعضها في جرم قنواته وبعضها في جرم نواة ثمرته وبعضها في لحم ثمرته ودبسه وشيرجه،

واما العلّة في ان جُعل ترتيبُ جرم اصله رخصا رخوا متخلخلا لكيما يسهل على القوى الطبيعيّة جذبُ تلك المواد من اسفله الى اعاليه ورؤوس اجذاعه وفروع سعفه واوراقه فلو كان جرم اصله صلبا متكاثفا مكتنزا كسائر الاشجار الطوال كالساج والدلب والسرو لعسُر على القوى الطبيعيّة جذبُ تلك المواد الى هناك،

ولكثرة عدّة عروق شجرة النخل علّةٌ اخرى وذلك ان اصل جرمه لما كان مركّبا من قضبان كانها خيوط مجتمعة متداخلة جعل لكلّ خيط منها عرق ممتدّ في الارض يمتصّ بها تلك المواد بذلك الخيط مفردا ليسهل على الطبيعة تقسيم تلك المواد على تلك القضبان من اوّل الامر ولما كان ترتيب جرم شجر النخل على ما ذكرنا من الرخوة والتخلخُل القت عليه الطبيعة سعفا من الليف على اصول مخارج سعفه من اجذاعه كانها مآزر مشدودة على وسط جمل مشمّر كلّ ذلك لكيما تسكن اصول تلك السعفات على جذوعها ولا

ينفصل عنها عند هزّ الريح العاصفة لها ولا تنصدع تلك الاجذاع من ثقل اعاليها على سافلها عند ميلانها يمنة او يسرة عند تحريك الريح لها٬ واما السبب الذى من اجله جُعل على الطلع الغلافُ فلانه يحفظه ويصونه من الآفات العارضة من البرد المفرط والمطر الشديد والرياح العاصفة والغبار وما شاكل هذه الاشياء المضرّة له فلانه يخرج رطبةً نديّة رخصة رخوة فاذا استمسكت واشتدّت انشقّت تلك الاكمام والغلف عنها وظهرت لنسيم الهواء وحرارة الجوّ لتربوَ وتسمن وينضجها حرارة الشمس وتصير بُسُرا ورطبا جنيّا متضمّنا ثم يجفّ ويصير تمرا ودبسا جامدا٬

واما النسجة الحريريّة النسج التى على نواته فجُعلت تلك حاجزةً بين جرم النواة ودبس الثمرة لئلّا يمصّ عفوصةُ جرم النوى دبسَ الثمرة ولئلا يمصّ دبس الثمرة عفوصةَ جرم النواة وغلظ جوهرها وشيرجها لان من طبع جواهر الاجسام الارضيّة ان تشرب نداوة الرطوبة الرقيقة الدهنيّة وتمصّها ولو لا يجعل تلك الغشاوة الرقيقة الحريريّة النسج هناك لاختلط دبسُ الثمرة مع جرم نواتها وقلّ الانتفاع بها٬ واما النقرة المستطيلة فى جرم نواة الثمرة والفتيلة التى فيها جعلت تلك ليجرى فيها تلك الموادُّ من اوّلها الى آخرها وتجمد اوّلا فاوّلا واما النقرة التى على ظهرها جعلت تلك بابا ومخرجا عند الغرس ومن هناك يخرج العرق النازل فى الارض ليجتذب الموادّ وتمتصّ النواةُ النداوةَ والرطوبة من المغرس ومن هناك تخرج الورقة اللطيفة التى تبدو اوّلا وتظهر من الارض عند الغرس ثمّ تصير اصلا وجذعا على ممرّ الايام وطول الازمان٬ واما الاقماع التى على رؤس الثمرات فجعلت تلك مصفاة للموادّ التى تجذبها القوّة الطبيعيّة الى هناك وتميّز الغليظ من اللطيف وترسل اللطيف

الرقيق الى ظاهر جرم الثمرة وتجمدها عليه دبسا وشيرجا وترسل الغليظ الى جرم النواة وتجمدها عليه٬

واما باقي الثمار كالجوز واللوز والفستق واشباهها فيفعل الطبيعة مثل هذا التمييز سواء ولكنها ترسل الغليظ الى ظاهرها واللطيف الرقيق الى باطنها بالعكس مما تفعل في ثمرة التمر٬

واما في ثمرة التين والجمّيز فلم يميّز لطيفها من غليظها لان موادّها ويبوستها معتدلة ليس بين الاجزاء الارضيّة وبين الاجزاء المائيّة فيها كثير تفاوت فلم يحتج الطبيعة الى تمييزها وتفصيلها مثل ما فعلت في ثمرة التمر والجوز وما شاكلها من سائر الثمار بل قد ميّزت الطبيعة تلك المادّة وقد اخر فجعلت في داخل التمر وقضبانها وورقها فهي على غير تركيب شجرة النخلة لان لها حبّا صغرا وعلى خارجها قشرة رقيقة صيانةً لرطوبتها من الغبار والندى وايضا عروقها وجرم اصولها وقضبانها وورقها وثمرها فهي على غير تركيب شجرة النخلة وذلك ان عروقها غلاظ ذاهبة تحت الارض في الجهات مستقيمةً ومعوجّة وفي عمقها تجويفات مثل ما في جوف القصب لكنها اضيق قليلا٬ وهكذا تركيب اصول شجرة التين وقضبانها وفروعها فيها تجويفات لطيفة ولها عُقَدٌ مثل عقد القصب وفي تلك التجويفات مزائدُ محشوّ بها خللها واما سببُ تلك التجويفات التي في عروقها واصولها وقضبانها فهو ليسهل على القوّة الطبيعيّة الجاذبة لتلك الموادّ ان تجذب من عمق الارض التي هي الاجزاء الارضيّة ورطوبات مائية الى اصول شجرها وترفعها من اسفلها الى اعلاها واطرافها وفروعها وجعلت تلك العقد في مواضع من تلك التجويفات وحُشيت بمزائد لكيما تسهل على القوّة الماسكة امساك تلك الموادّ هناك لئلّا ترجع الى

اسفل لثقلها وتبقى هناك لتهضمها القوّة الهاضمة وتستعملها القوّة الغذية وتزيد فى جوهرها اعنى فى اجزائها واطرافها طولا وعرضا وعمقا القوّةُ النامية٬

واما شجرة العنب فقد ركّب جرم اصولها وجسم قضبانها تركيبا غير تركيب شجر النخل والتين واما عروقها فقد ذهبت تحت الارض ممتدّةً فى الجهات دقاقا وغلاظا وفيها تجويفات مثل ما فى عروق شجر التين ولكن جرم اصولها يمتدّ طويلا دقيقا على وجه الارض ولا يكاد يقوم على ساقه مرتفعا فى الهواء كثيرا كغيرها من الاشجار وعلى ظهر قضبانه عقدٌ وانابيب ظاهرة وفيه تجويفات محشوّة زائدا مثل قضبان شجر التين وعليها ليفٌ للغرض الذى ذكرناه منتسجة رخوة سهلة سلسة وعند عقد قضبانها تخرج شظيّات ليّنة مثلّثة تلتفّ على الاشجار وتتعلّق بها وترقى عليها لتحمل عنها ثقلُ ثمرتها لما كانت اصولُها دقيقةً لا تطيق حملها وتخرج ثمرتها حبّاتٍ مجتمعة متجاورة متعلّقة تغطّيها ورقة واحدة على عناقيدها غير محتاجة الى غلاف او الى اكمامٍ تصونها من الآفات مثل ما يحتاج ثمرة النخل لان مادّتها غليظة صلبة عفصة لا يعرض لها الآفات كما تعرض لثمرة النخل لانها تخرج رخوةً رخصة نديّة ترفة تسرع اليها الآفات واما ترى ثمرة العنب وحبّتها اذا نضجت تبيّن عليها قشرة دقيقة حريريّة النسج جعلت تلك لحفظ رطوبتها ودبسها وشيرجها من الآفات العارضة من الرياح والغبار وحرارة الشمس ان تنشف تلك الرطوبات او تحلّلها كما تفعل بالمياه المستنقعات وجعل فى وسط لحمها عجمات صلبة خزفيّة مجوّفة فى داخلها لبٌّ دسم وهو بزر العنب وبذرُه٬

وانما لم تحتج الى ان يكون بين تلك العجمات غشاوةٌ رقيقة مثل ما بين نواة التمر ودبسها كما ذكرنا قبلُ لان تلك العجمات وان كانت جواهر ارضية

عفصة فهى صغر وهى ايضا رخوة ليست صلابتها كصلابة نواة التمر وغلظ جوهره، وعلّة اخرى انها مجوّفة ان باطنها لبّ دسم ولم تخف الطبيعة من ان تنشف تلك الحجمات شيرجَ العنب فلم يُجعل بينها حاجزٌ كما جُعل فى خلقة التمر، وعلّة اخرى ايضا ان دبس العنب وشيرجها كثيرٌ بالاضافة الى تلك الحجمات،

وليس حكم جرم نواة التمرة ودبسها كحكم نبات يحتاج الى بزر يُزرع وبزر يُحفظ لانها ليست مثل ذلك بل جرم نواتها بالاضافة الى دبسها وشيرجها كثيرٌ،

فان قال قائل وظنّ متوهّم ان الاشجار تغرس وليست تحتاج الى بزر يزرع وبزر يحفظ الى وقت الحاجة اليها فما الحكمةُ فى كون حجمات العنب وحبّات ثمرة التين وغيرها فى جوفها فليعلم هذا القائل ان الحكمة الالاهيّة والعناية الربّانيّة لم يذهب عليها هذا المقدارُ من العلم ولكن خفى عليك ذلك السبب الخ،

وتاثيراتُ الطبيعة فى الثمار النضجُ وهو طبخ الحرارة الغريزيّة لرطوبات الهيولى التى فيها فاذا لم تقدر على ذلك فيعرض من ذلك عُقر بزورات النبات، وبزور الزرع كلّها حارّة رطبة وحرارتُها اكثرُ من رطوبتها اذا احتوت عليها الحرارة اختنقت البرودة فى بطن الاجسام واحرقتها كانفحة تجمد اللبن الحليب بفضل حرارةٍ فيها وفى الحرارة قوّةٌ جذبة تجذب الرطوبات اليها وتغتذى بها وتعيش ما دامت مادّتها والحرارة هى الفاعلة والرطوبة هى الهيولى لها، من اجل ان المحرّك الاوّل واحدٌ كان كلُّ كائن من مبدا واحد واوّل ما ينشعب من مُخّ القلب فى الحيوان عرقان اثنان واحدٌ الى اعلى البدن واخر الى اسفله ومن بزور النبات عرقان اثنان واحد ينزل واخر يصعد الى فوق،

فى اوصاف الحيوانات وعجائب هياكلها وغرائب احوالها

اعلم يا اخى ان من الحيوانات ما هي تامّةُ الخلقة كاملة الصورة كالتى تنزو وتحبل وتلد وترضع ومنها ما هي ناقصة الخلقة كالتى تتكوّن فى العفونات كالحشرات والهوامّ ومنها ما هي بين ذلك كالتى تسفد وتبيض وتحضن وتربّى ٬ واعلم ان الحيوانات الناقصة الخلقة متقدّمة الوجود على التامّة الخلقة بالزمان فى بدو الخلقة وذلك انها تتكوّن فى زمان قصير والتى هي تامّةُ الخلقة تتكوّن فى زمان طويل ونقول ايضا ان حيوان الماء وجودُه قبل حيوان البرّ بالزمان لان الماء قبل التراب والبحر قبل البرّ فى بدو الخلق ٬ ان الحيوانات التامّة الخلقة كلّها كان فى بدو كونها من الطين اوّلا ذكرا وأُنثى ثمّ توالدت وتناسلت وانتشرت فى الارض سهْلا وجبلا وبرّا وبحرا من تحت خطّ الاستواء حيث يكون الليل والنهار متساويَيْن والزمان ابدا معتدل هناك فى الحرّ والبرد والموادّ المتهيّئة لقبول الصورة موجودةٌ دائما وهناك كان تكوينُ ادم ابى البشر وزوجته حوى ٬

اعلم ان الحيوانات كلّها متقدّمةُ الوجود على الانسان بالزمان لانها له ومن اجله وكُلّ شىء هو من اجل شىء اخر فهو متقدّم عليه فى الوجود هذه الحكمة فى اوّليّة العقل لا تحتاج الى دليل مثل المقدّمات ونتائجها لانه لو لم يتقدّم وجود هذه الحيوانات على وجود الانسان لمّا كان للانسان عيش هنىّ ٬

واعلم يا اخى ان النبت منكوسة الانتصاب الى اسفل لان رؤسها نحو مركز الارض ومؤخّرها نحو محيط الافلاك والانسان بالعكس من ذلك لان رأسه ممّا يلى الفلك ورجليه ممّا يلى الارض والحيوانات متوسّطة بين ذلك لا منكوسة

كالنبات ولا منتصبة كالانسان بل رؤسها الى احد الآفاق ومؤخرها الى مقابلة من الافق الاخر وهذا الوضع امر الاهي ؛

واعلم بان الحيوان هو جسم متحرك حساس يغتذي وينمى ويحس ويتحرك حركة مكانية وان من الحيوان ما هو في اشرف المراتب مما يلى رتبة الانسانية وهو ما كان له الحواس الخمس والتمييز والتدقيق وقبول التعليم ومنها ما هو في ادون المراتب مما يلى النبات وهو كل حيوان ليس له الا حاسة واحدة وهي اللمس حسب كجنس الديدان كلها التي تتكون في الطين او في الماء او في الخل او في الثلج او في لب الثمر او في الحب او في لب النبات والشجر او في اجواف الحيوانات الكبار وما اشبهها ؛ وهذا الجنس من الحيوان اجسامه رخوة لحمية وابدانها متخلخلة وجلدها رقيق وهي تمتص المادة بجميع بدنها بالقوة الجاذبة وتحس باللمس وليست لها حاسة اخرى الا الذوق ولا الشم ولا السمع ولا البصر غير اللمس فحسب فهو شيء سريع التكوين وسريع الهلاك والفساد والبلى ومنها ما هي اتم بنية واكمل صورة وهي كل دودة تتكون وتدب على ورق الشجر ونورها وزهرها لها لمس وذوق ومنها ما هي اتم واكمل وهي كل حيوان له لمس وذوق وشم وليس له سمع وهي الحيوانات التي تعيش في قعر المياه والمواضع المظلمة ومنها ما هي اتم واكمل وهي كل حيوان من الهوام والحشرات يدب في المواضع المظلمة له ذوق ولمس وشم وسمع وليس لها بصر فباللمس قوام حيوتها وبالذوق تمييز الغذاء من غيره وبالشم تعرف مواضع الغذاء من القرب وبالسمع تعرف وطء المؤذيات فتحترز قبل الورود والهجوم عليها ولم يجعل لها البصر لانها تعيش في المواضع المظلمة فلا تحتاج الى البصر لان لو كان لها البصر لكان ذلك وبالا عليها بحفظها من اغماض العين من القذى لان

الحكمة الالاهيّة لم تعط الحيوان عضواً ولا حاسّة لا تحتاج اليها ولا تنتفع ومن الحيوان ما هو اتمّ بنيةً واكمل صورةً وهي ما لها الحواسّ الخمس كاملةً وهي اللمس والذوق والشمّ والبصر والسمع ثم يتفاضل في الجودة والرداءة٠

ومن الحيوانات ما يتدحرج كدود الثلج ومنها ما يزحف كذوات الصدف ومنه ما ينساب كالحيّات ومنها ما يدبّ كالعقارب ومنها ما يعدو كالفأر ومنها ما يطير كالذباب والبقّ ومنها ما يمشي ويدبّ ومنها ما له رجلان ومنها ما له اربع ارجل ومنها ما له ستّ ارجل ومنها ما له ارجلٌ كثيرة كالسرطان ومما يطير من الحشرات ما له جناحان ومنها ما له اربعة اجنحة ومنها ما له ستّ ارجل واربعة اجنحة ومشفر ومخاليب وقرون كالجراد ومنها ما له خرطوم كالبقّ ومنها ما له مشفر وحمة كالزنابير ومن الهوامّ والحشرات ما له فكرة ورويّة وتمييز وتدبير وسياسة مثل النمل والنحل يجتمع جماعات منهم ويتعاونون على امر المعيشة ويتّخذ المنازل والبيوت والقرى ويجمع الذخائر والقوت للشتاء ويعيش حولاً وما زاد على ذلك وما كان غير هذين من الهوامّ والحشرات مثل البقّ والبراغيث والذباب والجراد وامثالها فانها لا تعيش حولاً كاملاً لانه يهلكها الحرّ والبرد المفرطان ثم يتكوّن في العام القابل مثلها٠

ومن الحيوان ما هو اتمّ بنية عمّا ذكرنا واكمل صورة وهي كلّ حيوان بدنه مؤلّف منها مفتنة الهيئات من الطول والقصر والدقّة والغلظ والاستقامة والاعوجاج كلّها مؤلّفة بمفاصل مهندمة التركيب مشدودة الاعصاب والرباطات محشوّة الخلل باللحم منسوجة بالعروق محصّنة بالجلد مغطّاة بالشعر او بالوبر او الصوف او الريش او الصدف او الفلوس وفي بطون اجسادها اعضاء رئيسة كالدماغ والرئة والقلب والكبد والطحال والكليتين والمثانة والامعاء والمصارين والاوراد والمعدة

والكرش والحوصلة والقانصة وما شاكلها وفى ظاهر البدن ارجل وايد واجنحة وذنب ومخاليب ومناقير والحافر والظلف والخفّ وما شاكلها كلّ ذلك لمآرب شتى وخصال عدّة ومنافع جمّة لا يحصيها الا الله الذى خلقها وصوّرها وانشأها واتمّها واكملها وبلّغها الى اقصى مدى غاياتها وتمام نهاياتها هذه كلّها اوصاف الانعام والبهائم والسباع والوحوش والطيور والجوارح وبعض حيوان الماء وبعض الهوامّ كالحيّات'

والانعامُ كلّ ما له ظلف مشقوق والبهائمُ كلّ ما كان له حافر والسباعُ ما كان له انياب ومخاليب والوحوشُ ما كان مركّبا من ذَيْنك والطيورُ ما كان له اجنحة وريش ومنقار والجوارحُ ما كان له منقار مقوّس ومخاليب منعقفة وحيوان الماء ما يقوم فيه ويعيش والحشرات ما يطير وليس له ريش والهوامّ ما يدبّ على رجلَيْن او اربع ارجل او يزحف او ينساب على بطنه او يتدحرج على جنبه'

واعلم ان الحيوانات الكبيرة الجثّة العظيمة البنية التى لها عظام كبار وجلود ثخان واعصاب غلاظ وعروق واسعة واعضاء كثيرة مثل الفيل والجمل والجاموس وغيرها تحتاج ان تمكث فى الرحم زمانا طويلا الى ان تولد لعلّتين اثنتين احداهما كيما يجتمع فى الرحم تلك الموادّ التى تحتاج اليها الطبيعة فى تتميم البنية وتكميل الصورة والعلّة الاخرى كيما يدور الشمس فى الفلك فتقطع البروج المثلّثات المشاكلة الطباع وتنحطّ من عند قوى روحانيّات الكواكب الى عالم الكون التى تحتاج اليها فى تتميم البنية قوى النفس النامية النباتيّة وقوى النفس الحيوانيّة الحاسّة ليقبل كلّ جنس من الكائنات والمولّدات ما له ان يقبل من تلك القوى كما بيّنّا طرفا من ذلك فى رسالة مسقط النطفة'

واعلم ان ابدان الحيوانات التامّة الخلقة العظيمة الصورة كلّها كُوّنت في بدو الخلق ذكرا وانثى من الطين تحت خطّ الاستواء حيث يكون الليل والنهار هناك متساويَيْن والحرّ والبرد معتدلين والمواضعُ للكيفيّة من تصاريف الرياح موجودةٌ والموادُّ الكثيرة متهيّأةٌ لقبول الصورة ولما لم يكن في الارض مواضع موجودةً بهذه الاوصاف الا هذه حصلت ارحام اناث هذه الحيوانات على هذه الاوصاف من اعتدال الطبائع لكيما اذًا انتشرت في الارض وتناسلت وتوالدت حيث كانت٬

واكثر الناس يتعجّبون من كون الحيوانات من الطين ولا يتعجّبون من كونها في الرحم من ماء مهينٍ وهي اعجب في الخلقة واعظم في القدرة لان من الناس من يقدر ان يصوّر حيوانا من الطين او من الخشب او من الحديد والنحاس كما هي موجودة مشاهدة في ايدي الناس من خلقة الاصنام ولا يمكن لأَحد ان يصوّر حيوانا من الماء لان الماء جسم سيّال لا يتماسك ولا يتماسك فيه الصورةُ وتكوين هذه الحيوانات في الارحام او في البيض من ماء مهين اعجب في الخلقة واعظم في القدرة من كونها من الطين وايضا ان اكثر الناس يتعجّبون من خلقة الفيل اكثرَ من تعجُّبهم من خلقة البقّة وهي اعجب خلقةً واظرف صورة من الفيل مع كبر جثّته له اربعُ ارجل وخرطومٌ والبقّةُ مع صغر جثّتها لها ستّ ارجل وخرطوم واربعة اجنحة وذنب وفم وحلقوم وجوف ومصارين وامعاء واعضاء اخر لا يدركها البصر وهي مع صغر جثّتها مسلّطة على الفيل بالاذيّة والفيل لا يقدر عليها وايضا ان الصانع البشريّ يقدر ان يصوّر فيلا من الخشب او الحديد او غير ذلك ولا يقدر احدٌ من الصنّاع ان يصوّر بقّةً لا من الخشب ولا من الحديد بكمالها٬

وايضا فان دون الانسان من النطفة بدنا ثم في الرحم جنينا ثم في المهد رضيعا ثم في المكتب صبيا ثم في تصريف امور الدنيا رجلا حكيما اعجبُ احوالا واعظم اقتدارا من خروجه من اتراب قبره يومَ القيامة وخروج الناس كلّهم كانهم جراد منتشر وهكذا ايضا مشاهدةُ خروج عشرين فرخا من تحت حضن دجاجة واحدة او ثلاثين درّاجا من تحت درّاجة واحدة ينقض عنها قشور بيضها في ساعة واحدة وعدْو كلّ واحدة في طلب الحبّ وفرارها وهربها من الطالب لها حتى ربّما لم يُقدر عليها اعجبُ من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة فما الذي يمنع المنكرين من الاقرار بذلك وهم يشاهدون مثلَ هذه التي هي اعجب منها واعظم في القدرة لولا جريانُ العادة بها'

اعلم بان ابدان الحيوانات التامّة الخلقة والناقصة الخلقة جميعا مركّبةٌ مؤلّفة من اعضاء مختلفةِ الاشكال ومفاصل مقنّنة الهيآت كالراس واليد والرجل والظهر والبطن والقلب والكبد والرئة وغيرها كلُّ ذلك لاسبابٍ واغراض لا يعرف كنهَ معرفتها الا اللهُ ولكن نريد ان نذكر منها طرفا لنبيّن صحّة ما قلنا'

وذلك انه ما من عضو في ابدان الحيوان صغيرا كان او كبيرا الّا وهو خادمٌ لعضو اخر او معين له اما في بقائه وتتميمه او في افعاله ومنافعه مثال ذلك الدماغ في بدن الانسان فانه ملك الجسد ومنشأُ الحواسّ ومعدن الفكر وبيت الرؤية وخزانة الحفظ ومسكن النفس ومجلس العقل فان القلب خادم الدماغ ومعينه في افعاله وان كان هو اميرَ الجسد ومدبّر البدن ومنشأُ العروق الضوارب وينبوع الحرارة الغريزيّة ويخدم القلبَ ويعينه في افعاله ثلاثةُ اعضاء اخر وهي الكبد والرئة والعروق الضوارب وهكذا ايضا حكم الكبد بيت الشراب يخدمه ويعينه في افعاله خمسة اعضاء اخر وهي المعدة والاوردة والطحال

والمرارة واللليتان وهكذا ايضا حكم الرئة بيت الريح يخدمها ويعينها فى افعالها اربعة اعضاء اخر هى الصدر والحجاب والحلقوم والمنخران وذلك ان من المنخرين يدخل الهواء المستنشق الى الحلقوم ويعتدل فيه مزاجه ويصل الى الرئة ويتصفى فيها ثم يدخل الى القلب ويروّح الحرارة الغريزيّة هناك وينفذ من القلب الى العروق الضوارب ويبلغ الى سائر اطراف البدن وهو الذى يسمّى النبض ويخرج من القلب الهواء المحترق الى الرئة ومن الرئة الى الحلقوم ومن الحلقوم الى المنخرين او الى الفم والصدر يخدم الرئة فى فتحه لها عند استنشاق الهواء وضمّه ايّاها عند خروج النَفَس والحجاب يحفظ الرئة من الآفات العارضة لها عند الصدمات والدفعات واضطراب احوال البدن وهكذا حكم الكبد تخدمه المعدة بانضاج الكيموس قبل وصوله له وتخدمه الاوردة بمصّها وايصالها اليه ويخدمه الطحال بجذب عكر الكيموس الغليظ المحترق منه الى نفسها ويخدمه المرارة بجذبها المرّة الصفراء الى نفسها وتصفية الدم منها وتخدمه الكليتان بجذب الرطوبة الرقيقة اللبّنة المائيّة الى نفسها وهو الذى يكون منه البول ويخدمه العروق المجوّفة بجذب الدم اليها وايصاله الى سائر اطراف الجسد الذى هو مادّة لجميع اجزاء البدن وهكذا يخدم المرئ الاسنانُ والفم والمعدة وذلك ان الفم بابُ الجسد الذى يدخل فيه الطعام والشراب الى عمق الجسد والاسنان تخدمه بالطحن والدقّ والمرئ يزدرد ويبلغ ويوصّله الى المعدة والامعاء تجذب الثفل وتخرجه من الجسد وعلى هذا المثال والقياس ما من عضوٍ فى بدن الحيوان الا وهو يخدم البدن فى افعاله ويخدمه عضوٌ آخر ويعينه فى افعاله والغرض الاقصى منها كلّها هو بقاء الشخص وتتميمه وتبليغه الى اكمل حالاته اما لذاته او لبقاء نسله اطوَل ما يمكن فى جنسٍ جنسٍ ونوع

نوع وشخص شخص والله اعلم٬

اعلم بان الحيوان ما هو اخرس لا نطق له ولا صوت كالسلحفاة والسرطان والسمك وبالجملة اكثر حيوان الماء الا القليل مثل الضفدع والرانيا ومنها ما له صوت وهو كل حيوان يستنشق الهواء ويتنفّس ومنها ما لا يتنفّس ويسمع له دويّ وطنين وزمير كالبقّ والذباب والزنابير والصراصر والجراد وما شاكلها ويكون ذلك من تحريكها اجنحتها٬

اعلم ان اصوات الحيوانات المتنفّسة كثيرةُ الاختلاف من الطول والقصر والرقّة والغلظ والعظم والصغر والخرير والحفيف وفنون الطنين والزفير والالحان والنغم كل ذلك بحسب طول اعناقها وقصرها وسعة مناخرها وحلاقيمها وضيقها وصفاء طباعها وغلظها وشدّة قوّة استنشاقها الهواء وارسالها انفاسها بعد ترويح الحرارة الغريزيّة التى فى قلوبها او فى اعماق اجسادها والعلّة فى ان حيوان الماء لا صوت لها انها لا رئة لها ولا تستنشق الهواء ولم يُجعل لها اصوات لانها لا تحتاج اليها ذلك ان الحكمة الالاهيّة والعناية الربّانيّة جعلت فى كلّ حيوان من الاعضاء والمفاصل والعروق والاعصاب والغشاوات والاوعية بحسب حاجته اليها فى جرّ المنفعة ودفع المضرّة فى بقاء شخصها وتتميم وتكميل تبليغها الى اقصى مدى غاياتها او بسبب بقاء نسلها من آلات السفاد والحبل والنتاج وتربية الاولاد فكلّ حيوان اتمّ بنيةً واكمل صورة فهو اكثر حاجة الى اعضاء مختلفة وآلات كثيرة فى بقاء شخصه ونتاج نسله وكلّ حيوان انقص بنية وادون صورةً فهو اقلّ حاجةً الى اعضاء مختلفة وادوات مفنّنة فى بقاء شخصه ودوام نسله٬

بيان ذلك ان الحيوانات هى ثلثة انواع منها ما هو اتمّ واكمل وهو كلّ حيوان

ينزو ويحبل ويلد ويرضع ويربّى الاولاد ومنها ما هو دون ذلك وهو كلّ حيوان يسفد ويبيض ويفرخ ومنها ما دون ذلك وهو كلّ حيوان لا يسفد ولا يبيض ولا يفرخ بل يتكوّن من العفونات ولا يعيش سنةً كاملة من اجل ان الحرّ والبرد المفرطَيْن يهلكانها لان اجسامها متخلخلة مفتوحة المسامّ وليس لها جلد ثخين ولا صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا صدف ولا عظم ولا عصب فهى لا تحتاج الى الرئة ولا الى الطحال ولا المرارة ولا الكُلَى ولا المثانة ولا استنشاق الهواء لترويح الحرارة الغريزيّة اذ كان نسيم الهواء يصل الى عمق ابدانها لصغر جثّتها وفتح مسامّها ويحفظ الحرارة الغريزيّة التى فى مزاج ابدانها وتركيب طبائعها،

واما الحيوانات الكبيرة الجثّة العظيمة البنية التى عليها جلود ثخان ولحوم كثيرة الغشوات واعصاب وعروق وعظم مصمّمة ومجوّفة واضلاع ومصارين وامْعاء وكروش ومعدة وقلب ورئة وطحال وكبد ومثانة وقحف الراس والشعر والوبر وصوف والريش والصدف وما شاكلها ممّا يمنع وصول نسيم الهواء الى عمق ابدانها وقعر اجسادها وترويح الحرارة الغريزيّة فيها ويحفظ الحيوة عليها الى وقت معلوم،

فهذا الذى ذكرناه هو حكم الحيوانات التامّة الخلقة الكاملة الصورة التى تستنشق الهواء وتتنفّس منه وتعيش فيه واما اجناس الحيوانات التى تعيش فى الماء ولا تخرج منه فانّها لا تحتاج الى استنشاق الهواء ولا التنفس لان البارى جلّ ثناؤه لمّا خلقها فى الماء وجعل حيوتها منه جعل طبيعتها من الماء وركّب ابدانها تركيبا يصل برد الماء ورطوبته الى قعر ابدانها وعمق اجسادها ويروّح الحرارة الغريزيّة التى فى طباع تركيبها ويَنُوب من استنشاق الهواء وتنفّسها

منه، وجعل لكلّ نوع منها اعضاءً مشاكلةً لبدنه ومفاصل مناسبة لجثّته وجعل على ابدانها من انواع الصدف وفنون الفلوس ما شاكلها لباسا لها ودثارا من الحرّ والبرد وغطاءً ووطاءً ووقاية من الآفات العارضة وجعل لبعضها اجنحة واذنابا ليسبح بها فى الماء مثل الطير فى الهواء وجعل بعضها مأكولا وبعضها آكلا وجعل نسل مأكولها اكثرَ عددا من نسل آكلها كلُّ ذلك لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زمنا طويلا اطولَ ما يمكن فى طبعها وجبلّتها واما اجناس الطيور التى هى سكّان الهواء وقطّنوه فان البارى جلّ ثناؤه جعل ابدانَها مختصرةً من اعضاءٍ كثيرة ممّا فى ابدان حيوان البرّ الذى تحبل وتلد وترضع ليخفّ عليها النهوض فى الهواء والطيران فيه وذلك ان البارى عزّ وجلّ لم يجعل للطير اسنانا ولا آذانا ناتيةً ولا معدة ولا كرشا ولا مثانة ولا خرزات الظهر ولا جلدا ثخينا ولا على ابدانها شعرا ولا صوفا ولا وبرا بل جعل بدلَ ذلك الريش لباسا لها ودثارا من الحرّ والبرد وغطاءً ووطاءً ووقاية من الآفات العارضة ويعينها على النهوض والطيران وبدل الاسنان منقارا وبدل المعدة حوصلة وبدل الكرش قانصة وعلى هذا القياس بدل كلّ عضو عدم عنه عوّض عضوا اخر لابدانها مناسب لاجسادها بحسب مآربها ومنافعها ودفع المضارّ عنها كلُّ ذلك عللاً واسباب لبقاء اشخاصها ودوام نسلها مدّةً طويلةً اطولَ ما يمكن فى طبعها وجبلّتها،

واما اجناس الحيوانات البرّيّة منها الآكلة العشب فان البارى جلّ وعلا جعل لها افواها واسعةً لتتمكّن من القبض على الحشيش والملأ فى الرعى وجعل لها اسنانا حدادا تقطع واضراسا صلابا تطحن بها الصلب من الحشيش والعشب والحبّ والورق والقشور والنوى وجعل لها مريأً واسعا لتزدرد به ما تمضغه وكروشا واسعة تملأها تحمل فيها زادها فاذا اكتفت رجعت الى اماكنها ومرابطها

وبركت واستراحت ومنها ما يجترّ ويسترجع ما بلعه ويطحنه ثانيةً ويبلعه ويزدرد ويردّه الى موضع اخر من كرشها خلقتُها غير خلقة الاوّل متهيّئة لطبخ الحرارة الغريزيّة له والتمكّن من نضجها لكيما يستمرئه الطبيعة وتميّز ثفله من لطيفه ويدفع الثفل الى الامعاء والمصارين ويخرج من الثقْب ومواضع المعدة لذلك وتورد اللطيف الصافى الى الكبد لتنضجه ثانيةً وتصفيه وتبسط اخلاطه على الاوعية لقبوله مثل الطحال والمرارة والكليتين والعروق المجوّفة التى هى كالانهار والجداول فى ابدانها ليجرى ذلك الدم الصافى فيه الى سائر اطراف اجسادها ويخلف بدلا عما يتحلّل من ابدانها اذا كان اجساد الحيوانات كلّها فى الذوبان والسيلان وما يفصل من تلك الموادّ فى ابدان الذكران فقد جعل البارى الحكيم لها اعضاء واوعية ومجارى تحصل فيها وهى النطفة تجرى منها الى ارحام الاناث عند السفد والنزْو والجماع فجعل فى ابدان الاناث اعضاء واوعية ومجارى تحصل فيها وينصبّ اليها ما يفضل فى ابدان الاناث من الرطوبات المشاكلة لها على ممرّ الايّام والشهور وتجتمع ويكثر ويخلق البارى منها صورةً مثل احد الزوجيْن كما شاء وكيف شاء كما بيّنّا طرفا من ذلك فى رسالة مسقط النطفة وكلّ هذه الاسباب وعلل عنايةٌ من البارى لبقاء اشخاصها ودوام نسلها زمانا اطول ما يمكن ويتهيّأ فى ذلك النوع من الحيوان،

واما اجناس السباع الآكلة اللحمان فان خلقتها وطباعها وتركيب بعض اعضائها الظاهرة والباطنة وامزجتها وشهواتها مختلفةٌ لما عليه الحيوانات الآكلة العشب وذلك ان البارى لما خلقها وجعل غذاءها من اكل اللحمان ومادّةَ ابدانها من جثث الحيوان جعل لها انيابا صلابا ومخاليب معقّفة قويّة ووريدات ايديها متينةً والوثبات خفيفة والقفزات بعيدة لتستعين بها على قبض الحيوانات

وضبطها وخرق جلودها وشق اجوافها وكسر عظامها ونهش لحومها من غير رحمة لها وقد تحيّر اكثر العقلاء بقدرتهم في هذا وبحثهم عن علّتها وما وجد من الحكمة في فعل البارى في هذا وبيّنّا ما الحكمة والصواب في ذلك في رسالة العلل والمعلولات وسنذكر طرفا في هذه الرسالة ان شاء الله [اي في تداعي الحيوانات على الانسان]٠

٠ ٠ ٠

۞ في احوال الطيور واوقات هيجانها وسفادها وكيفية اتخاذ اعشاشها واصلاح اوكارها وكمية بيضها ومدّة حضانها وكيفية تربيتها افراخها ۞

اعلم بانّ من الطيور ما يتزوّج ويتعاشق ويهيج ويسفد في سائر فصول السنة ويتعاون الذكر منها الانثى في تحضين البيض وتربية الافراخ كالحمام ومنها ما لا يتعاون في الحضانة وفي التربية كالديكة ومنها ما يهيج في السنة مرّتين عند الفصلَين المعتدلين الربيع والخريف او في الصيف واكثر الطير لا يهيج ولا يسفد الّا في اخر الشتاء عند استقبال الربيع ويبيض فيه ويربّي الاولاد لعلمها بطيب الزمان واعتدال الهواء وكثرة الريف والقوت الموجود في اكثر الاماكن٠ ومن الطيور ما يتّخذ اعشاشها بين اغصان الشجر واوراقها ومنها في الارضين الدغلة بين الحشيش والشوك كالقبج والدراج والطيهوج ومنها ما في ثقب الحيطان ومنها ما في اصول الاشجار ومنها تحت السقوف ومنها على رؤوس الحيطان والخربات ومنها على رؤوس الجبال والتلال ومنها على شطوط الانهار وسواحل البحار ومنها في البراري والقفار وبين الاحجار٠

ومن طيور الماء ما ياخذ بيضها باحدى رجلَيها على صدرها ويسبح بالاخرى

الى ان يحضن ويخرج فراخه ومن الطيور ما يبيض ويحضن ببيضتين او اربعة او ستة ومنها ثمانية او عشرة او اثنى عشر او عشرين او ثلثين

ومن الطيور ما يزقّ فراخه ممّا فى حوصلته من الحبّ المرقوع ومنها ما يلقم افراخه بمنقاره من الحبّ والصيد والتمر ومنها ما ينقص من بيضها نقصه ويحبسه لفراخها كالنعام ومنها ما يبحث فى الارض ويلقى الى افراخه الحبّ والزبيب كالدراج والدجاج

ومن الطير ما هو سريع الطيران دائما طول النهار كالخطاف ومنها ما هو ثقيل الطيران كالسمانى ومنها بعيد الورود كالقطا ومنها بعيد الاسفار كالغراب ومنها ما لا يفارق الوطن كالعصافير ومنها ما يطير فى اسفارها قطارا مثل قطار الجمال كالكراكى والاوز ومنها ما يطير مصطفّا متحاذيا كصفّ المصلّين ومنها ما يطير جماعات مختلطات ومنها ما يطير مستقبلا للريح ومنها مستدبرا له ومنها ما يطير موازيا على جانب ومنها ما يطير متوجّها قاصدا ومنها ما يطير مرتفعا ومنخفضا يمنةً ويسرةً ومنها ما يطير مستقيما قاصدا ومنها ما اذا نهض الى الطيران عدا على وجه الارض خطوات ثم استقبل فى الجوّ ومنها ما ينهض منتصبا دفعةً واحدةً ومنها ما يرتقى فى جوّ الهواء مختلفا مستديرا كالصاعد الى المنارة ومنها ما اذا استقلّ يطير منعرجا منعطفا كالصاعد الى العقبة ومنها ما اذا استقبل فى جو الهواء امسك عن تحريك جناحيه ومنها ما يمسكها تارة ويحركها تارةً ومنها ما اذا اراد النزول الى الارض نكس رأسه وزجّ نفسه منقضّا متهويا كالمطر يومَ الريح ومنها ما ينزل برفق مليا كما ينزل من المنارة ومنها ما ينزل منعطفا يمنةً ويسرة كما ينزل الدوابّ من العقبة ومنها ما ينزل مُدليا رجليه ضامّا جناحيه وكل واحد من الطير متناسبُ الجناحيْن من الطول والعرض

والوزن والعدد وفى كلّ جناح اربعة عشر طاقة ريش صلبة قصبتها مجوّفة خفاف منصفة غلاظ من جانب دقاق من جانب مصطفّة من جانب متوازية من جانب وبما فيها طاقات بعضها موفّر الريش من الجانبين لسدّ خللها وعلى بدن الطير طاقات من الريش اقصر من ذلك وهى لباس لها وفى خللها طاقات اخر صغار ليّنة الريش وهى دثار لها وغطاؤها ووطاؤها من الحرّ والبرد وزينة لها ايضا واكثر الطير ذنبه مناسب لجناحيه وعددها اثنا عشر طاقة زاد او نقص ومن الطير ما ذنبه اوفر من جناحيه كالطاوس ومنها ما جناحاه طويلان وافران وذنبه قصير كالراكى ومن الطير ما ينقص عن افراخه البيض وهو موفّر عليه ريشه كالدراج والدجاج ومنها ما يكون معرًّى من الريش ثم يخرج ريشه فى ايّام التربية كفراخ الحمام ومن الطير ما على ريشه دهنية لا تبتلّ كطير الماء ومنها ما يرمى ريشه فى كلّ سنة ويخرج له غيره ومنها ما بين اصابع رجليه غشاوات ومن طير الماء ما ينهض من الماء فى طيرانه ومنها ما يخرج من الماء الى الارض ثم يطير ومن الطير ما هو طويل الرجلين والجناحين والعنق والمنقار ومنها ما هو قصير الرقبة طويل المنقار ومنها ما هو طويل الرقبة قصير المنقار واكثر الطيور فى طيرانها يجمع رجليها الى صدورها ومنها ما يمدّها من خلف مع ذنبه كالراكى واللقلق ومن الطير الطويل العنق ما يطوى عنقه فى طيرانه ومنها ما يمدّها الى قدام كمالك الحزين٠

ومن الجوارح ما يقبض على الطير فى جوّ الهواء ويأخذها فى طيرانها ومنها ما اذا لحقتها فى طيرانها دخل من تحتها مستلقيا على ظهره وقبض عليها فاقلبها ومنها ما ينحطّ عليها ويختطفها من وجه الارض ومنها ما يقع على رؤس الغزلان وحمير الوحش وينشب مخالبه فيها ويرفرف بجناحيه على اعينها ويقتلها٠

والحمام الهادى يعرف سمت البلد المقصود بالنظر من جوّ الهواء الى جريان الانهار ومسيل الاودية نحو السوادات ويتيامن عن الجبال ويتياسر عنها وعن مهبّ الرياح فى تصريفها وهكذا يعرف الطيور التى تَشْتو فى البلدان الدفئة وتصيف فى البلدان الباردة٬ واكثر الطير لها جودةُ البصر والشمّ والذوق والسمع فاما اللمس فدون ذلك من اجل الريش التى على جلودها٬

والجوارح من الطير كلها وافرة الجناحين عريضة الاذناب شديدة الطيران قصيرة الرجلين والرقبة طوال الافخاذ قويّة المخاليب معقّفة المناقير لا تقدر على لقط الحبوب بل تأكل اللحمان وتصطاد غيرها من الطيور ما يلقط الحبّ ويأكل الثمر ويصطاد الحشرات والهوامّ ويأكل النبت والحشيش٬ ومن الطيور ما يطير بالليل والنهار ويسافر ويتعيّش ومن الطيور ما يطير بالليل دون النهار واما اكثرها فبالنهار دون الليل ومن الطيور ما يأوى الى رؤس الجبال والتلال والحيطان والقلاع ومنها ما يأوى فى الليل الى رؤس الاشجار وبين اغصانها واوراقها ومنها ما يأوى الى الآجام والدحول والدغل ومنها ما يأوى الى الثقب والاعشاش والحجرة وتحت السقوف ومنها ما يأوى الى الجزائر بين الانهار والمياه ومنها ما يبيت فى الجرى وعلى الشطوط ويتحارس بالنوب ومنها ما يبيت فى الجوّ ومن الطيور ما ينتبه فى الاسحار فيترنّم ويسبّح ومنها ما يبكر فى طلب القوت ومنها ما يسفر وما يتصبح وما يضحى ثم يتمّ وينصرف فى طلب القوت يغدو خماصا ويروح بطانا ومن الطيور ما يسرح وينتشر بالغدوات ومنها بالعشيات ومنها فى انتصاف النهار ومنها فى يوم الغيم ومنها فى يوم الصحو ومنها فى يوم المطر ومنها فى شدّة الحرّ ومنها فى شدّة البرد ومنها فى شدّة الريح وذلك انفعٌ٬

اعلم ان من الطير ما اذا نهض واستقبل في جوّ الهواء في طيرانه كشكل المثلّث في بسط جناحَين وافرين منشورين وذنب مثل ذلك مناسب لهما مثل الزرازر والخطاطيف ومنها ما يكون كشكل المربّع جناحين وافرين منشورين وعنق ممتدّا من قدّام ورجلين طويلين ممتدَّين من خلف وذنب قصيرا مثل الكراكي واللقالق ومن الحشرات ما يكون في طيرانه كشكل المسدّس اربعة اجنحة من الجنبين ورأس من قدّام وذنب في خلف كالجراد والبقّ والذباب والزنابير٬

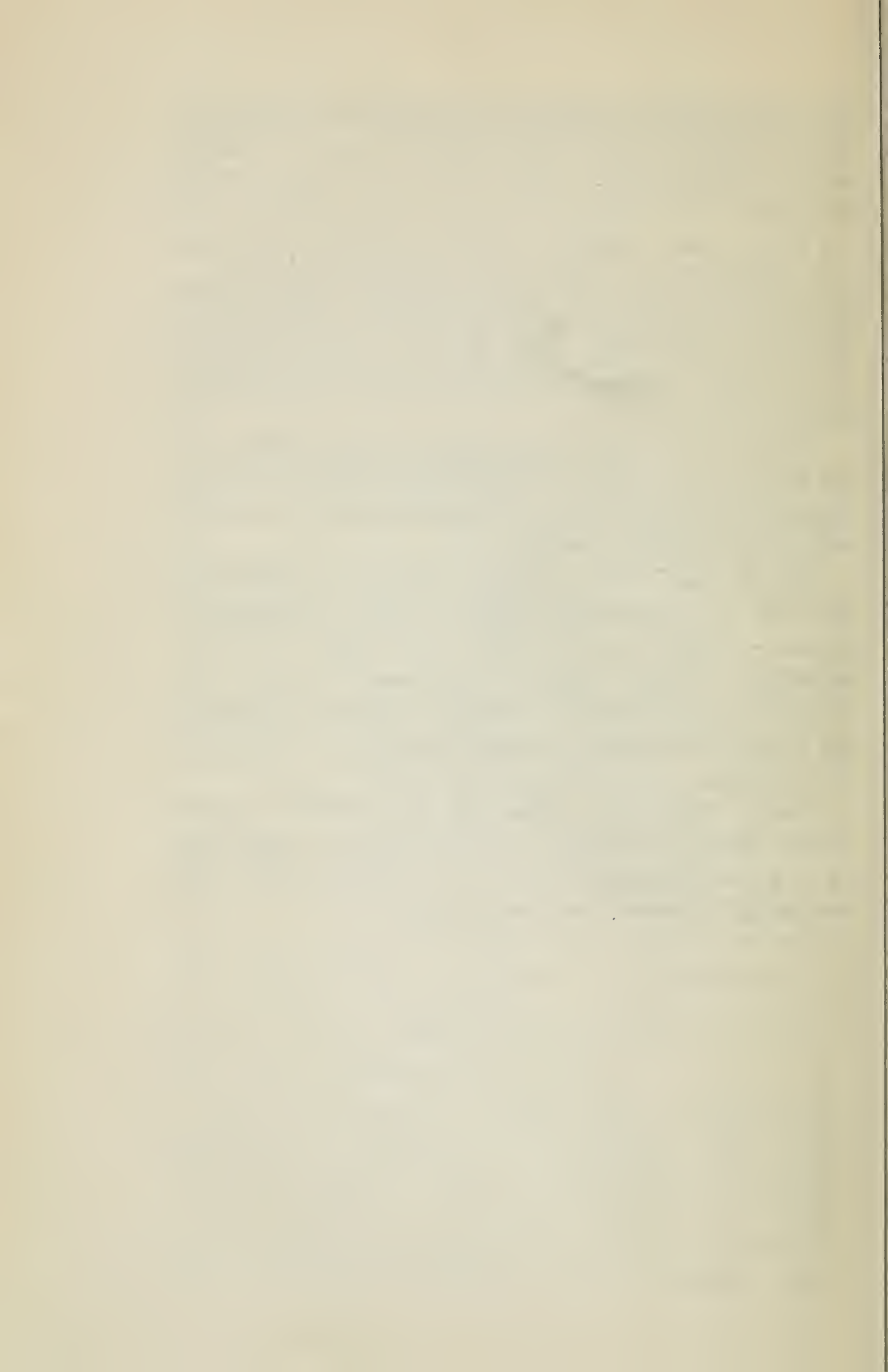
واعلم انك اذا تأمّلت واعتبرت ابدان الطيور والحشرات وجدتها كلّها مستويةَ الجنبين طولا وعرضا خفّة وثقلا يمنة ويسرة خلفا وقدّاما ومن اجل ذلك اذا نتف من احدى جناحيه طاقات ريش اضطرب في طيرانه كمثل رجل اعرج في مشيته احدى رجليه اطول والاخرى اقصر ومن اجل ذلك ايضا متى نتف من ذنبه طاقات ريش اضطرب في طيرانه مكبوبا على راسه مثل الزورق او السُمَيريّة في الماء ثقُل صدرها وخفّ كوثلها ومن اجل هذا صار بعض الطيور اذا مدّ رقبته الى قدّام مدّ رجليه من خلف لتوازن ثقل رجليه بثقل رقبته كالكراكي ومن الطير ما يطوى رقبته الى صدره ويجمع رجليه تحت بطنه في طيرانه كمثل الحزين وعلى هذا المثال حكم سائر الطيور والحشرات في طيرانها٬

الفهرست

تصحيح الغلطات

		صحيح	غلط
١	5.	لان كلّ كاملٍ تامٌّ وكلّ تامٍّ باقٍ الخ *	
٢	8. 9.	يقبل	تقبل
	22.	الأَوَّل	الاولى
٣	7. 8.	روحانيٌّ	روحانيّة
٥	13.	وحُسْن	وحُسن
٦	8.	اظهار	واظهر
٨	10.	والمزاج	والمراح
١٠	1.	فرط	فرض
١٣	4.	محض	مخص
١٤	17.	القوى	القوّات
	19.	المحضة	المخصة
١٥	7.	تتفصّل	ينفصّل
	15.	متّصل	متصل
١٦	4.	النبات ونواهـ	البنات وذوارهـ
	6.	غدائرة	غدائر

لينتغذّى ويصير . لتتغذّى تصير 19.



1881 herausgab und mit einem zugleich auch den Koran umfassenden Arabisch-deutschen Handwörterbuch versah, nachdem er dasselbe nach der Calcuttaerausgabe schon 1858, II. Ausg. Leipzig 65 übersetzt hatte.

Es leitet dieses Märchen in der besten Weise den II. Band ein, welcher die انسانيّات, also die Anthropologie, behandelt und den Menschen in seinem Bau, Temperament, Charakter, in seiner Wissenschaft und seinem geistigen Wesen darstellt, und mit dem Motto: الانسان عالم صغير „der Mensch ist eine kleine Welt, also ein Mikrokosmos“ überschrieben wird.

So wird denn in diesen beiden Bänden die ganze Wissenschaft der Araber des X. Jahrh. in nuce enthalten sein, um den Arabisten in den zu Stand setzen, sich in jedem Zweig der Arabischen Wissenschaft heimisch zu fühlen.

Der II. Band erscheint sicher im Jahre 84 und wird, nachdem diese die Gesammtwissenschaft der Araber umschliessenden Editionen vollendet sind, der Verf. ein Lexicon der wissenschaftlichen arabischen Sprache folgen lassen, in welchem jeder Ausdruck arabisch, griechisch, lateinisch, deutsch wiedergegeben und durch die Hauptstellen der Alten belegt wird. Gott gebe mir bis zum Abschluss dieser meiner Arbeiten Frist!

Meiner Edition dieser Resāil liegt der Codex Par. 1105 zu Grunde, andere Handschriften, wie zwei Wiener (cf. Flügel Katalog d. Wiener Handschriften I 5—7. u. III 453.), sind modern, ohne Verständniss geschrieben und voller Lücken.

schreibung des wirklichen Universums übergegangen und zwar an der Hand des Ptolemaeus zunächst von der Erde als dem Vollkern, um den sich die Hohlkreise, die Sphären, schliessen, gehandelt wird. Wir verfolgen von dem Mittelpunkt aus diese Schichten bis zur obersten Umgebungssphäre des Raums.

Wir haben also zunächst die Geographie, IV. Tractat, über die Erde und Wasser enthaltende Erdkugel in ihren sieben Klimaten ٥٨—٩٥, übersetzt in meiner Propaedeutik 86—99, und ist daran als Anhang angeschlossen ein Stück aus dem XVIII. Tractat der Mineralogie über die Veränderung der Erdoberfläche — ٧١, übersetzt in meiner Naturanschauung 99—107.

Hierauf folgt zunächst die Abhandlung über die Verwandlung der Elemente in einander aus dem XVI. Tractat, d. h. Entstehen und Vergehen, —٧٧, nämlich die Vorgänge, die auf der Erde und in der Luftschicht darüber stattfinden, übersetzt in Naturanschauung 55—66. Ihr folgt der XVII. Tractat, die Meteorologie — ٩٧, d. h. die Vorgänge in der dem Mondkreis naheliegenden Schicht des Aethers.

Wir stehen somit an dem Rand der Himmelssphären, die nun nach Ptolemaeischer Anschauung aus dem XV. Artikel — ١١٣ dargestellt sind, übersetzt in Naturanschauung 24—45 und sind daran zur Vervollständigung einige Stücke aus der Astronomie — ١٢٥, Artikel III, übersetzt in meiner Propaedeutik 46 ff., angehängt. Somit wäre das Universum vom Mittelpunkt der Erde bis zur äussersten Umgebungssphäre geschildert und der Gesammtraum umfasst.

Den III. grössern Abschnitt bilden die Produkte aus den Elementen, المولّدات d. h. Stein, Pflanze, Thier. Zunächst das Mineral المعادن, XVIII. Tractat — ١٣٩, übersetzt in Naturanschauung 95 ff., dann die Pflanze النبات, also Botanik — ١٥٥, übersetzt in Naturanschauung 161 ff., und endlich die Lehre vom Gethier الحيوانات Art. XXI, übersetzt in Naturanschauung 191 ff.

Die Zoologie bildet den Abschluss dieses I. Theils der Gesammtwissenschaft der Araber bei den Ichwân es-Safâ. Denn hier am Ende des XXI. Artikels, an der Scheidegrenze zwischen Thier und Mensch, ist dann das sinnige durch den ganzen Orient wegen seiner klaren Zeichnung, scharfer Ironie und lieblichen Darstellungsweise berühmte Märchen eingefügt, welches Verf. Leipzig, 2. Ausg.

30—40. *d.* Theologika الالهيات 41—51. (Vgl. darüber meine Abhandlung in „Thier und Mensch“, 221—237), indessen ist diese Eintheilung nur im Allgemeinen zutreffend, ausserdem aber der Wust und die Weitschweifigkeit so gross und giebts der Wiederholungen so viel, dass es wohl nicht gerathen ist, sie alle mit Haut und Haar dem Arabisten zu serviren und ist eine Auswahl und Anordnung hier geboten.

Wir geben in diesem I. Bande die die Allwelt betreffenden Artikel, d. h. den Makrokosmos mit dem Motto „die Welt ist ein grosser Mensch“ العالم انسان كبير d. i. eine wohlgeordnete Gesammtheit, und zwar zunächst die allgemeinen das Gesammtall betreffenden Artikel الكليات. ١-٢٣. Hier stellen wir, als die wichtigste Abhandlung, die XXXII. Abhandlung „über den Anfang alles Vorhandenen“ في مبدى الموجودات (übersetzt in „Weltseele“ 11—27.) voran. Wir finden hier die ausführlichste Darstellung der Emanation von der Einheit „Gott“ bis zur Vielheit „Welt“ an den neun Einern als dem Stamm der Zahl entwickelt. Während man in der Theologie des Aristoteles sich mit 5 Stufen Gott, Geist, Seele, Natur, Dinge begnügt, haben wir hier 1. Gott, 2. Geist, 3. Seele, 4. Idealstoff, 5. wirklicher Stoff, 6. die Welt mit ihren Sphären, 7. Natur, 8. Elemente, 9. Produkte, vgl. darüber Theologie des Aristoteles, Uebersetzung 189 ff.

Hieran schliessen wir die kurze 50ste Abhandlung ١٥-٢٣ von der Fügung der Welt في نظم العالم. Dieselbe umfasst in knapper Kürze die ganze wie ein Rad sich drehende Sinnenwelt und scheint mir die gesuchte Endabhandlung der Sammlung zu sein, während die 51ste Abhandlung nur ein Anhang über Wundermittel, Talismane u. dergl. bildet — übersetzt ist die 50ste Abhandlung in meinem Darwinismus p. 215—28. —

Den zweiten grossen Abschnitt, welcher hierauf pag. ٢٤—١١٣ folgt, überschreiben wir mit الارض والسماء Erde u. Himmel. Wir finden hier in seinen Theilen الجزويات das einzeln ausgeführt, was die allgemeinen Artikel andeuten. Als Einleitung zur Beschreibung der Sinnenwelt stellen wir den XIV. Artikel, mit der Überschrift Stoff und Form, dem Wesen nach aber eine Physik, die Stoff, Form, Raum, Bewegung, Zeit behandelt; übersetzt ist dieser Artikel in meiner Naturanschauung, Lpz. 75. 1—24. Dann folgt die wichtige Abhandlung über das Wesen der Natur ٢٣–٥٨, worauf denn zur Be-

dem und dem Jahrhundert die Objecte des Wissens? Wie löste sich der Geist damals alle die Fragen, welche das sinnliche und geistige Leben in der Natur- und Begriffswelt dem denkenden Menschen stellt?

Die durch meine Uebersetzungen aus den Schriften der Ichwân es-Safâ gewonnenen Resultate habe ich am Schluss meiner Philosophie der Araber im X. Jahrhundert zusammen gestellt und wiederhole daraus hier folgendes:

1. Die Araber eigneten sich alle Schätze des Wissens, die sie irgend aus den Trümmern der zusammengebrochenen griechischen Wissenschaft retten konnten, mit unermüdlichem Fleiss im VIII.—X. Jahrhundert an.

2. Sie ruhten nicht eher als bis sie auf alle Fragen des Geistes eine dem damaligen Standpunkt der Wissenschaft genügende Antwort geben konnten. Zu diesem Zwecke versuchten sie mit den Werkstücken aus den Trümmern der griechischen Wissenschaft einen weiten Neubau der Gesammtwissenschaft aufzuführen.

3. Erst als dieser aus den Platonischen, Aristotelischen, Plotinischen, Galenischen, Ptolemaeischen Bestandtheilen aufgeführte Bau sehr gemischten Styls nicht mehr genügte und als jene Meinung der Neoplatoniker, dass die Lehre des Plato und Aristoteles nur eine sei, in den Hintergrund trat, befleissigte man sich in Spanien im 12. Jahrhundert des reineren Aristotelismus. Diesem Streben diente besonders Cordova zur Heimath; der grosse Jude Maimon und der bekannte Meister Ibn Ruschd (Averroës) waren die Vorkämpfer desselben.

Wie einst im Alterthum der Platonismus dem Aristotelismus voraufging, so musste auch im Mittelalter der Neuplatonismus dem Neuaristotelismus die Wege bereiten.

4. Dies die ganze Wissenschaft umfassende Mischsystem ist besonders in der nach Stoffen geordneten Encyclopaedie der Ichwân es-Safâ „der lauteren Brüder“ enthalten. Es ist dieselbe somit recht geeignet, um eine geordnete Aneinanderreihung des arabischen Wissens im 8.—10. Jahrh. zu geben. Zwar hat die Schule dieser Aufklärer von Basra ihre Artikel selbst geordnet und zwar in vier Theilen *a.* Propaedeutik, d. h. Mathematik u. Logik الرياضيّات والمنطقيّات 1—13. *b.* Physika الطبيعيّات 14—30. *c.* die Weltseele النفسانيّات

Vorrede.

Auf den folgenden Bogen versucht der Verfasser ein langjähriges Studium zum Abschluss zu bringen und durch die Publicirung der für die arabische Wissenschaft wichtigen Texte für seine früheren Uebersetzungen die wissenschaftliche Begründung zu liefern.

Die arabische Philologie hat sich mit Vorliebe und Kraft auf die Zweige ihrer Literatur geworfen, welche für die Ausbildung der Sprache von der grössten Wichtigkeit waren und die Geistesrichtung in den ersten Jahrhunderten d. Fl. besonders charakterisiren. Desshalb wurden die Dichter mit ihren Commentaren, der Koran mit seinen Interpreten mit Eifer bearbeitet und hat neben diesen Zweigen nur noch der für Geschichte und Geographie durch die epochemachenden Werke Dozy's und Amari's erblühen können.

Dagegen ist für das Fach „Arabische Philosophie", also gerade für das Gebiet, auf dem die Strömung der occidentalischen und orientalischen Bildung zusammen traf, und gerade für die Wissenschaft, welche als die Königin aller Wissenschaften die Gesammtbildung der einzelnen Jahrhunderte scharf kennzeichnet und die Entwickelung des menschlichen Geistes durch die lange Kette der Jahrhunderte hindurch schildert, gar wenig geschehen. Schmölders, der mit seinen „Documenta phil. Arab. 1836" den Anfang machte, verstummte mit seinem Essai sur les écoles philosophiques 1842 und hat Marc. Müller sich der späteren Zeit der arabischen Philosophie in Spanien zugewandt, so bleibt denn der Verfasser mit seinem Studium jener früheren Epoche der arabischen Culturbestrebungen in Bagdad und Basra ziemlich allein auf dem weiten Gebiet.

Ist aber die Philologie „die Wiedererkennung des schon einmal Erkannten", so muss sich den Philologen bei einem jeden Culturvolk die Frage aufdrängen: Wie beherrschte dies Volk in

DIE ABHANDLUNGEN

DER ICHWÂN ES-SAFÂ

IN AUSWAHL.

ZUM ERSTEN MAL

AUS ARABISCHEN HANDSCHRIFTEN

HERAUSGEGEBEN

VON

DR. FR. DIETERICI

PROFESSOR AN DER UNIVERSITÄT BERLIN.

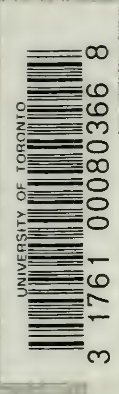
LEIPZIG, 1883.

J. C. HINRICHSCHE BUCHHANDLUNG.








UNIVERSITY OF TORONTO
3 1761 00080366 8